بُغية الإِيضاح
لِتَلخِيص المفتاحِ
فى علوم البلاغة

تأليـف
عبد المتعَال الصَّعِيدى
الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثالث
فى علم البيان

الطبعة العاشرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م وتمتاز بكثير من الزيادات والتنقيحات والضبط

تنبيــه : قد وضعنا « الإيضاح » للخطيب القزوينى بأعلى الصفحة
ووضعنا شرحه « بغية الإيضاح » لعبد المتعال الصعيدى بأسفلها

ملتزم الطبع والنشر
الناشر مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا ـ القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨

رقم الإيداع : ١٤٥٨٦ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 241 - 289 - 6

بسم الله الرحمن الرحيم

الفنُّ الثانى : علمُ البيانِ

تعريف علم البيان : وهو علم يُعْرفُ به إيرادُ المعـنى الواحـدِ [1] بطُرقٍ

---

(١) قيَّده السعدُ بأنْ يكون مدلولاً عليه بكلام مطابقٍ لمُقتضى الحال ، وإنما قيَّدَه بهذا لأن اعتبارَ علمِ البيان إنما يكونُ بعد اعتبارِ علم المعانى ؛ فلا بُدَّ من مراعاة علم المعانى فى علم البـيان ؛ فـإذا أنكرشخصٌ كـرمَ زيد مثـلاً قلت له بطريق الكناية : « إن زيداً كـثيـرُ الرماد» ، فإذا لم تأت بالتأكيد لم يعـتدّ بهذه الكناية . وقـيل المرادُ جنسُ المعنى مـن غير تقييـدَ بشىء ؛ لأن وظيفـة علم البيان غيرُ وظيفةِ علم المعـانى ؛ فوظيفة الأول ترجع إلى البلاغة ، ووظيفـة الثانى ترجع إلى الفصاحة ، وقد سبق فى المقدمـة أنه لا بد من اعتبار الفصـاحة فى البلاغة ، فإذا نظر إلى هذا كان الأمر فى العلمين بعكس ما ذكره السـعد فيهما ، والحق أن علم البيان لا ينظر فى قول امرىء القيس مثلا :

أَلم تسألِ الرَّبعَ القديمَ بعَسْعَسا ... كأنى أنادى إذْ أكَلم أخرَسا

من جهة مطابقـته لمقتضى الحال أو عدمهـا ، وإنما ينظر إليه من جهة فساد التـشبيه ؛ لأنه لا يقال : « كلمت حجراً فلم يجب » فكأنه كان حـجراً ؛ وإنما الجيد فى ذلك قول كثير :

فقلتُ لها يا عزُّ كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذلَّت

كأنى أُنادى صخرةً حين أعرَضَتْ ... منَ الصُّمِّ لَوْ تمشى بها العُصْمُ زلَّتَ

وهذا لا يمنع مراعاةَ الأحوالِ والظروفِ فى أبواب علم البيان ، كمـا أتى القدماء بتشبيهات رَغِبَ المحدَثون عنها استبشاعاً لها ؛ كقول امرىء القيس :

وتعطو برَخْصٍ غير شَثْنٍ كأنه ... أساريعُ ظَبْى أو مساويكُ إسْحَلِ

فشبه البنان بالأسروعة ؛ وهى دودة تكون فى الرمل ، وقال ابن المعتز :

أَشَرْنَ علي خوفٍ بأغْصَانٍ فضَّةٍ ... مُقوّمة أثمارُهُنَّ عَقيقُ

وهذا أحبُّ من تشبيه امرىء القَيسِ ، وإن كان أشد إصابة ، ولكن يجب أن نقبل من هذا مـا لا يمجـه الذوقُ ؛ مثل قـولهم : « أَعْطِ القـوسَ بَاريهـا » ؛ كمـا يقـال فى الإنجليـزية الآن لمن يبالغ فى كـلامه : « ينزع فـى القَوس الطويلة » ، وفى الفـرنسيـة لمن يتوسل إلى غايته بكل وسيلة : « يَبْرى سهاماً من كلِّ خشبٍ » .

مختلفةٍ فى وضوح الدلالة عليه [١] .

أقسام الدلالة : ودلالة اللفظ إما على ما وُضِعَ له ، أو على غيره ، والثانى إما داخلٌ فى الأول دخولَ السقف فى مفهوم البيت أو الحيوانِ فى مفهوم الإنسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف ، أو الضاحك عن مفهوم الإنسان . وتُسمّى الأولى دلالةً وضعية ، وكلٌّ واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية ، وتختص الأولى بدلالة المطابَقة ، والثانية بالتضمن ، والثالثة بدلالة الالتزام . وشرط الثالثة اللزومُ الذهنى؛ أى أن يكونَ حصولُ ما وُضع اللفظُ له فى الذهن ملزوماً لحصول الخارج فيه [٢]؛ لئلا يلزم ترجيحُ أحد المتساويين على الآخر ، لكون نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجية ، ولا يُشْتَرَطُ فى هذا اللزومِ أن يكون مما يُثبتُه العقلُ [٣]؛ بل يكفى أن

---

(١) بأن يكونَ بعضُ الطرق واضحَ الدلالة عليه وبعضُها أوضح ، وبهذا يكون الاختلاف بينها فى حدود وضوحِ الدلالة ؛ لأن علم البيان يُقْصَدُ منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى فلا يُطلب فيه إلا وضوحُ الدلالة ؛ وقيل : إنه يريد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة وخفائها ؛ فحذَفَ الثانى على سبيل الاكتفاء ، وقد رُجّحَ هذا بأن المطلوب فى علم البيان هو خفاءُ الدلالة لا وضوحُها ؛ لأنه كُلَّما كان الكلام خَفِيَّ الدلالة كانت منزلتُه أعلَى ، ولا شك أن المراد بهذا الخفاء ما يكون بسبب دقة المعنى لا بسبب التعقيد ، واختلاف تلك الطرق فى ذلك يكونَ باعتبار قرب المعنى المجازى وبُعده من المعنى الحقيقى، وباعتبارِ اختلاف القرينة المنسوبة فى دلالتها على المراد .

وقد خَرجَ بذلك عن تعريف علم البيان إيرادُ المعنى الواحد بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة ؛ كقولك : زيدٌ أسدٌ . زيدٌ ليثٌ .

ومن الاختلاف فى طرق الدلالة أن يقال فى الكناية عن الجود: « مهزولُ الفصيل ، جبانُ الكَلْب ، كثيرُ الرَّماد »، وفى إيراده بطريق التشبيه: « وهو كالبحر فى السخاء . أو بحرٌ فى السخاء .أو بحرٌ »؛ من غير ذكر وجه التشبيه، وفى إيراده بطريق الاستعارة: «رأيت بحراً فى دارنا . رأيت بحراً طَمَّ بإنعامه جميع الأنام » .

(٢) يعنى بالخارج: المعنى الخارجى، وهو اللازم ، وقد يكون حصول ذلك فوراً أو بعد التأمل فى القرائن والأَمارَات .

(٣) يعنى اللزوم البيِّن المعتبر فى علم المنطق، وإنما لم يُعتبر هنا لأن اعتبارَه يُخرِجِ=

يكون مما يُثبته اعتقادُ المخاطب إما لعرف عام أو لغيره [١] لإمكان الانتقال حينئذ من المفهـوم الأصلي إلى الخارجي ، وقـد وقع في كلام بعض الـعلماء [٢] ما يُشعر بالخلاف في اشتـراط اللزوم الذهني في دلالة الالتزام ، وهو بعيد جداً ، وإن صَحَّ فلعلَّ السبب فيـه توهمُ أنّ المـرادَ باللزوم الذهني اللزومُ العقـلي[٣] ؛ لإمكان الفهم بدون اللزوم الذهني بهذا المعنى حينئذ كما سبق .

ثم إيرادُ المـعنى الواحـدِ علـى الوجـه المذكـور لا يتـأتّى بـالدلالة الوضعية[٤] ؛ لأن السامعَ إن كـانَ عالماً بوضع الألفاظ ؛ لم يكن بعـضُها أوضـحَ دلالـةً من بعضٍ ، وإلاّ لم يكن كلٌّ واحـد منها دالاً ، وإنما يتـأتى بالدلالاتِ العقليةِ ؛ لجواز أن يكونَ للشيء لوازمُ بعضُها أوضحُ لزوماً من بعضٍ [٥] .

= كثيراً من المعاني المجازية عن أن تكونَ مدلولات التـزامية ، ولا يتأتى معَه الاختلاف في وضوح الدلالة ؛ لأنه لا يمكن فيه انفكاك تعقل اللازم عن تعقل الملزوم في الذهن أصلاً .

(١) يعني بغيـر العُرفِ العام العرفَ الخـاصَّ ودلالة المقامِ ، والتـأمُّلَ في القرينة ، ومثال العرف العام: لزوم الشجاعه للأسد ، ومثال الخاص: لزوم عدم قبول النجاسة لبلوغ الماء قُلَّتيْن .

(٢) هو ابنُ الحاجب .

(٣) هو اللزومُ البَيِّنُ المعتبرُ في علم المنطق كما سبق .

(٤) أي في دلالتها على معنى واحد بطرق متعددة كما في الألفاظ المترادفة ، وقد يتأتى فيها الاختلافُ في الوضوح بالتـعقيدات اللفظية ، ولكن هذا ليس من الاختلاف في طرق الدلالة ، واعتُرِضَ على ذلك بأنه يلزم عليـه خروجُ التـشبـيه من علم البـيان ؛ لأن دلالتَه وضعيةٌ ، وقد أجاب بعضُهم بالتزام خروج التـشبيه من علم البيان وأنه إنما يذكر فيه من أجل بناء الاستعارة عليه . والحق أن الإيراد المذكورَ يتأتى في التشبيه أيضاً كما سبق ؛ فلا يصح إخراجه من علم الـبيان ، وإنما أتى فيه الإيراد المذكور ؛ لأن التشـبيه في نحو: «زيدٌ كالـبدر » له دلالتان : إحـداهما وضـعيـة في دلالته على تشـبيـه وجهه بالـبدر في الاستدارة والاسـتنارة ، والثانية التزاميـة في دلالته على أنه غاية في الحسن ، بهـذه الثانية يأتي فيـه الإيراد المذكور . وقيل : إن المراد بإتيـان ذلك في العقلية مـا يشمل إتيانه فيـها وحْدَها أو مع الوضعية ؛ لأن الدلالة الوضعية فيه إحدى الدلالات المتفاوتة .

(٥) يكون هذا باعـتبـار قلة الوسائط وكـثـرتها بين اللازم والملزوم ونحـو ذلك مما يختلف به وضوح الدلالة، وكذلك دلالة التَّضَمُّنِ ؛ لأنها قد تدل على جزء الشئ أو جزء=

أبواب علم البيان :

ثم اللفظُ المرادُ به لازمُ ما وُضع له : إن قامت قرينةٌ على عدم إرادة ما وُضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية . ثم المجاز منه الاستعارة ، وهى ما تَبْتَنِى على التشبيه ، فيتعينُ التعرضُ له [١] .

فانحصر المقصودُ فى : التشبيه، والمجاز، والكناية .

وقُدّم التشبيهُ على المجاز ؛ لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التى هى مجازٌ على التشبيه ،وقدِّم المجاز على الكناية؛ لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل [٢] .

= جزئه ، ودلالتُها على الأول كدلالة الحيوان على الجسم أوضحُ من دلالتها على الثانى كدلالة الإنسان على الجسم .

هذا وإنما ذَكَرَ هنا مبحثَ الدلالة ؛ ليُرتِّبَ عليه بيان أبواب علم البيان ، ولأن علم البيان ترجع مباحثه إلى دلالة اللفظ ، أما علم المعانى فترجع إلى نظم الكلام وأسلوبه .

(١) هذا ظاهر فى أن التشبيه لا يدخل فى البيان إلا تبعاً للاستعارة ، وقد سبق بيان الحق فى ذلك ، على أن ابنَ الأثير قد ذكَر أن الجمهور على أن التشبيه مجاز ؛ لأن المتشابهين كما ذكر ابن رشيق إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى المسامحة ، وقد نازعه بعضهم فى صحة هذا النقل عن الجمهور .

وقد قسَّم الرُّمَّانىُّ التشبيهَ إلى حقيقىٍّ ومجازى؛ فالأول تشبيه المتفقين بأنفسهما؛ كتشبيه حمرة الخد بحمرة الورد ، والثانى تشبيه المختلفين بالذات؛ كتشبيه زيد بالأسد.

(٢) إنما لم يكن جزءاً حقيقةً ؛ لأن الكناية ليس معناها مجموع اللازم والملزوم ، وإنما هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم كما سيأتى .

هذا وقد ذكر السعد أن الأَوْلى أن يعرِّف البيان بأنه « علم يُبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث ، فلا يكون هناك حاجة إلى تفصيل الكلام فى الدلالةوما ترتب عليه ». وفى نفسى شئ من هذا التعريف؛ إذ أن التعريف يُبنى على الشمول، ولا يكون بهذا التفصيل . ويجب أن يعلم أن هذه الأبواب كانت تعد قديما من البديع ، وكان يجرى عليها حكم أبوابه ، فلا يصح أن يزدحم الكلام بها ؛ لأنها لا تُطْلَبُ لذاتها كما سبق ، وإنما تحسن عند اقتضاء المقام لها .

الباب الأول : القول فى التشبيه

تعريف التشبيه : التشبيه: الدلالة على مشاركة أمرٍ لآخر فى معنى[1] ، والمراد بالتشبيه ههنا[2] ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد[3] ؛ فدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف ؛ وهو ما ذُكِرتْ فيه أداةُ التشبيه ؛ كقولنا: « زيدٌ كالأسد ، أو كالأسد » بحذف زيد لقيام قرينة ، وما يُسمّى تشبيهاً على المختار كما سيأتى[4] وهو ما حُذفتْ فيه أداةُ التشبيه وكان اسمُ المشبه به خبراً للمشبه أو فى حكم الخبر[5] كقولنا : « زيد أسد »، وكقوله تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾[6] أى هم. ونحوه قول من يخاطب الحَجّاج :

أسَدٌ علىَّ وفى الحروب نعامةٌ فَتْخاء تنفر مِن صفيرِ الصافرِ[7]

وكقولنا : « رأيتُ زيداً بحراً »

تأثير التشبيه : وإذ قد عرفتَ معنى التشبيه فى الاصطلاح ؛ فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فن البلاغة[8]، وأنَّ تَعْقِيبَ المعانى به لا سيَّما قسمُ التمثيل منه يضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك، وإن أردتَ تحقيق هذا، فانظرْ إلى قول البحترى :

---

(١) هذا معنى التشبيه فى اللغة، ويرد على هذا أنه يشمل نحو: « قاتل زيد عمراً، وجاءنى زيد وعمر »؛ فالأحسن أن يقال فى معناه لغةً: إنه مصدر«شبهته بكذا» إذا جمعت بينهما بوصف جامع وهذا لا يرد عليه ذلك؛ لأن الجمع فيه بصيغة المشاركة وواو العطف، لا بذلك الوصف الجامع . (٢) يعنى التشبيه الاصطلاحى .

(٣) فهو فى الاصطلاح: الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بالكاف ونحوها، لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد ، وإنما لم يَذْكُرْ الاستعارة التخييلية مع الثلاثة لأنها عنده فى الإثبات كما سيأتى ؛ فهى خارجة عن جنس التعريف ، وخروج التجريد من التشبيه إذا لم يكن على وجه ينبئ عن التشبيه كقولك: « لى من فلان صديقٌ حميمٌ » ، فإذا كان على وجه ينبئ عنه فالأقربُ جعله منه ؛ كقولك: « لئن سألتَ فلانا لتسألن به البحرَ » . (٤) فى تعريف الاستعارة .

(٥) كالحال ونحوه ؛ كقولك: « رأيت زيداً بحراً » . (٦) البقرة آية ١٨ .

(٧) نسب فى الأغانى لعمران بن حطّان ، ونسب فى حماسة البحترى لأسامة بن سفيان البجلى ، وفيه « ربداء » بدل «فتخاء» والفتخ: استرخاء المفاصل ولينها ، والربدة: لون يميل إلى الغبرة، والشاهد فى أنه على تقدير: هو أسد.

(٨) يريد بالبلاغة ما يرادف الفصاحة.

دانٍ على أيدي العُفَاة وشاسِعٌ عن كل ندٍّ في النَّدَى وضَرِيبِ[1]
كالبدر أَفْرَطَ في العلوِّ وضوءُه للعُصْبَةِ السَّارينَ جِدُّ قَريبِ[2]

أو قول ابن لَنْكك :

إذا أخو الحُسنِ أضحَى فعلُه سَمِجاً رأيتُ صورتَه من أقبحِ الصُّوَرِ[3]
وهَبْهُ كالشَّمسِ في حُسْنٍ ألم تَرَنا نفرُّ منها إذا مالتْ إلى الضَّرَرِ؟[4]

أو قول ابن الرومي :

بَذَلَ الوعدَ للأخلاَّءِ سمْحاً وأبَى بَعْدَ ذَاك بذلَ العطاءِ
فَغَدَا كالخلافِ يُورِقُ للعيْـ ـنِ ويأْبَى الإثمارَ كُلَّ الإباءِ[5]

أو قول أبي تمام :

وإذا أرادَ اللهُ نشْرَ فضيلة طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ[6]
لولاَ اشْتِعَالُ النارِ فيما جَاوَرَتْ ما كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ[7]

---

(١) العفاة : جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق ، والند : المثيل والنظير ، وعطف ضريب عليه عطف تفسير .

(٢) السَّارُون : السائرون ليلاً ، وقوله « جدٌّ قريب » صفة لمحذوف أى قريب جد قريب بمعنى بالغ الغاية فى القرب ، وهو مصدر جَدَّ أى اجتهد وبالغ فى أمره ، شبه هيئة رفعة الممدوح مع قرب نفعه للسائلين بهيئة ارتفاع البدر مع قرب ضوئه والانتفاع به ، والجامع : الهيئة الحاصلة من بُعْد المنال مع قرب النوال . (٣) السمج : القبيح .

(٤) قوله « هبه » بمعنى احسبه واعدده ينصب مفعولين ولم يأت منه إلا الأمر ، ورُوى « وهبك »؛ شبه حال من حَسنتْ صورته وقَبُحَ فعله فكرهه الناس بحال الشمس نفرّ منها إذا اشتد حرها ، والجامع أن كلاً يُكْرهُ لأذاه وإنْ حَسُنَ منظرُه . وابن لنكك هو محمد بن محمد بن لنكك .

(٥) الخلافُ : صنف من الصَّفْصَاف وليس به ، سمى خلافاً لأن السيل يأتى به سبياً فينبت من خلاف أصله ، شبه حالَ مَن وعد شخصاً بقضاء حاجة ثم أخلف بحال الخلاف فى ذلك ، والجامع : ما فى كُلٍّ منهما من اليأس بعد الطمع .

(٦) قوله « طُويت » بمعنى أُخفيت ، وقوله « أتاح » بمعنى هيأ .

(٧) العَرْفُ : الرائحة ، والعود : ضرب من الطِّيب يُتَبَخَّرُ به ، والمراد تشبيه هيئة الفضيلة مع الحسود بهيئة العود مع النار على سبيل التمثيل ، والجامع ما فى كلٍّ من ترتب النفع على محاولة الضرر .

وقوله أيضا :

وطولُ مُقامِ المرءِ فى الحىِّ مُخلِقٌ   لِـدِيبَاجَتَيْـهِ فَــاغْتَرِبْ يَتَجـدَّدِ[١]

فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَت محبَّةً   إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ[٢]

وقِسْ حالَكَ - وأنت فى البيت الأول ولم تنتـه إلى الثانى - على حالك وأنت قد انتهيت إليه ووقفـت عليه ، تعلم بُعْدَ ما بين حالتيك فى تمكّن المعنى لديك، وكذا تَعَهَّد الفرقَ بين أن تقـولَ « الدنيا لا تدوم » وتَسكُتُ وأنت تذكر عقيـبَهُ ما رُوىَ عن النبى ﷺ أنه قال : «مَنْ فى الدنيـا ضَيْفٌ ، وما فى يده عاريةٌ ، والضيف مرتَحِلٌ والعاريةُ مؤَدَّاةٌ » . أو تنشد قول لبيد :

وما المال والأهْلُونَ إلا ودائعُ   ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ[٣]

وبين أن تقـول: « أرى قـومـاً لهم منظر، وليس لهم مـخـبـر » وتقطع الكلام، وأن تُتبعه نحو قول ابن لنْككَ :

فى شجر السَّرْو منهم مَثَلٌ   له رُواءٌ وما له ثَمَرُ[٤]

وانظر فى جميع ذلك إلى المعنى فى الحالة الثانيـة كيف يتزايد شرفه عليه فى الحالة الأولى .

أسباب تأثير التشبيه : ولذلك أسبابٌ : منها ما يحصل للنفس من الأنْس بإخراجهـا من خَفِىٍّ إلى جلىٍّ ؛ كالانتقال مما يحصـل لها بالفكْرةِ إلى ما يُعلَم بالفِطْرَةِ ، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألِفَتْه . كما قيل :

---

(١) المُخْلِقُ : المُبْلى ، والديباجة : الوجـه ، والمراد بديباجتيه: صفـحتاه ، ولهذا أعاد الضمير عليهما فى « يتجدد » مفرداً . وفى رواية « تتجدد » بالتاء .

(٢) السرمد : الدائم ، والمراد تشبيـه هيئة المرء فى اكتسابه المحبة بالاغـتراب بهيئة الشمس فى اكتسابها المحبة بطلوعها وغروبها .

(٣) هو للبيد بن ربيعة العامرى ، ويعنى أن ذلك ودائع الله عندنا .

(٤) الرواء : المنظر الحسن ، والمراد أنهم مثله فى حسن المنظر وقبح المخبر .

* ما الحُبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ[1] *

أو مما تعلمه إلى ما هى به أعلم ، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس؛ فإنك قد تُعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقِصَرِ : « يومٌ كأقصرِ ما يُتَصوَّرُ » ، فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم « أيامٌ كأباهيمِ القَطا »[2] ، وقول الشاعر :

ظَلِلْنَا عند بابِ أَبى نُعَيْمٍ   بيومٍ مثْلِ سالفةِ الذُّبابِ[3]

وكذا تقول: « فلانٌ إذا هَمَّ بالشئِ لم يزُلْ عن ذُكرِه ، وقَصَرَ خواطرَه على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغلْه عنه شئ » فلا يصادف السامع له أرْيَحِيَّةً ، حتى إذا قلتَ :

* إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ[4] *

---

(١) هو من قول أبى تمام :

كَمْ منزلٍ فى الأرض يألَفهُ الفتى   وحنينهُ أبداً لأوَّلِ مَنْزلِ
نَقِّلْ فؤادَكَ ما استطعتَ من الهوى   ما الحُبُّ إلا للحبيبِ الأوَّلِ

يريد أن الفؤاد لا يميل إلا للحبيب الأول لإلفه له ، وهذا هو محل الشاهد .

(٢) الأباهيم : جمع إبهام وهو الإصبع المعروف .

(٣) سالفة الذباب : مقدم عنقه ، والمراد أنه مثلها فى القصر ، وقد قال ثعلب : كنا عند ابن الأعرابى فأنشد قول جرير :

ويومٍ كإبهامِ القَطَاة تخايَلَتْ   ضُحاهُ وطابتْ بالعَشِىِّ أصائلُه

فعجبنا من تشبيهه قصر النهار بإبهام القطاة ، فقال ابن الأعرابى : أحسن منه ـ وهو الذى أخذ منه جرير ـ قول الآخر :

ويوم عند دارِ أبى نُعَيْمٍ   قصيرٌ مثل سالفةِ الذبابِ

وقد قال الزجاج : إن هذا نهاية فى الإفراط ، وخروج عن حدود التشبيه المصيب ، وأنشد فى «ديوان المعانى» لعون بن محمد بن إسحاق الموصلى :

ظللنا فى جوار أبى الجناب   بيوم مثل سالفة الذباب

(٤) هو من قول سعد بن ناشب :

إذا هَمَّ ألقى بينَ عينيه عزمَهُ   ونكّبَ عن ذكْرِ العواقبِ جانبا =

امتلأت نفسه سرورا ، وأدركته هزةٌ لا يمكن دفعها عنه ، ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب لك يسعى فى أمر على طرف نهر ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ، فأدخلت يدك فى الماء ثم قلت له: « أنظر هل حصل فى كفى من الماء شئ ؟ فكذلك أنت فى أمرك » كان لذلك ضربٌ من التأثير فى النفس وتمكينِ المعنى فى القلب زائدٌ على القول المجرَّد .

ومنها الاستطراف كما سيأتى(١) .

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشئ الواحد بأشياء عدة(٢) : نحو أن يعطيَكَ من الزنْد بإيرائه(٣): شبهَ الجوادِ والذكىّ والنُّجْحِ فى الأمور، وبإصلاده(٤): شبه البخيل والبليد والخيبة فى السعى ، ومن القمر: الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام :

لهْفِى على تلك الشواهد فيهما ... لو أُمْهِلتْ حتى تصيرَ شمائلا(٥)
لَغَدا سكونُهُما حِجًى وصباهُمَا ... حلْماً وتلك الأَرْيَحيَّة نائلا(٦)
ولأعقبَ النجم المُرِذُّ بديمةٍ ... و لعاد ذَاكَ الطَّلُّ جُوداً وابِلا(٧)

= والشاهد فى تشبيهه العزم بشئ محسوس يلقى أمام العينين بجامع العناية التامة بكل ، ولكن هذا من الاستعارة بالكناية لحذف المشبه به فيه وإثبات لازمه للمشبه .

(١) فى بيان الغرض من التشبيه .

(٢) هذا يدخل فى سبب من أسباب تأثير التشبيه، هو جمعه بين الأمور المتنافرة والمختلفة ؛ لأنه فيما ذكره يشبه أشياء مختلفة بشئ واحد .

(٣) إخراجه النار .

(٤) صوَّت ولم يخرج نارا .

(٥) اللهف : الحسرة ، والشواهد : أَمَارَاتُ الفضائل فيهما ، وكان يرثى ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا فى يوم واحد ، والشمائل : السجايا .

(٦) الحجَى: العقل ، والصبا : الفتوة ، والأريحية : خصلة تجعل صاحبها يرتاح إلى الأفعال الحَميدة ، والنائل : العطاء ، ويروى « وصباهما كرماً » ولكنه يتكرر مع قوله « نائلا » .

(٧) المُرِذُّ : اسم فاعل من أرذَّ بمعنى أمطر رذاذاً وهو المطر الخفيف، والدِّيمة: المطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق. والطل: المطر الضعيف، والجود: المطر الغزير، والوابل : المطر الشديد .

إنَّ الهـــــلالَ إذَا رَأيْتَ نُمُــــوَّهُ   أَيْقَنْتَ أنْ سَيَصِـــيرُ بَدْراً كَامِلا[١]

والنقصان عن الكمال ؛ كقول أبى العلاء المعرِّى :

وإن كنتَ تَبْغِى العيشَ فابْغِ توسُّطاً   فعِنْدَ التَّنَاهِى يَقْصُرُ المُتَطَـــاوِلُ[٢]

تُوَقَّ البدورُ النقصَ وهْى أهِلَّةٌ   ويدرِكُهَا النقصانُ وهْى كــوامِلُ[٣]

وتتفــرع من حالتَىْ كـماله ونقصــه فروعٌ لطيـفة ؛ كقــول ابن بابك فى الأستاذ أبى علىٍّ - وقــد استوزره وأبا العباس الضبِّىَّ فخــر الدولة بعد وفاة ابن عباد - :

وأعرتَ ثَوْبَ المُلْكِ شطْرَ كَمَالِهِ   والبدْرُ فى شطْرِ المسافةِ يَكْمُلُ[٤]

وقول أبى بكر الخُوارزمى :

أراك إذا أيْسرْتَ خيَّمْتَ عندَنَا   مُقِيمــاً وإنْ أعْسَرْتَ زُرْتَ لِماما

فما أنت إلا البَدْرُ إن قلَّ ضوْؤُه   أَغَبَّ وإن زادَ الضياءُ أقامَا[٥]

المعنى لطيف وإن لم تسـاعدْهُ العبـارةُ على ما يجب ؛ لأن الإغــباب أن

---

(١) هذا البيت محل الشاهد ؛ لأنه يشـبه ما كانا سيصيران إليه بحـال الهلال فيما يصير إليه من الكمال بعد النقصان .

(٢) التناهى : بلوغ النهاية ، والمتَطَاوِلُ : اسمُ فاعل من تَطَاوَلَ بمعنى تَمَدَّدَ .

(٣) هذا البيت مـحل الشاهد ، لأنه يُشَبِّهُ حال الشـخص فى أمنه من النقص عند التوسط فى العـيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهـايته بحال البدور فـى أمنها من النقص وهى أهلة وإدراكه لها بعد كمالها .

(٤) قوله « أَعَرْتَ » بمعنى أَعْطَيْتَ ، والشطر: النصف ، يعنى بذلك تدبيره نصف المملكة مع أبى العباس الضـبى ، والمراد تشبيه حال الملك فى كمـاله بذلك بحال البدر فى كماله عند بلوغه نصف مسافته ، وقيل : المراد تشبيه حال الممدوح نفسه فى كماله بتدبير نصف المملكة . وابن بابك : هو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك .

(٥) قوله « خيمت » بمعنى أقمت ، وأصل خيم نصب الخيمة أو أقام فيها . وقوله « زرت » لماما : بمعنى وقتاً بعد وقت ، وذلك لإظهار التـعفف عند العسر . ووجه الشبه إطالة المكث عند كثرة النفع وإقلاله عند قلته .

يتخلل بينَ وَقْتَى الحضور وقتٌ يخلو منه ، فإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يزال الطلوع فى كل ليلة ، بل يظهر فى بعض الليالى دون البعض، وليْس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السرار .

وكذا ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه وشعاعه فى نحو ما مضى من بيتى البحترى(١) وإلى ظهوره فى كل مكان ، كما فى قول أبى الطيب :

كالبدرِ من حيثُ التفتَّ وجدتَه ... يُهْدِى إلى عينَيْكَ نوراً ثاقباً(٢)

إلى غير ذلك (٣) .

أركان التشبيه : ثم النظر فى أركان التشبيه ، وهى أربعةٌ : (طرفاه، ووجهه، وأداته)، وفى الغرض منه . وفى تقسيمه بهذه الاعتبارات .

طرفا التشبيه : أما طرفاه فهما إما حسِّيّان ، كما فى تشبيه الخد بالورد ، والقَدّ بالرمح، والفيلِ بالجبلِ فى المُبْصَرات ، والصوتِ الضعيف بالهمس فى المسموعات ، والنكهةِ بالعنبرِ فى المشمومات ، والريق بالخمر فى المذوقات ، والجلدِ الناعم بالحرير فى الملموسات(٤) .

---

(١) قد سبقا فى ص ٧ ، ٨ .

(٢) الثاقب: المضئ أو النافذ فى كل مكان ، وقوله « كالبدر » يتعلق بالبيت قبله :

هذا الذى أبصرتَ منه حاضراً ... مثلُ الذى أبصرت منه غائبا

(٣) أى مما ينظر فيه إلى حالات القمر . هذا ومن فضائل التشبيه الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز ، كقولك « زيد أسد » تريد أنه متصف بالشجاعة وشهامة النفس وقوة البطش وغير ذلك مما يجمعه هذا التشبيه على إيجازه.

وقد قال ابن الأثير : إن التشبيه يجمع صفات ثلاثة : المبالغة، والبيان، والإيجاز .

ويجب أن يراعى ما سبق من أن التشبيه كغيره من أبواب البيان لا يحسن مع فضله إلا عند اقتضاء المقام له ، وأنه فى هذا يتأثر بحال الزمان والمكان ، ويتسع فيه المجال للتهذيب والتجديد ، وقد كان القدماء يشبهون الخدود بالورود ، فخالفهم المحدثون وشبهوا الورود بالخدود ، كما فى قول بعضهم (على بن الجهم) :

عشيَّة حيّانِى بوَرْدٍ كأنه ... خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعضِ

(٤) هذه أمثلة من الشعر لتشبيه الحسى بالحسى :

الخدُّ وردٌ والصدْغُ غاليةٌ ... والرِّيق خمر والثَّغْر كالدُّرر

هَزَزْنَ من القدود لنا رماحاً ... فخلين القلوبَ لها دَرَايا

لها بَشَرٌ مثلُ الحريرومنطقٌ ... رخيمُ الحواشِى لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

وإما عقليان ؛ كما فى تشبيه العلم بالحياة[1] .

وإما مختلفان؛ والمعقول هو المشبه ؛ كما فى تشبيه المنيةِ بالسبع[2]، أو العكس ؛ كما فى تشبيه العطْرِ بخُلق كريم[3] .

والمراد بالحِسِّيّ المُدْرَكُ هو أو مادّتُه بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ؛ فدخل فيه الخيالىّ[4] كما فى قوله :

وكأنَّ مُحْمَرَّ الشقيـــ ـــق إذا تَصَوَّبَ أو تَصَعَّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ نَ على رماحٍ مِن زَبَرْجَدْ[5]

وقوله :

كُـــلُّـــنا باسطُ اليـــدِ نحوَ نَيْلوفَرٍ نَـــــدِى

---

(١) من ذلك قول الشاعر :

تُشرق أعراضهمُ وأوجُهُهم كأنَّها فى نُفُوسهم شِيَمُ

فى تشبيه الأعراض بالشيم ، أما تشبيه الوجوه بها فَمِن الحِسِّيِّ بالعقلى .

(٢) من ذلك قول الشاعر :

الرأىُ كالليل مسودٌّ جَوَانبُهُ والليل لا يَنْجَلِي إلا بإصْبَاحِ

(٣) سيأتى فى قول الصاحب :

أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

وقد تشبه الأرض بذلك أيضاً ، كما فى قول الشاعر :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتُها وقد كحَّل الليلُ السماكَ فأبصرا

ومن العلماء مَن ينكر تشبيه المحسوس بالمعقول ؛ لأن المشبه به يجب أن يكون أظهر من المشبه ، وقد حمل ما جاء منه على المبالغة فيكون من التشبيه المقلوب الآتى ، ومن العلماء من يستحسنه لما فيه من اللطافة والرقة فلا يكون عنده دائمًا من التشبيه المقلوب . هذا وكان من الواجب أن يعنى ببيان منزلة تلك الأقسام فى التشبيه؛ لأن سردها من غير بيان ذلك ليس فيه فائدة ، والمقرر فى ذلك أن التشبيه كلما كان أدخل فى باب المعنويات كان أكمل .

(٤) هو المركب الذى توجد أجزاؤه فى الخارج دون صورته المركبة ، فتكون مادته مدركَة بالحس دون صورته لعدم وجودها .

(٥) هما لأبى بكر أحمد بن محمد بن الحسن الضَّبِّىّ المعروف بالصنوبرى ، والشقيق : نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان ، وقد أفرده لضرورة الشعر ، وقوله « تصوب أو تصعد » بمعنى مال إلى أسفل وإلى أعلى فـ «أو» فيه بمعنى الواو ، والياقوت: حجر نفيس تختلف ألوانه والمراد هنا الأحمر ، والزبرجد : حجر نفيس أشهره الأخضر وهو المراد هنا ، والخيالى فى ذلك هو المشبه به .

كدبابيـــــس عَســـــْجَدٍ قُضْبُـــــها من زَبَرْجَـــد [1]

والمراد بالعقلى ما عدا ذلك ، فدخـل فيه الوهمى ؛ وهو ما ليس مُدْرَكاً بشىء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أُدْرِك لم يُدْرَكْ إلا بها [2] كما فى قول امرىء القيس :

ومسنونةٌ زرق كأنياب أغوال [3]

وعليه قوله تعـالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رءوسُ الشَّيـاطين ﴾[4] ، وكذا مـا يدْرَكْ بالوجدان [5] كاللذة والألم والشبع والجوع .

وجه التشبيه : وأما وجهه فهو المعنى الذى يشتـرك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخييلا ، والمراد بالتخـييل ألاّ يمْكن وجوده فى المشبه به إلا على تأويل [6] كما فى قول القاضى التّنوخىّ :

وكأنّ النجُــومَ بين دُجاهَـــا سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنّ ابْتِــداعُ [7]

---

(١) هما للصنوبرى أيضـاً ، والنيلوفر : هو البَشْنين ، وهو نبـات ذو رائحة ينبت فى الماء الراكد أصله كالجزر وساقـه أملس أخضر فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر وزهرُه أحمـر مشوب بصفـرة ، والدبابيس : جمع دبوس وهو عصـا فى رأسها كـالكرة ويسمى مقمعة ، والعسجد : الذهب أو جوهر كالدر والـياقوت . والخيالى هو المشبه به أيضاً .

(٢) فعدم إدركه بها إنما هو لعدم وجوده ، وبهذا يمتاز عن العقلى الخالص .

(٣) هو من قوله :

أَيَقْتُلنى والَمْشْرَفِىُّ مُضاجعى ومَسْنُونَةٌ زُرْقُ كأنياب أَغْوَالِ

وقد مـضى فى الكلام على الاستفـهام فى باب الإنشـاء ، والوهمى فى ذلك هو المشبه به .

(٤) آية ٦٥ سورة الصافات . والشـاهد فى الآية على أن المراد بالشياطين: الجن ، وقيل إن رؤوس الشياطين ثمر شجر منكر الصورة يسمى الأستن .

(٥) هو ما يدرَك بالحواس الباطنة من المعانى الجزئية .

(٦) التأويل بمعنى التخيـيل وهو جعله غير المحقَّق محققاً ، ولـم يقيد السعد ذلك بالمشبه به بل جعله عاماً فى أحد الطرفين أو كليهما .

(٧) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم ، وفى الشطر الثـانى قلبٌ، والأصل سنن لاحت بين ابتـداع ؛ لأن هذا هو الموافق لوجـود النجوم بين الدجى . والقاضى التنوخى هو على بن محمد بن داود بن فهم .

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مُشرِقة بيض فى جوانب شيء مظلم أسود ؛ فهى غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهلٌ يجعل صاحبَها فى حكم من يمشى فى الظلمة ، فلا يهتدى إلى الطريق ولا يفصل الشيء من غيره ، فلا يأمن أن يَتَرَدَّى فى مَهـوَاة أو يعثـر على عدو قاتل أو آفة مُهلكة ، شبِّهتْ بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يُشبه السنة والهدى وكل ما هو علمٌ بالنور ، وعليهما قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجهمْ من الظُّلمات إلى النُّور ﴾[1] وشاع ذلك حتى وُصِف الصنفُ الأول بالسواد ، كما فى قول القائل: « شاهدت سواد الكفر من جبين فلان » والصنف الثانى بالبياض و كما فى قول النبى ﷺ : « أتيتكم بالحنيفيَّة البيضاء » وذلك لتخييل أن السنن ونحوَها من الجنس الذى هو إشراق أو ابيضاضٌ فى العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم ما بين الدياجى بالسنن ما بين الابتداع كتشبيه النجوم فى الظلام ببياض الشيب فى سواد الشباب ، وبالأنوار[2] مؤتلقة بين النبات الشديد الخضرة ؛ فالتأويل فيه أنه تخيل ما ليس بمتلوِّن متلوناً ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يُتأوّل بأنه أراد معنى قولهم « إن سواد الظلام يزيد النجوم حسناً » فإنه لما كان وقوف العاقل على عوَار الباطل يزيد الحق نُبلاً فى نفسه وحسناً فى مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المعقول مثالاً للمشاهَد المُبصَر هناك ، غير أنه لا يَخرُج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر ؛ لأن الظاهر أن يمثِّل المعقول فى ذلك بالمحسوس[3] كما فعل البحترى فى قوله :

وقَدْ زَادَها إفراطَ حسنٍ جِوارُها　　خلائقَ أصفارٍ من المجدِ خُيَّبِ[4]

---

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر الأبيض أو الزهر مطلقاً .

(٣) المعقول هو زيادة حسن الحق ، والمحسوس هو زيادة حسن النجوم .

(٤) تقدير البيت : وقد زادها جوارها خلائق أصفار من المجد خيب إفراط حسن ؛ فإفراط مفعول لزاد مقدم على فاعله وهو جوارها ، وخلائق مفعول لجوارها ، ومن المجد متعلق بأصفار لأنها بمعنى خالية جمع صفر .

وحُسْنُ دراريّ الكواكبِ أن تُرَى طَوَالِعَ فى داجٍ من الليلِ غيْهبِ (١)

ومن التشبيه التخييلى قول أبى طالب الرّقىّ :

ولقد ذكرتُكِ والظلامُ كأنــه يومُ النّوَى وفؤادُ مَنْ لَم يعْشقِ (٢)

فإنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعاً ؛ فيقال: « اسودّ النهار فى عينى وأظلمت الدنيا علىّ »، وكان الْغَزِلُ يدَّعى القسوة على من لم يعشق، والقلب القاسِى يُوصَفُ بالسواد توسعاً ، تَخيَّلَ يومَ النوى وفؤادَ من لم يعشق شيئين لهما سواد ، وجعلهما أعرفَ وأشهَر من الظلام ،فشبهه بهما .

وكذا قول ابن بابك :

وأرضٍ كأخلاقِ الكرَام قَطَعْتُها وقَدْ كحّل الليلُ السِّماكَ فأبْصَرَا (٣)

فإن الأخلاق لما كانت توصفُ بالسّعة والضيق تشبيهاً لها بالأماكنِ الواسعة والضيقة ، تخيل أخلاق الكرام شيئاً له سعة وجُعل أصلاً فيها ، فشبه الأرض الواسعة بها . وكذا قول التّنوخىّ :

فانهضْ بنارٍ إلى فحمٍ كأنهما فى العينِ ظلمٌ وإنصافٌ قد اتّفقا (٤)

فإنه لما كان يقال فى الحق:« إنه منير واضح »، فيستعار له صفة الأجسام المنيرة ، وفى الظلم خلاف ذلك ، تخيّلَهُما شيئين لهما إنارة وإظلام ؛ فشبه

---

(١) الدرارى : جمع درى وهو الكوكب الثاقب المضىء كالدر ، والداجى : المظلم ، والغيهب : الشديد السواد . والمراد تشبيه هيئة وجود خلائق لها مجد بين خلائق خالية منه بهيئة وجود درارى الكواكب فى ليل غيهب ، فشبه المعقول فى هذا بالمحسوس .

(٢) هو من تشبيه المحسوس بالمعقول ، وأبو طالب الرقى من شعراء اليتيمة : يتيمة الدهر للثعالبى .

(٣) السماك : الأعزل . والرامح : نجمان نيّران ، وضمير « أبصرا » يعود إليه ، يعنى أنه فتح وظهر ، وفى البيت تشبيه محسوس بمعقول ، وابن بابك هو عبد الصمد ابن منصور .

(٤) هو من قطعة له فى وصف البرد ، وفيه تشبيه محسوس بمعقول ، وقد سبق التعريف بالقاضى التنوخى .

النار والفحم مجتمعَيْنِ بهما مجتمعين . وكذا ما كتب به الصاحب إلى القاضى أبى الحسن (١) وقد أهدى له الصاحب عطْر الْقُطْر :

يا أيهُا القاضى الذى نَفْسى له مع قُرْب عَهد لقائه مُشْتَاقَهْ
أهديتُ عطْراً مثلَ طيبِ ثنائه فكأنّماَ أهْـدى له أخلاقَهْ

فإنه لما كان الثناء يُشَبَّه بالعطر ويشْتق له منه ، تخيله شيئاً له رائحة طيبة، وشبّه العطر به ليوهِمَ أنه أصْلٌ فى الطيب وأحق به منه . وكذا قول الآخر :

كأنّ انْتضاءَ البدرِ من تحتِ غيْمه نجاءٌ من البأساءِ بعدَ وُقُوعِ (٢)

فإنه لما رأى الخلاص من شدةٍ يشبَّه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره عنه ؛ قلب التشبيه ليُرِىَ أن صورة النجاء من البأساء ـ لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب ـ أعْرَفُ من صورة انتضاء البدْر من تحت غيمه .

وإذا عُلِم أن وجهَ الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان عُلِمَ فسادُ جعله فى قول القائل: « النحو فى الكلام كالملح فى الطعام » كونَ القليل مصلحاً والكثير مفسداً ؛ لأن القلة والكثرة إنما يُتصوّر جريانهما فى الملح - وذلك بأن يُجْعل منه فى الطعام القدر المصلح أو أكثر منه - دون النحو ، فإنه إذا كان مِنْ حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلاً فإن وجد ذلك فى الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه وصار منتفَعاً به فى فهم المراد منه ، وإلا لم يحصلِ وكان فاسداً لا يُنتفع به ، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً لاشتراكهما فى ذلك .

ومما يتصل بهذا ما حُكى أن ابن شرف القيْروانى أنشد ابنَ رشيق قوله :

غَيْرِى جَنَى وأنا المُعَاقَبُ فِيكُمُ فكـأنّنى سبّابـةُ المُتَنَـدمِ (٣)

---

(١) يعنى الصاحب إسماعيل بن عباد ، والقاضى على بن عبد العزيز .

(٢) نسبه ابن المعتز فى البديع للعلوى الأصفهانى وهو محمد بن أحمد المعروف بابن طباطبا ، والانتضاء : الانكشاف ، والنجاء : الخلاص ، والبأساء : الشدة ، وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول أيضاً .

(٣) السبابة : إصبع معروف ، يعنى أن الشخص يعضها إذا ندم على شىء فاته ولا ذنب لها فى ذلك . وابن رشيق اسمه الحسن ، وابن شرف البقروانى هو اسمه محمدُ بن سعيد.

وقال له : هل سمعتَ هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيق : سمعتُه وأخذتَه أنت وأفسدتَه ؛ أما الأخذ فمن النابغة الذُّبيانيّ يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً وهل يأثَمَنْ ذو إمّةٍ وهْو طائع (١)

لكلّفْتَنى ذنبَ امرىءٍ وتركتَهُ كذى العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهْو راتع (٢)

وأما الإفساد؛ فلأن سبابة المتندم أول شيء يتألم منه؛ فلا يكون المعاقب غير الجانى ، وهذا بخلاف بيت النابغة؛ فإن المكْوِيّ من الإبل يألم وما به عرٌّ ألْبتّةَ ، وصاحب العُرّ لا يألم جملةً (٣) .

الوجه الداخل فى الطرفين والخارج عنهما :

وهو إمّا غيرُ خارج عن حقيقة الطرفين، أو خارج. والأول إما تمام حقيقتهما كما فى تشبيه إنسان بإنسان فى كونه إنساناً، أو جزئهما؛ كما فى تشبيه بعض الحيوانات العجْم بالانسان فى كونه حيوانا. والثانى صفةٌ إما حقيقية أو إضافية (٤)، والحقيقة إما حسية؛ وهى الكيفيات الجسمية مما يدْرَك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحُسْنِ والقبح وغير ذلك، أو بالسمع من الأصوات القوية والضعيفة والتى بَيْن بَيْن، أو بالذوق من أنواع الطعوم، أو بالشم من أنواع الروائح، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما ينضاف

(١) الإمة : الدّين أو النعمة أى ذو نعمة أسديت إليه ، وقد تضم همزته .

(٢) العر : بضم العين وفتحها الجرب ، وقيل إنه بالفتح : الجرب ، وبالضم : قروح مثل القوباء ، وهى التى يُكْوَى منها لذلك لا الجرب ، وقد كان العرب يفعلون ذلك قديماً لجهلهم ثم تركوه ، وقيل : إنه مثل لا حقيقة . والراتع : اسم فاعل من رتع بالمكان؛ إذا أقام فيه وأكل وشرب .

(٣) الحق أن هذا النقد يقوم على تعمق فى التدقيق لا يحتمله مقام الأدب ، وكلام العرب يقوم كثير منه على التوسع والتجوز .

(٤) الصفة الحقيقية كل هيئة متمكنة فى الذات متقررة فيها ، والصفة الإضافية كل معنى يتعلق بشيئين بحيث يتوقف تعقله على تعقلهما .

إليها ، وإما عقلية كالكيفيات النفسية من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم وما جرى مجراها من الغرائز والأخلاق . والإضافية كإزالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس (١) .

الوجه الواحد وغيره والحسى والعقلى :

تقسيم آخر باعتبار آخر : وجه الشبه إما واحد أو غير واحد ؛ والواحد إما حسى أو عقلى ، وغير الواحد إما بمنزلة الواحد لكونه مركَّباً من أمرين أو أمور ، أو متعدد غير مركب ، والمركب إما حسى أو عقلى ، والمتعدد إما حسى أو عقلى أو مختلف .

والحسى لا يكون طرفاه إلا حسيين ؛ لامتناع أن يدرَك بالحس من غير الحسيّ شئٌ ، والعقلى طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان؛ لجواز أن يُدْرَك بالعقل مِن الحسىّ شىءٌ ، ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلى أعمّ من التشبيه بالوجه الحسى .

قال الشيخ صاحب المفتاح (٢) : « وها هنا نكتة لا بد من التنبه لها ؛ وهى أن التحقيق فى وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلى ؛ وذلك أنه متى كان حسياً – وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً فى الطرفين ، وكل موجود فله تعيُّن – فوجه الشبه مع المشبه متعيِّن ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به ؛ لامتناع حصول المحسوس المعيَّن ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه إن شئتَ ، وهو استلزامه إذا عُدمتْ حمرة الخد دون حمرة الورد ، أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معاً ، وهكذا فى أخواتها ، بل يكون (٣) مثله مع المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان

---

(١) فإزالة الحجاب أمر نسبى يتعلق بالمزيل والمزال ، والأول هو الشمس أو الحجة ، والثانى هو الحجاب الحسى أو المعنوى .

ولهذا التقسيم فائدة فى الفرق بين التشبيه والتمثيل عند عبد القاهر ، كما سيأتى فى تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل .

(٢) ١٧٩ – المفتاح – المطبعة الأدبية .

(٣) معطوف على قوله « فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به » .

شيئاً واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحد ، فيلزم أن يكون أمراً كلياً مأخوذاً من المثلين بتجريدهما عـن التعين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلىّ ، ويمتنع أن يقال : فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين فى الطرفين (١) ؛ فإن المثلين متشابهان فمعهما وجه تشبيه؛ فإن كان عقلياً كان المرجع فى وجه الشبه العقلُ فى المآل ، وإن كان حسياً استلزم أن يكون مع المثلين مثلان آخران ، وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل . » هذا لفظه ، ويمكن أن يقال : المراد بكونه حسياً أن تكون أفراده مُدْرَكَةً بالحس (٢) كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر وإن كان هو نفسه غير مُدْرَك به ولا بغيره من الحواس .

الواحد الحِسّىّ : الواحد الحسى كالحمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس فى تشبيه الخد بالورد ، والصوت الضعيف بالهمس ، والنكهة بالعنبر ، والريق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير ، كما سبق (٣) .

الواحد العقلى : والواحد العقلى كالعراء عن الفائدة فى تشبيه وجود الشىء العديم النفع بعدمه ، وجهةُ الإدراك فى تشبيه العلم بالحياة - فيما طرفاه معقولان - والجراءة فى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتداء فى تشبيه أصحاب النبى ﷺ ورضى عنهم بالنجوم (٤) فيما طرفاه محسوسان - والهداية فى تشبيه العلم بالنور (٥)، وتحصيل ما بين الزيادة والنقصان فى تشبيه العدل بالقسطاس - فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس - ، واستطابة

---

(١) أى من غير أن يكون هناك وجه مشترك بينهما .

(٢) اُعتُرِضَ على هذا بأنه فى الحقيقة اعتراف بأن وجه الشبه عقلى كما قال السكاكى ، وإنى أرى أن هذا البحث كله مماحكة لفظية لا يحتمل مثلها هذا العلم .

(٣) فيما طرفاه محسوسان ، ومن ذلك قول الشاعر :

فوجهكَ كالنار فى ضوئها وقَلْبى كالنّار فى حَرّها

(٤) فى قوله ﷺ : « أَصحابى كالنُّجُوم بأيّهِمُ اَقتدَيْتُم اهتدَيتم »

(٥) كما قال الإمام الشافعى :

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفْظِي فأرشدَنِي إلَى تَرْك المَعَاصِي
وأخْبَرَنِي بأنّ العِلْمَ نُورٌ ونُورُ الله لا يُهْدَى لِعَاصِي

النفس فى تشبيه العطر بخلق كريم [١] ، وعدم الخفاء فى تشبيه النجوم بالسُّنن[٢] فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول - قال الشيخ صاحب المفتاح [٣] : « وفى أكثر هذه الأمثلة فى معنى وحدتها تسامح » [٤] .

المُرَكَّب الحسِّىّ : والمركب الحسى طرفاه إما مفردان ؛ كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكُرِّى ، والمقدار المخصوص فى قول ذى الرُّمة :

وَسِقْطٍ كعينِ الديكِ عاوَرْتُ صاحبى أبَاها وهيَّأنا لموقعِها وكْرا [٥]

وكالهيئه الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص فى قول أحيْحة بن الْجلاح أو أبى قيس بن الأسلت :

وقد لاح فى الصبحِ الثُّريَّا كما تَرَى كعنْقودِ مُلاَّحيَّةٍ حين نَوَّرا [٦]

---

(١) أى فى قول الشاعر فيما سبق :

أهديت عطرًا مثلَ طيبِ ثَنَائِه فكأنَّما أُهدى له أخلاقَه

(٢) أى فى قول الشاعر فيما سبق :

وكأنّ النجومَ بين دُجَاها سننٌ لاح بينَهُنّ ابتِدَاعُ

(٣) ١٨٠ - المفتاح .

(٤) لأن فيه نوع تركيب إضافى ، وهذا كخفاء الصوت ولذة الطعم واستطابة النفس . وأجيب عن ذلك بأن الكلام فى مطلق المفرد لا فى المفرد المَحض .

(٥) السقط : النار الساقطة من الزند ، وهى تنزل منه ووسطها أسود وحافتها حمراء كعين الديك ، وقوله - عاورت : بمعنى ناوبت ، وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين فيضعوا أحدَهما أسفل ويسموه أنثى ، ثم يَفْرضوا فيه فرضاً ويجروا فيه عوداً آخر يسمونه أبا ، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبوه . والوكر : ما تُودع فيه النار بعد خروجها . وذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن مسعود .

(٦) الملاحية : عنب أبيض فى حَبِّه طول . وقوله « نَوَّرَ » بمعنى أدرك نضجه ، وكاف التشبيه هى التى فى قوله « كعنقود » أما الكاف قبلها فبمعنى على ، وتقييد كل من المشبه والمشبه به بما قيد به لا ينافى كونه مفرداً ؛ لأن المراد بالمفرد ما ليس هيئة مُنتزَعة من متعدد . وأبو قيس : هو صيفى بن عامر ، والأسلت لقب أبيه ، وقيل : إن البيت لقيس ابن الخطيم .

وإما مركبان ؛ كالهيئة الحاصلة من هَوِىِّ أجـرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار :

كأنَّ مُثَار النقعِ فوقَ رُءوسِنا وأَسْيافَنَا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهْ (١)

وكالهيـئة الحاصلة من تفـرُّق أجرام متلألئة مـستديرة صغـار المقادير فى المَرْأَى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة فى قول أبى طالب الرَّقِّىِّ :

وكأنَّ أجرامَ النجومِ لوامِعاً دُرَرٌ نُثِرْن على بُساطٍ أزرق (٢)

وإما مختلفان ، كما فى تشبيه الشاة الْجبلى (٣) بحمار أبتر مشقوق الشفة والحـوافر نابتٍ على رأسـه شجـرتا غَضـاً ، وكمـا مر فى تشـبـيـه الشقـيق والنَّيْلوفر (٤) .

ومن بديع هذا النوع - أعنى المركب الحسى - ما يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين : أحـدهما أن يُقْرَن بالحركة غيرُها من أوصاف الجسم كالشكل واللون ؛ كما فى قوله :

والشمسُ كالمرآةِ فى كفِّ الأشَلّ (٥)

---

(١) هو لبـشار بن برد . ومثار : اسم مـفعول من أثاره بمعـنى هيَّجه ، والنقع : الغبار ، وقوله تهاوى : بمعنى تتساقط أصله تتهاوى ، والواو فى قوله « وأسيافنا » إما واو المعية أو عاطفة متضمنة معنى مع ؛ لأن الواو التى لخالص العطف لا تكـون فى المركب ، وإنما تكون فى المتعدد .

(٢) يريد لوامعاً فى السماء حتى يـكون هناك زرقة فى المشبه أيضـاً ، وقد حُذف للعلم به . وقد سبق التعريف بأبى طالب الرقى .

(٣) هو الثور الوحشى . (٤) انظر ص١٤ .

(٥) قيل : إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبى النجم :

والشمسُ كالمرآةِ فى كفِّ الأشلّ لَـمَّا رأيتها بدت فَوْقَ الجَبَلْ

وقد ورد فى الخـزانة - شاهد ٢٩١ - منسوبا إلى جبـار بن جزء ، والمراد بالأشل المرتعش اليد ؛ لأن المرآة إنما تؤدى هذه الحركـة فى كفه ، والشـلل فى الأصل يبس اليـد أو ذهابها ، وقد يطلق على ارتعاشها ، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها .

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التموُّج والاضطراب ، حتى يُرى الشعاع كأنه يهمُّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ؛ فإن الشمس إذا أحدَّ الإنسانُ النظرَ إليها ليتبين جرمها ، وجدها مؤدِّية لهذه الهيئة ، وكذا المرآة إذا كانت فى يد الأشَلّ .

ومثله قول المُهلّبىّ الوزير :

والشمسُ مِن مَشْرِقها قد بَدتْ مشْرقةً ليس لها حَاجِبُ (١)

كأنها بَوْتَقَةٌ أُحْمِيَتْ يَجُول فيها ذهبٌ ذائبٌ (٢)

فإن البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكَّل بشكلها فى الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهمُّ بأن ينبسط حتى يفيضَ من جوانبها لما فى طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء . وكما فى قول الصَّنوبرىّ :

كأنَّ فى غدْرانِها حواجِباً ظَلّت تُمَطُّ (٣)

أراد ما يبدو فى صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ، ثم تمتد امتداداً يُنقص من انحنائها فينقلها من التقوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شىء

---

(١) المراد بالحاجب السحاب لأنه يمنع الشمس من الإشراق .

(٢) البوتقة : ما يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة . والمهلبى الوزير : هو الحسن بن محمد ، ينتهى نسبه إلى المهلب بن أبى صفرة .

(٣) الغدران : الأنهار ، وقوله « تمط » بمعنى تمد ، يصف أرضاً بأن أنهارها تهب عليها الرياح فيظهر على صفحاتها أشكال كأنها حواجب لها تقوُّس وامتداد . والصنوبرى هو أبو بكر أحمد بن محمد .

بالحواجب إذا امتــدت؛ لأن للحاجب كما لا يَخْفَى تقــويساً ، ومَدُّه يُنقِص من تقويسه .

والوجه الثـانى أن تُجرَّد هيـئةُ الحركــة عن كل وصف غيرهــا للجسم ، فهناك أيضاً لا بد من اختــلاط حركات كثيرة للجّسم إلى جهــات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضــه إلى الشمال وبعضه إلى العُلوّ وبعضه إلى السفل ، فحــركة الرَّحا والدّولاب (١) والسهم لا تركيب فيــها لاتحاد الحركة ، وحركة المصحف فى قول ابن المعتز :

وكأن الْبرْقَ مصْحفُ قارٍ فانطباقاً مَرَّةً وانفتاحا (٢)

فيها تركيب؛ لأنه يتــحرك فى الحالتين إلى جهتين (٣) فى كل حالة إلـى جهة .

وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبغاض الجسم إليها أشد كان التركــيب فى هيئــة المتحرك أكــثر . ومن لطيف ذلك قــول الأعشى (٤) يصف السفينةَ فى البحر وتقاذفَ الأمواج بها :

تَقِصُّ السَّفِينُ بجانبيه كما ينْزُو الرِّبَاحُ خَلاَ لَهُ كَرَعُ (٥)

قال الشيخ عبد القاهر (٦) : الرباح : الفصيل ، والكَرَعُ : ماء السماء ؛

---

(١) الدُولاب : الســاقيــة وهى آلة يستــعملهــا الفلاح المصــرى فى سقــى الأرض والزرع .

(٢) هو لعبــد الله بن المعتــز ، و (قار) مخــفف قارىء قلبت همــزته ياء ثم أعل إعلال قاض ، والفاء فى قــوله « فانطباقا » للتفريع ، وتحرك المــصحف فى حالة الانطباق إلى جهة العلو وفى حالة الانفتاح إلى جهــة السفل ، ووجْهُ الشبه تقارنُ هذه الحركات مع تكررها .

(٣) جهة العلو فى حالة الانطباق ، وجهة السفل فى حالة الانفتاح .

(٤) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس .

(٥) قوله تقص : بمعنى تثبُ ، والسفين : اسم جنس واحــده سفينة ، وكرع : فاعل خلا ، وقيل إنه بكسر الخاء والأصل خلال الكرع ، فيكون فى البيت قلب .

(٦) ٢١ - أسرار البلاغة - مطبعة الاستقامة .

شبّه السفينة فى انحدارها وارتفاعهـا بحركات الفصيل فى نزوِّه ؛ فإنه يكون له حينئذ حـركات متفاوتة تصيـر لها أعضاؤه فى جهات مـختلفة ، ويكون هناك تسفُّلٌ وتصعُّدٌ على غير ترتيب ، وبحيث يدخل أحدهما فى الآخر ، فلا يتبينه الطَّرْفُ مرتفعاً حتى يراه مُتَسَفِّلاً ، وذلك أشبهُ شىء بحال السفينة وهيئة حركتها حين تتدافعها الأمواج . ومنه قول الآخر :

حُفَّتْ بسروٍ كالْقِيانِ تَلحَّفتْ خـضُرَ الحرير على قَـوامٍ مُعتدلْ

فـكأنَّـها والريحُ جاء يُميلها تبغى التّعانُقَ ثم يمنعها الخجلْ (١)

فإن فيه تفصـيلا دقيقا ؛ وذلك أنه راعى الحركتين : حركـة التهيؤ للّدنُوِّ والعناق ، وحركة الـرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدَّى ما يكون فى الـثانية من سرعـة زائدة تأديةً لطيفة ؛ لأن حركـة الشجرة المعـتدلة فى حال رجوعـها إلى اعـتدالهـا أسرع لا مـحالة من حـركتـها فى حـال خروجـها عن مكانهـا من الاعتـدال . وكذلك حركة مَن يُدركه الخـجلُ فيرتدع أسرعُ من حركة من يهمُّ بالدنوّ ؛ لأن إزعاج الخوف أقوى أبداً من إزعاج الرجاء .

ومما مذهبهُ السهلُ الممتنع مِن هذا الضرب قول امرىء القيس :

مِـكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مـدْبـرٍ معـاً كجلْمود صخر حطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِ(٢)

يقول : إن هذا الفرس لفرط ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى

---

(١) هما للأخيطل الأهوازى الملقب بـبرقوقا . وقيل إنهمـا لأحمد بـن سـليـمـان بن وهب . وقيل إنهما لابن المعتز . والضميـر فى « حفت » لروضة يصفها ، والقيان : جمع قينة وهى الجارية ، وهن يُشَبَّهن فى اعتدال القـدّ بالسرو ، وقد يشبه السرو بهن فى ذلك فيكون من التـشبيه المقلوب ، وقـوله « تلحفت » بمعنى اتخذت لحـافا ، والخجل : الحياء .

(٢) المكر : السريع الكرّ . يقال « كر الفارس على العدو » بمعنى حمل وانقضَّ ، والمفر: السريع الفرّ ، وعلى : بمعنى فوق .

كَفَلَه فى الحال التى ترى فيها لَبَبَه ، فهو كـجلمود صخر دفعه السيل من مكان عال ؛ فإن الحجر بطبعه يطلب جهة السفل لأنها مَركزه ، فكيف إذا أعانته قوةُ دفع السيل من عل ، فهو لسرعة تقلبه يُرَى أحد وجهيه حين يُرَى الآخر .

وكمـا يقع التركـيب فى هيئة الحـركة قـد يقع فى هيئة الـسكون ؛ فمن لطيف ذلك قول أبى الطيب فى صفة الكلب :

يُقْعِى جلوسَ البدوىِّ المُصْطَلِى [١]

وإنما لطفَ من حـيث كـان لكل عضـو من الكلـب فى إقـعـائه مـوقع خاص ، وللمجموع صورة خاصة مؤلَّفة من تلك المواقع .

ومنه البيت الثانى من قول الآخَر فى صفة مصلوب :

كأنه عاشقٌ قد مَـدَّ صـفْحتَـه يومَ الوَدَاع إلى توديع مـُرْتَحِلِ
أو قائمٌ مِن نعاسٍ فيه لُوثَتهُ مُواصِلٌ لِتَمَطّيه من الكَسل [٢]

والتفصيل فيه أنه شبَّهه بالمتـمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو اللُّوثَة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجـهات الثلاث [٣] ، ولو اقتصر على أنه كالمتـمطى كان قريب التناول ؛ لأن هذا القدر يقـع فى نفس الرائى للمصلوب ابتداءً ؛ لأنه من باب الجملة .

---

(١) هو من قوله :

يقْعى جلوس البدوىّ الْمصْطلى بأربعٍ مجـــدولةٍ لم تجْدلِ

وقوله « يقـعى » بمعنى يجلس على أَلْيَيْه ، والمصطلى : المستـدفىء ، والمجدولة : المحكمة الخلق ، وقـوله « لم تجدل » بمعنى لم تجمع كمـا يكون فى غير صـورة الإقعاء ، يقال - جدل الشّعر - بمعنى ضـفره ، ووجه الشبه هو الهيئة الحـاصلة من وقوع كل عضو منهما فى موقع خاص .

(٢) همـا للأخيطل الأهوازى الملـقب ببرقـوقا ، والصـفـحـة : باطـن الكف ، واللوثة : الاسترخاء ، وهذا مثال لهيئة السكون المضاف إليها غيرها من أوصاف الجسم .

(٣) هى التمطى ، ومواصلته ، والتعرض لسببه .

وشبيه بهذا القول قول الآخر :

لم أر صَفّاً مثل صَــفِّ الزُّطِّ تسعين منهم صُلبوا فى خَطِّ
مِن كل عالٍ جِذْعهُ بالشط كأنه فى جِذعِـــه المُشتط
أخو نعاسٍ جَــدَّ فى التمطّى قد خامره النومُ ولم يَغُطِّ (١)

والفَرْقُ بين هذا والأول (٢) أن الأول صريحٌ فى الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، والثانى بالعكس .

قال الشيخ عبد القاهر (٣) : «وشبيهٌ بالأول فى الاستقصاء قول ابن الرومى فى المصلوب أيضاً :

كأن له فى الجَوِّ حبلاً يَبُوعُه إذا ما انقضَى حَبْلٌ أُتيح له حَبْلُ (٤)

فقوله « إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل » كقوله « مواصل لتمطيه من الكسل » فى التنبيه على استدامة الشبه ؛ لأنه إذا كان لا يزال يبوع حبلاً لم يقبض باعه ولم يرسل يده ، وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

المركب العقلى : والمركب العقلى كالمنْظر المُطْمع مع المَخْبَر المؤيس الذى هو على عكس ما قُدّر فى قوله تعالى (٥): ﴿ والذينَ كفرُوا أعْمالُهم كسرابٍ

(١) الأبيات لدعبل بن على الخزاعى ، والزط : طائفة من الهند صُلِبَ منهم هذا العدد فى خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وكانوا قد خرجوا على المعتصم فشردهم ، ويعرفون بالنَّوَر أو بالغجر ، فقوله « من كل عال » صفة لخط ، وقوله « جذعه » فاعل عال ، وقوله « بالشط » صفة له ، والضمير فى قوله « كأنه » للواحد من المصلوبين ، والمشتط : الخارج فى طوله عن الحد ، وقوله « خامر » بمعنى خالط أى خالطه النوم ، وقوله « لم يغط » بمعنى لم يتخر ويتردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله .

(٢) يعنى بهذا قول دعبل ، وبالأول قول الأخيطل . (٣) ٢١٦ - أسرار البلاغة .

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى . وقوله « يبوعه » : بمعنى يقيسه بالباع ، وقوله « أتيح » بمعنى هُيِّئ . (٥) سورة النور : ٣٩ .

بقيعة يحْسبهُ الظمآنُ ماء حتى إذا جاءهُ لم يجدْهُ شيئاً ووجَد اللهَ عندهُ فوفّاه حسابهُ ﴾ شبّه ما يعمله مَن لا يقرن الإيمان المُعتبَر بالأعمال التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقَى خلافَ ما قدَّر بسراب يراه الكافر بالساهرة (١) وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيغلُّونه (٢) إلى جهنم، فيسقونه الحميمَ والغسّاقَ ، فهو كما ترى منتزَع من أمورٍ مجموعة قُرِن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الكافر فعلٌ مخصوص وهو حسبان الأعمال نافعة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهى صورة الأعمال الصالحة التى وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسله عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم فى العاقبة شيئاً ، وأنهم يَلقون فيها عكس ما أمَّلوه وهو العذاب الأليم ، وكذا فى جانب المشبه به (٣) .

وكحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه ، كما فى قوله تعالى: ﴿ مثلُ الذينَ حُملوا التَوْراة ثم لم يحْملوها كمثلِ الحمار يحمل أسفاراً ﴾ (٤) فإنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قُرِنَ بَعْضُها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الحمار فعلٌ مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهى الأسفار التى هى أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا فى جانب المشبه .

● **دقيقةٌ فى الوجه المركب :** واعلم أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمورٌ يُظنُّ أن المقصود أمرٌ مُنتزعٌ من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعاً من جميعها ،

(١) الساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، سُمِّيت بذلك لأن السراب يجرى فيها ، من قولهم « عين ساهرة » جارية الماءْ .

(٢) يقودونه بعنف وغلظة ، وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل .

(٣) فالجامع كون الشىء على صفة توهم نفعه وهو فى الباطن غير نافع بل ضار .

(٤) سورة الجمعة : ٥ .

كقوله :

كما أبْرقتْ قوماً عطاشاً غمامةٌ   فَلَمّا رأوْها أقشعتْ وتجلت [١]

فإنه ربما يُظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى الثانى ، على أن المقصود به ظهورُ أمرٍ مطمعٍ لمن هو شديد الحاجة إليه [٢] ، ولكن بالتأمل يظهر أن مَغْزَى الشاعر فى التشبيه أن يُثبت ابتداءً مُطمعاً متصلا بانتهاء مؤْيس ، وذلك يتوقف على البيت كله . فإن قيل : هذا يقضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا « زيد يصفو ويكدر » تشبيهاً واحداً[٣] لأن الاقتصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام ؛ لأن الغرض منه وصف المُخبَر عنه بأنه يجمع بين الصفتين ، وأن إحداهما لا تدوم ، قلنا : الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يُثبَت ابتداءٌ مطمع متصل بانتهاءٍ مؤْيس كما مر ، وكون الشيء ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس فى قولنا « يصفو ويكدر » أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قولنا « يصفو ثم يكدر » لإفادة « ثم » الترتيب المقتضى ربطَ أحد

---

(١) قبله :

لقد أطْمَعَتْنِي بالوِصَالِ تَبَسُّماَ   وَبَعْدَ رَجَائِى أعْرَضَتْ وَتَولّتِ

وقوله « أبرقت » بمعنى تحسنت وتعرضت لهم ، فما بعده منصوب بنزع الخافض ، والغمامة : السحابة ، وقوله « أقشعت وتجلت » بمعنى تفرقت وانكشفت . وقد نسب بعضهم البيت إلى كثير ، ولكنه لا يوجد فى تائيته .

(٢) فيكون وجه الشبه غير مركب مع أنه مركب . وبهذا يعلم أن الغرض من التعقيب بقوله « واعلم أنه قد تقع الخ » التنبيه على هذا الاشتباه بين الوجه المركب وغير المركب .

(٣) أى مركباً ، وبهذا لا يكون هناك فرق بين التشبيهات المجتمعة أى المتعددة والتشبيه المركب مع ظهور الفرق بينهما ؛ لأن التشبيه المركب وجهه واحد وإنْ كان منتزعا من متعدد ، والمراد فى المثال تشبيهه فى حال رضاه بالماء الصافى ، وفى حال غضبه بالماء الكدر ، وهذا استعارة لا تشبيه ، فهو يقصد من التشبيه فى هذا ما هو أعم من الاصطلاحى ؛ لأن الاستعارة كالتشبيه تكون مفردة ومركبة ومتعددة أيضا .

الوصفين بالآخر ، وقد ظهر مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب فى مثل ما ذكرنا بأمرين: أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثانى أنه إذا حُذف بعضها لا يتغير حال الباقى فى إفادة ما كان يفيده قبل الحذف . فإذا قلنا « زيد كالأسد بأساً والبحر جوداً والسيف مَضَاءً » لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسقٌ مخصوص ، بل لو قُدّم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أُسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره فى إفادة معناه [1] .

المتعدد الحسى : والمتعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة بأخرى .

المتعدد العقلى : والمتعدد العقلى كَحِدَّة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد فى تشبيه طائر بالغراب .

المتعدد المختلف : والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه إنسان بالشمس .

واعلم أن الطريق فى اكتساب وجه الشبه أن يُمَيَّز عمّا عداه ، فإذا أردتَ أن تشبه جسماً بجسم فى هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاقَ بين الهيئة والهيئة مجردَتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره ، كما فعل ابن المعتز فى تشبيه البرق [2] ؛ فإنه لم ينظر إلى شىء من أوصافه سوى الهيئة التى تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض .

أداة التشبيه : وأما أداته **فالكاف** فى نحو قولك «زيد كالأسد» . **«وكأن»**[3]

---

(١) من وجوه الفرق أيضا بين التشبيه المتعدد والمركب أن المتعدد يعطف فيه كل تشبيه على الآخر عطف المستقل على المستقل ، أما المركب فإنه فى الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبع للآخر ، كأن يكون فى صفته أو صلته أو حالاً منه أو معطوفاً عليه بالفاء أو ثم . فإذا توسطته الواوُ كانت للمعيَّة أو عاطفة متضمنة لها أو للحال .

(٢) انظر ص ٢٥

(٣) قد تستعمل – كأن – لإفادة الظن إذا كان خبرها مشتقاً فلا تفيد التشبيه ،=

فى نحـو قـولك « زيد كـأنه أسـد »، و(مـثلٌ) فى نحـو قـولك«زيد مـثل الأسد» . **وما فى معنى (مثل)** كلفظة (نحـو) ، وما يشـتق من لفظة (مـثل وشـبه) ونحوهما [١] .

والأصل فى الكاف ونحوها [٢] أن يليها المشبه به [٣] ، وقـد يليهـا مفرد لا يتأتى التشبيه به [٤] .

وذلك إذا كان المشـبه به مـركباً ؛ كـقوله تعالـى : ﴿ واضْرب لهـمْ مثلَ الحيـاةِ الدُّنْيا كمـاء أنْزلناهُ منَ السّماءِ فاخْتلط به نبـاتُ الأرض فأصْبح هشيـماً تذْروه الرّياح ﴾ [٥] إذ ليس المراد تشبيه حال الـدنيا بالماء ولا بمفردٍ آخر يُتمَحَّل

= كقولك « كأن زيداً أخوك ، وكـأنه قائم »- وقد تفيد التشبيـه الضّمْنى ، كما فى قول الشاعر :

كأنّ دنانيراً على قسماتهمْ وإنْ كَانَ قد شفّ الوجوه لقاء

فإنه لا تكون الدنانير على قسماتهم إلا إذا كانت تشبيهاً .

(١) كالمشـتق من المضاهـاة والمقاربة والموازنة والمعـادلة والمحاكاة ، ومـن ذلك قول الشاعر :

وصبغُ شقائِقِ النُّعْمانِ يَحْكِى يَوَاقِيتاً نُظِمْنَ عَلَى اقْتِرَان

وقول الآخر :

تَشابه دمعِى إذ جرى ومُدَامَتى فمِن مثل ما فى الكأس عَيْنى تَسْكُبُ

(٢) نحو الكاف كل ما يدخل على المفرد كلفظ (مشابه ومماثل) ، أما غير الكاف ونحوها وهو مـا يدخل عىى الجملة أو يكون جـملةً بنفسـه فالأصل فيـه أن يدخل عـلى المشبه ، كلفظ (كـأن) مما يدخل على الجملة ، وكلفظ (يشابه) مما يكون جـملةً بنفسه ، والمشبه فى نحو « زيد يشابه عمراً » هو الضمير العائد على زيد لا زيد .

(٣) إما لفظًا نحـو « زيد كأسد » أو تقديـراً نحو قوله تعالى : ﴿ أو كـصيّبٍ من السماء فيه ظُلماتٌ ورعْدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصّواعق حذر الموت واللهُ محيطٌ بالكافرين ﴾ البقرة الآية ١٩، تقديره أو كمثـل ذوى صيب ؛ بدليـل قوله بعده ﴿ يجعلون ﴾ .

(٤) لكن لا بد أن يكون له اتصال بالمشـبه به كالماء فى الآية ؛ فإنه بعض مـا تنتزع منه هيئة المشبه به .

(٥) سورة الكهف : ٤٥ .

لتقديره [١] بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضرَ وارقاً ثم يَهيجُ فتُطيّرهُ الرياح كأن لم يكن .
وأما قوله عز وجل : ﴿ يا أيُّها الّذين آمنوا كونوا أنْصارَ الله كما قال عيسى ابْن مرْيم للحواريّين: مَن أنْصارى إلى الله ﴾[٢] فليس منه ؛ لأن المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حينَ قال لهم: من أنصارى إلى الله[٣] .

وقد يُذكر فعل [٤] ينبيء عن التشبيه ؛ كعلمت في قولك: « علمت زيداً أسدا » ، ونحوه [٥] هذا إذا قرب التشبيه ، فإن بعد أدنى تبعيد قيل: « خلته وحسبته » ، ونحوهما [٦] .

الغرض من التشبيه :

وأما الغرض من التشبيه فيعود في الأغلب إلى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به .

ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه : أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة : منها بيان أن وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالَف فيه ويدّعَى امتناعه ؛ كما في قول أبي الطيب :

---

(١) بأن يقدَّر كنبات ماء ؛ لأن المعتبر هو الهيئة الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف ، فيكون تقدير ذلك تمحلاً .

(٢) سورة الصف : ١٤ .

(٣) فهو مما يلى المشبهُ به الأداةَ تقديراً .

(٤) يعنى فعلاً غير الأفعال السابقة الموضوعة من أصلها للدلالة على التشبيه ؛ فأداة التشبيه هنا مقدرة ، والفعل إنما يدل على قرب التشبيه أو بعده ، ومن ذلك قول أبي نواس في تشبيه الحبيب :

فإذا ما اعترَضتْهُ العيـ ـنُ من حيثُ استدَارا
خِلْتَهُ في جَنَبَاتِ الـ ـكأسِ واوات صِغَاراً

أي : كواوات صغيرة .

(٥) من كل ما يفيد اليقين . (٦) من كل ما يفيد الظن .

فإنْ تَفُقِ الأنَامَ وأنتَ مِنْهُم فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغَزَالِ (١)

أراد أنه فـاق الأنام فى الأوصاف الفـاضلة إلى حـدٍّ بطل معـه أن يكون واحداً منهم ، بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا - أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع فى الفضائل إلى أن يصيرَ كأنه ليس منها - أمرٌ غريبٌ يفتـقر من يدعـيه إلى إثبـات جواز وجوده علـى الجملة ، حتى يـجىء إثبات وجوده فى الممـدوح ، فقـال « فإن المسك بعض دم الغـزال » أى ولا يعدُّ فى الدماء لما فيه من الأوصاف الشـريفة التى لا يوجد منها شىء فى الدم ، وخلوُّه من الأوصاف التـى لها كان الدم دمـاً ، فأبان أنّ لِمـا ادعاه أصـلاً فى الوجود على الجملة .

ومنها بيان حاله؛ كما فى تشـبيه ثوب بثوب آخر فى السواد إذا عُلِمَ لون المشبه به دون المشبه (٢) .

ومنها بيان مـقدار حاله فى القوة والضعف والزيادة والنقصـان ؛ كما فى قوله :

مدادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الغُرابِ (٣)

---

(١) الفاء فى قوله « فإن المسك » للتعليل ، والجـواب محذوف تقديره : فلا غرابة فى ذلك . والتشـبيه فى البيت يسـمى معنوياً وضمنياً ومكنيـاً عنه ؛ لأنه ذُكر فى الكلام لازم التشبيـه وهو وجه الشبه - فَوَقان الفرع الأصلَ - وأريد الملزوم وهو التـشبيه ، ومن ذلك قول ابن الرومى :

قالوا أبو الصـقرِ مِن شيـبانَ قلتُ لهم كَلاً لَعَـمْرى ولكن مِنْه شيـبانُ
كم من أبٍ قد علا بابنٍ ذُرَى شرفٍ كما عَلاَ بِرسول الله عدنانُ

(٢) مما جاء لبيان حال المشبه قول الشاعر :

كأن سهيلاً والنجومُ وراءهُ صفوفُ صلاةٍ قَام فيها إمَامُها

(٣) هو من قول الحسن بن وهب :

مداد مثلُ خَافيةِ الغُراب وأقلامٌ كَمُرْهَفَةِ الحدَاد

والخافية : إحدى ريشات عشـر فى مقدم الجنـاح يقال لها خـوافٍ ، والمرهفة :=

وعليه قول الآخر :

فأصبحتُ مِن ليلى الْغَدَاةَ كقابضٍ   على الماءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأصَابِعِ (١)

أى بلغتُ فى بوار سعيى فى الوصول إليها وأن أمتَّع بها أقصى الغايات ، حتى لم أحْظَ منها بما قلَّ ولا بما كثر .

ومنها تقرير حاله فى نفس السامع ؛ كما فى تشبيه مَن لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء(٢) . وعليه قوله عز وجل : ﴿ وإذ نتقْنا الجبل فوقهمْ كأنه ظلَّة ﴾(٣) فإنه بيَّن ما لم تَجْرِ به العادة بما جرت به العادة(٤) .

وهذه الوجوه تقتضى أن يكون وجهُ الشبه فى المشبه به أتمَّ وهو به أشهر (٥) ؛ ولهذا ضعَّف قول البحترى :

= المدقة ، والحداد : جمع حديد وهو القاطع يعنى السيوف القواطع ، وروى « الحراب » بدل الحداد جمع حربة وهى آلة قصيرة محدَّدة ، وربما استعملت للرمح ، وروى لأبى تمام :

مدادٌ مثل خافية الغراب   وقرطاسٌ كرقراق السحاب

(١) قيل : إنه للمجنون ، والفروج : جمع فرج وهو الخلل بين الشيئين ، وقيل : إن التشبيه فى البيت يُقصد منه تقريرُ حال المشبَّه ، ورُوى الشطر الأخير : « على الماء لا يدرى بما هو قابض » .

(٢) من قول الشاعر :

إذا أنا عاتبتُ الملولَ كأنما   أخُطُّ بأقلامى على الماء أرقما

(٣) سورة الأعراف : ١٧١ .

(٤) قيل : إن هذا يفيد أنه لبيان حال المشبه أو لبيان إمكانه لا لتقرير حاله فى نفس السامع كما ذكر .

(٥) يريد بكونه أتمَّ أن يكون أقوى وأكملَ ، وبكونه أشهرَ أن يكون أعرفَ ، واقتضاء تلك الوجوه للأعرفية ظاهر لأن المشبه به كالمُبَيِّنِ المعرِّف للمشبَّه ، فيجب أن يكون أعرفَ بوجه الشبه ؛ لأن التعريف إنما يكون بالأوضح ، أما اقتضاؤها للأتَمِّية فإنما يظهر فى غرض التقرير دون غيره ولا سيما بيان المقدار ، لأنه يقتضى أن يكون المشبه به على حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص، ومن التشبيه ما يكون المشبه فيه أتم من المشبه به، =

على باب قِنّسْرين والليلُ لاطخٌ   جوانبه مِن ظلمة بمداد [1]

فإنه رُبَّ مداد فاقد اللوْن والليلُ بالسواد وشدته أحقُّ وأحْرَى ؛ ولهذا قال ابن الرومى :

حِبْرُ أبى حفص لُعابُ الليل   يسيل للإخوانِ أىَّ سيلِ [2]

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه [3] نظر إلى قول العامة فى الشىء الأسود « هو كالنقس » [4] ثم تركه للقافية إلى المداد .

ومنها تزيينه للترغيب فيه ، كما فى تشبيه وجه أسود بمُقلة الظبى .

ومنها تشويهه للتنفير عنه ، كما فى تشبيه وجه مجدور بسلْحَة جامدة قد نَقَرْتها الديكَةُ، وقد أشار إلى هذين الغرضين ابن الرومى فى قوله :

= كقوله تعالى : ﴿ اللهُ نورُ السموات والأرض مَثَل نُوره كمشكاة فيها مصباحُ ﴾ سورة النور : ٣٥ ، لأن الغرض منه بيان الحال لا تقريره ، ومن ذلك قول أبى تمام فى أحمد بن المعتصم :

إقدامُ عمروٍ فى سماحةِ حاتمٍ   فى حلمِ أحْنفَ فى ذكاءِ إياسِ

وقد أُخذَ عليه أنَّ الأمير أكبر من أن يشبه فى ذلك بالثلاثة فقال :

لاَ تُنْكِروُا ضربْى له مَنْ دُونَهُ   مثلاً شرُوداً فى النَّدى والْباَسِ

فاللهُ قَدَ ضَرَبَ الأقلّ لنوره   مثلاً من المشكاةِ والنّبْراسَ

والحق أن اقتضاء التشبيه للأعرفية لا يختص بهذه الوجوه الأربعة كما هو ظاهر من تعليله .

(١) الجار والمجرور فى أول البيت متعلق بقوله قبله :

وما بَلَغَ النومُ المسامح لذة   سوى أَرَقى فى جنبها وسهادِى

وقنسرين: كورة مشهورة بالشام قرب حلب ، والشاهد فى قوله « من ظلمة بمداد » إذ بَيَّن فيه المشبه به شبه والتقدير بمداد من ظلمة .

(٢) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى من قوله فى مدح عمر بن حفص الورّاق ، وكان الأدباء يستهدون منه حبراً :

حبر أبى حفص لُعَاب لليلِ   كأنه ألوانُ دُهّم الخيلِ

يَسيلُ للإخوانِ أىّ سيل   بغير وزْنٍ وبغيرِ كَيْلِ

والمراد بلعاب الليل ظلمته ، ودهم الخيل سوادها .

(٣) الضمير للبحترى .   (٤) أى : الحبر .

تَقُولُ هذا مجاجُ النحلِ تمدحهُ   وإنْ تَعِبْ قلتَ ذا قَيْءُ الزّنابير [١]

ومنها استِطْرافه [٢] كما فى تشبيه فحم فيه جَمْر موقَد ببحر من المسك موجه الذهب لإبرازه فى صورة الممتنع عادَة ، وللاستطراف وجهٌ آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور إمّا مطلقاً كما مرّ [٣] وإما عند حضور المشبه ؛ كما فى قوله :

ولازَوَرْديَّة تزهُو بزُرقَتها   بينَ الرِّياضِ على حُمرِ اليَواقِيتِ

كأنها فوق قامات ضعُفْنَ بها   أوائلُ النار فى أطرافِ كِبريْتِ [٤]

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها فى الذهن ندرةَ صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فإذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما ، ومما يؤيد هذا ما يُحْكَى أن جريراً قال : « أنشدنى عدى » :

عرفَ الديارَ تَوَهُّماً فاعتادَهَا

فلما بلغ إلى قوله :

تزْجى أغَنَّ كأنَّ إبْرةَ رَوْقه

رحمتُه وقلت : قد وقع ؛ ما عساه يقول وهو أعرابى جلْفٌ جاف ؟

---

(١) المجاج : الريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل : العسل ، والزنابير : جمع زُنبور وهو كل ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

(٢) أى جعله طريفاً بديعاً جديدًا، ويجوز أن يكون بالظاء أى جعله ظريفا جميلا

(٣) فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك مَوْجُه الذهب ، فهو مستطرف من ناحية امتناعه فى الخارج ومن ناحية ندرة حضوره فى الذهن .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، وقيل لغيره . واللازوردية : البنفسج وهى نسبة تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد ، والمراد تشبيه أزهارها ، وقوله « تزهو » بمعنى تتكبر ، وقوله « حمر اليواقيت » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما جعل التشبية بأوائل النار فى أطراف كبريت لأنها فى أعلاها تكون حمراء صافية لا زرقاء .

فلما قال :

قلمٌ أصاب مِن الدَّواة مدادَها (١)

استحالت الرحمةُ حسداً » فهل كانت رحمته فى الأولى والحسد فى الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبهٌ ، وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة مِن أبعد موصوف .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر (٢) ، وهو أنه أراك شبهاً لنبات غَضّ يرفُّ وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مُستَوْلٍ عليه اليبس ، ومبْنى الطباع وموضوع الجِبلَّة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له : كانت صبابة النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر .

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه : وأما الثانى فيكون فى الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه ، وذلك فى التشبيه المقلوب ، وهو أن يكون الأمر بالعكس (٣) كقول محمد بن وهيب :

وبدا الصباحُ كأن غُرَّته ... وجهُ الخليفةِ حينَ يُمْتدَحُ (٤)

فإنه قصدَ إيهام أن وجهَ الخليفة أتمُّ من الصباح فى الوضوح والضياء،

---

(١) هذا البيت من قصيدة لعدى بن الرِّقاع مطلعها :

عَرَفَ الديارَ توهُّماً فاعتادَها ... من بعد ما شمل البِلَى أَبْلادَها

والأبلاد : قطع الأرض عامرةً أو غامرةً وقيل هى الآثار . وقوله « تزجى » بمعنى تسوق ، والضمير للظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنةٌ وهو ولدها ، ويقال طير أغن أى يتكلم من قبل خياشيمه ، والروق : القرن ، وإبرته : طرفه . ورواية الكامل أن عدياً كان ينشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك وجرير حاضر .

(٢) ١٤٧ - أسرار البلاغة .

(٣) بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنه أكمل منه فى وجه الشبه ، وبهذا لا يدخل فيه تشبيه المحسوس بالمعقول كما قيل فيما سبق ؛ لأن كلاً من المشبه والمشبه به فيه كذلك فى الحقيقة ولا قلبَ فيهما .

(٤) الغرة : فى الأصل البياض فى جبهة الفرس ، وقد استعيرت لبياض الصبح ، والمراد تشبيه وجه الخليفة بها ، ولهذا كان التشبيه مقلوبا .

واعلم أنّ هذا وإنْ كان فى الظاهر يشبه قولهم: « لا أدرى أوَجْهُهُ أنْوَر أم الصبح ، وغرته أضوأ أم البدر ؟ » وقولهم إذا أفرطوا : « نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه ، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه » ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن فى الأول خلابةً وشيئاً من السحر ليس فى الثانى ، وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يُشبِّهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد له واجتهد فى تشبيه يُفخِّم به أمره ، فيوقع المبالغةَ فى نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ؛ لأنه وضع كلامَه وضْعَ من يقيس على أصل مُتَّفق عليه ، لا يُشفق مِن خلافِ مخالف وتهكُّمِ متهكِّم ، والمعانى إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب ، فكانت كالنعمة التى لا تكدّرها الْمنّة ، وكالغنيمة من حيث لا تحتسب ، وفى قوله « حين يمتدح » فائدة شريفة ، وهى الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل فى الكرم ، من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه وما قصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس ، بالإصغاء إليه والارتياح له والدلالة بالبِشر والطلاقة على حسن موقعه عنده .

ومنه قوله تعالى حكايةً عن مستحلِّ الربا : ﴿ إنَّما البيْع مثل الرِّبا﴾[١] فإن مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع - إذ الكلام فى الربا لا فى البيع ، فخالفوا لجعلهم الربا فى الحِلِّ أقوى حالاًمن البيع وأعرف به .

ومنه قوله عز وجل ﴿ أفمن يَخْلُقُ كمنْ لا يَخلُقُ ﴾[٢] فإنَّ مقتضى الظاهر العكسُ ؛ لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسمّوها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى ؛ فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فخولف فى خطابهم لأنهم بالغوا فى عبادتها وغلَوْا حتى صارت عندهم أصلاً فى العبادة[٣] والخالق

(١) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٢) سورة النحل : ١٧ .

(٣) اعترض على هذا بأنه يخالف قولهم فى سورة الزمر آية ٣ ﴿ ما نعبُدُهم إلا =

سبحانه وتعالى فرعاً ، فجاء الإنكار على وفق ذلك ، وقال السكاكى [(١)] : « عندى أن المراد بـ « من لا يخلق » الحىُّ العالم القادر من الخلق [(٢)] تعريضاً بإنكار تشبيه الأصنام بالله عز وجل ، وقوله ﴿ أفلا تذكَّرُون ﴾[(*)] تنبيه توبيخ عليه ، ونحوه [(٣)] قوله تعالى : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾[(٤)] بدل « أرأيت من اتخذ هواه إلهه » .

وقد يكون الغرضُ العائد إلى المشبه به بيان الاهتمام به ، كتشبيه الجائع وجهاً كالبدر فى الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا غير ، وهذا [(٥)] يسمى إظهار المطلوب ، قال السكاكى [(٦)] : « ولا يحسن المصير إليه إلا فى مقام الطمع فى تسنِّى المطلوب ، كما يُحكَى عن الصاحب أن قاضى سجسْتان دخل عليه فوجده الصاحب متفنناً ، فأخذ يمدحه حتى قال :

وعالمٍ يُعْرَفُ بالسَّجْزى [(٧)]

= ليقرِّبونا إلى الله زُلفى ﴾ فيكون الأحسن فى توجيه ذلك أنهم حين جعلوهم مثل الله فى العبادة قد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوق وشبيهاً به ، فأنكر ذلك بقوله ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ وعلى هذا لا يكون من التشبيه المقلوب . ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن الشِّرْك مختلف المذاهب ، فيجوز أن يكون من المشركين من يعبد الأصنام لا لتقربه إلى الله زلفى .

(١) ١٨٤ ـ المفتاح .

(٢) لأن (مَنْ) موضوعة للعاقل ، وغيرُ السكاكى يحملها على الأوثان تشبيهاً لها بالعاقل لعبادتهم لها . والفرق بين القولين أن إنكار تشبيه الأصنام بالله يكون مستفاداً من ذلك على سبيل التعريض عند السكاكى وعلى سبيل التصريح عند غيره .

(٣) أى نحو ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ .

(٤) الفرقان : ٤٣ .

(٥) يعنى بيان الاهتمام بالمشبه به .

(٦) ١٨٥ - المفتاح .

(٧) نسبة غير قياسية إلى سجستان ، وهو: أبو الحسن عمر السجزى .

(*) قوله تعالى : ﴿ أفلا تَذَكَّرُونَ ﴾ وردت فى يونس آية ٣ ، وفى هود ٢٤ ، ٣٠ ، والنحل ١٧ .

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ، ففعلوا واحدًا بعد واحد، إلى أن انتهت النوبة إلى شريف فى البين ، فقال :

أشْهَى إلى النفس من الخُبز [١]

فأمر الصاحب أن تُقدَّم له مائدة .

هذا [٢] كله إذا أريد إلحاق الناقص فى وجه الشبه حقيقةً أو ادعاءً [٣] بالزائد ، فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين فى أمر [٤] ، فالأحسن تَرْكُ التشبيه إلى الحكم بالتشابه [٥] ليكون كل واحد من الطرفين مشبَّهاً ومشبَّهاً به احترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كقول أبى إسحاق الصابى :

تَشابهَ دَمْعِي إذْ جرى ومُدَامتى
فمنْ مثْلِ ما فى الكأس عينى تَسْكُبُ [٦]
فوالله ما أدرى أبِالخمر أسْبلَتْ
جفونى أم مِنْ عَبْرتى كنت أشربُ [٧]

---

(١) اعترض على التمثيل بهذا للتشبيه بأنه أفعلٍ تفضيل لا تشبيه ، وأجيب عنه بأنه لا يقصد به التمثيل للتشبيه بل لإظهار المطلوب مطلقا ، وقد قيل : إن أفعل التفضيل كله من التشبيه . وهو بعيد .

(٢) اسم الإشارة يعود إلى ما مضى عليه الكلام فى التشبيه من جعل أحد الطرفين مشبهاً والآخر مشبهاً به على التعيين وما تفرَّع على ذلك من الكلام .

(٣) هذا فى التشبيه المقلوب لأنه يدَّعى فيه ذلك .

(٤) هذا إما لأن المقام يقتضى المبالغة فى ادعاء التساوى ، وإما لأن الغرض إفادة أصل الاشتراك ، فيكون المقصود إفادة التساوى ادعاءً أو حقيقةً .

(٥) مثله الحكم بالتساوى ونحوه ، وليس من ذلك نحو « شابه زيد عمراً » إن كان من صيغ المشاركة ؛ لأن صيغة « تفاعل » تدل على إسناد الفعل ابتداءً لاثنين .

أما صيغة « فاعل » فتدل على الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل على المفعول ، ولا يفهم منها وقوعه من المفعول على الفاعل إلا بالالتزام .

(٦) المدامة : الخمر سميت بذلك لأنه لا شراب يستطاع إدامة شربه غيرها ، وسبق ذكر البيت فى ص ٣٤ فى الحاشية .

(٧) العبرة : الدمع . والتساوى فى قوله « تشابه دمعى ومدامتى » ادعائىٌّ إذا =

وكقول الآخر :

رَقَّ الزُّجاجُ وراقتِ الخمرُ فتشابها فتشاكلَ الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قَدَحُ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ (١)

ويجوز التشبيه أيضاً (٢) كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس ، متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه (٣) ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوَّة أو الدينار الخارج مِنْ السَّكَّة ، كما قال :

وكأنَّ الشمسَ المنيرةَ دينا رٌ جَلَتْهُ حدائدُ الضرَّاب (٤)

وتشبيه المرآة المجلُوَّة أو الدينار الخارج مِن السَّكَّة بالشمس ، متى أريد استدارةُ متلألئٍ متضمِّن لخصوصٍ فى اللون ، وإنْ عَظُمَ التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغُرَّة ونور الشمس ونور المرآة والدينار وبين الجِرْمين ، فإنه ليس شىءٌ من ذلك بمنظور إليه فى التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح فى الظلام بعَلَم أبيض على ديباج أسود فى قول ابن المعتز :

والليلُ كالحُلَّة السوداء لاحَ به مِنَ الصباح طرازٌ غيرُ مرقُومِ (٥)

= كان المراد تشابههما فى الحمرة ، ويجوز أن يكون أنهما تشابها فى الصفاء . وأبو إسحاق الصابى هو إبراهيم بن هلال .

(١) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ، والقدح : الكأس ، والمراد تشابههما فى الصفاء ، وقوله « فكأنما خمر الخ » لتأكيد ادِّعاء التساوى ، و(كأنما) فيه للشك لا للتشبيه ؛ لأن التقدير فكأنما خمر موجود .

(٢) لأنه يجوز مع قصد التساوى أن يجعل أحد الطرفين مشبهاً لغرض من الأغراض كأن يكون الكلام فيه ، فيتقدم لهذا الغرض وتدخل أداة التشبيه على الطرف الآخر فيكون مشبهاً به .

(٣) فلا يكون هناك قصدٌ إلى المبالغة فى وصف غرة الفرس بالضياء لأنه مع هذا يكون ذلك من التشبيه الذى يراد به إلحاق الناقص بالكامل .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والمراد بحدائد الضرَّاب آلات السَّكّ .

(٥) الحلة : كل ثوب جديد أو الثوب مطلقاً ، والطراز : علم الثوب ، والمرقوم : المخطَّط .

فإنه تشبيهٌ حسن مقبول ، وإن كان التفاوت فى المقدار بين الصبح والطراز فى الامتداد والانبساط شديداً .

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه - :

وأما تقسيم التشبيه فباعتبار طرفيه فأربعة أقسام :

الأول: تشبيه المفرد بالمفرد : وهو ما طرفاه مفردان : إمّا غير مُقيَّدين، كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هن لباس لكُمْ وأنتُمْ لَباسٌ لهُن ﴾[1] فإن قلتَ : ما وجه الشبه فى الآية ؟ قلتُ : جعله الزمخشرى حسِّياً ، فإنه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كلٌّ واحد منهما على صاحبه فى عناقه شُبّه باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدى :

إذا ما الضَّجيعُ ثَنَى عطْفها   تثنَّتْ فكانتْ عليه لباساً [2]

وقيل : شُبّه كلٌّ واحد منهما باللباس للآخر ؛ لأنه يصونه من الوقوع فى فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة [3] .

وإمّا مقيَّدان [4] كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شىء : « هو كالقابض على الماء ، وكالراقم فى الماء » ؛ فإن المشبه هو الساعى لا مطلقاً بل مقيداً بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقاً بل مقيداً

---

(١) سورة البقرة : ١٨٧ .

(٢) هو للنابغة الجعدى حسان بن قيس ، والضجيع : المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتمدد ، وقوله « ثنى عطفها » بمعنى ردَّ جنبها إليه .

(٣) على هذا يكون وَجْهُ الشبه عقلياً .

(٤) أى بجار ومجرور أو مفعول أو نحوهما، بشرط أن يكون القيد معتبراً فى التشبيه ، وبهذا لا يكون من ذلك قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لباسٌ لكم ﴾ لأن الجار والمجرور غير معتبر فى تشبيههن باللباس ، والفرقُ بين الطرف المقيَّد والطرف المركب أن المركب يكون كل واحد من أجزائه جزءاً من الطرف ، أما المقيد فقيدُه شرطٌ فى الطرف لا جزء منه ، وإنى أرى أن مثل هذا لا يصح مراعاته فى علم البيان ، والأحسنُ إدخال المقيد فى المركب .

بكون قبضه على الماء أو رَقْمه فيه ؛ لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقْم فيه كذلك؛ لأن فائدة قبض اليد على الشىء أن يحصل فيها ، فإذا كان مما لا يتماسك فقبضُها عليه وعدمه سواءُ ، وكذلك القصد بالرَّقْم فى الشىء أن يبقى أثره فيه ، فإذا فُعل فيما لا يقبله كان فِعْلُه كعدمه ، فالقيد فى هاتين الصورتين هو الجارّ والمجرور. ونحوهما قولهم : « هو كمن يجمع سيفين فى غمد »[١] وقولهم « كمبتغى الصيد فىَ عرِّيسة الأسد »[٢] وقد يكون حالاً ، كقولهم : « هو كالحادى وليس له بعير »[٣] .

ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر :

إنِّى وتزيينى بمدْحِىَ مَعْشراً   كمُعَلِّقٍ دُرّاً على خِنزِيرِ[٤]

فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فمتعلَّقُ التزيين أعنى قوله « بمدحى » داخلٌ فى المشبَّه ، والمشبه به من يعلق دراً بقيدِ أن يكون تعليقه إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ؛ لأن الشىء غير قابل للتزيين ؛ فالواو فى قوله « وتزيينى » بمعنى مع ؛ إذ لا يمكن أن يقال إنى كذا وإن تزيينى كذا[٥] لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً

---

(١) يُضرب مثلاً للمستحيل .

(٢) يُضرب مثلاً لمن يطلب الشىء من غير موضعه .

(٣) يُضْرَب مثلاً للرجل يتنفخ بما لا يملك .

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، والواو فى قوله « إنى وتزيينى » للمعية ، وما بعدها مفعول معه كما ذهب إليه الخطيب فى تحقيق التشبيه فى البيت ، وقيل: إنه يجوز أن تكون عاطفة مع إفادتها المعيَّة ؛ لأنه ليس من شرط العاطفة ألاّ تفيد هذا المعنى ، وعلى كونها عاطفة يكون الطرف مركباً لا مقيداً .

(٥) يريد بهذا أن يثبت أن الواو ليست عاطفة ، وقد عرفت أن إفادتها للمعية لا يمنع أن تكون للعطف .

عن ضمير المتكلم والآخر عن تزييني ، لا يقال تقديره : إني كمعلق دراً على خنزير ، وإن تزييني بمدحي معشراً كتعليق دُر على خنزير ؛ لأنه لا يُتصوّر أن يشبه المتكلم نفسه - من حيث هو هو - بمعلق دُراً على خنزير ، بل لا بُدّ أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشراً .

وإما مختلفان ، والمقيَّد هو المشبَّه به ، كقوله :

* والشمسُ كالمرْآة في كفّ الأشَلّ[1] *

فإنّ المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به هو المرآة لا على الإطلاق بل بقيد كونها في يد الأشل .

أو على عكس ذلك ؛ كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس .

تشبيه المركب بالمركب : الثاني تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان ، كما في قول البحتري :

ترى أحْجالَهُ يَصْعَدْنَ فيه صُعُودَ البرق في الغيْم الجَهام[2]

لا يريد به تشبيه بياض الْحُجُول على الانفراد بالبرق ، بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين[3] بالآخر ، وكذلك المقصود في بيت بشار[4] ، ولذلك وجب الحكم بأن (أسيافنا) في حكم الصلة للمصدر[5] ، ونصْب الأسياف لا يمنع من تقدير الاتصال؛ لأن الواو فيها بمعنى مع[6] ،

---

(١) انظر ص ٢٣ .

(٢) الأحجال : جمع حجْل وهو البياض في رِجل الفَرَس ويجمع أيضاً على حجول . والجهام : السحاب الذي لا ماء فيه ، يشبَّه الفرسِ أثناء عدْوه بذلك .

(٣) البياض والسواد .

(٤) انظر ص ٢٥ : كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

(٥) هو « مثار » لأنه مصدر ميمي .

(٦) يجوز جر الأسياف عطفاً على قوله : رؤوسنا .

كقولهم « لو تركت النـاقةَ وفصيلها لرضعها ». ومما ينبِّـه على ذلك أن قولـه « تهاوى كواكبُه » جملة وقعت صـفةً لليل ؛ فإن الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشأنها لقال: « ليل وكواكب » .

وأما بيت امرىء القيس :

كأنّ قلوبَ الطير رطْبًا ويابسـاً لدى وكْرها العُنّابُ والحَشَفُ البالى (١)

فهو على خـلاف هذا ؛ فإن أحد الشيئين فـيه فى الطرفين معطوف على الآخر ، أما فى طرف المشبه به فبيِّنٌ ، وأما فى طرف المشبه فلأن الجمع (٢) فى المتّفِق كالعطف فى المختـلف ؛ فاجتماع شيئين أو أشيـاء فى لفظ تثنيةٍ أو جمعٍ لا يوجب أن أحدهمـا أو أحدها فى حكم التابع للآخر ، كـما يكونُ ذلك إذا جرى الثـانى صفةً للأول أو حالاً منه أو مـا أشبه ذلك ، وقـد صرَّح بالعطف فيما أجراه بياناً له من قوله « رطباً ويابساً »(٣) .

وهذا القسم ضربان : أحدهما ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر ، كقوله :

غدا والصُّبْحُ تحت اللَّيْل بادٍ كطِرْفٍ أشْهبٍ مُلقَى الجِلال (٤)

---

(١) يصف عقـاباً بكثرة الصيد ، والوكـر : عش الطائر ، والعناب : شجر حَـبه كـحب الزيتون أحـمر ، والحـشف : أردأ التـمر ، شـبه الرطـب من القلوب بالعناب ، واليابس بالحشف البالى .

(٢) يعنى الجمع فى قوله « قلوب » .

(٣) فالتـشبيـه فى البيت ليس من تشـبيه المركب بالمركـب ، وإنما هو من التشبـيه المتعدد الطرف كما سيأتى .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير فى قوله « غدا » يرجع إلى السـاقى فى قوله قبله :

وساقٍ يجعل المنديلَ منـه مكانَ حمائلِ السيف الطَّوال

والبادى : الظاهر ، والطرف : الفرس الكريم ، والأشهب : الأبيض ، والجلال : جمع جلٍ وهو للدابة كالثوب للإنسان ، والمراد أنـه أدير عن ظهره حتى تكشّـف أكثر =

فإن الجلال فيــه فى مقابلة الليل ، ولو شبهه به لم يكن شيـئاً . وكقول الآخر :

كأنما الـمرِّيخُ والمُشْـــــــــتَرِى   قُدَّامَهُ فى شـــــامخ الرِّفْـعهْ
منْصرِفٌ باللـيـــــل عن دعـــوةٍ   قــد أُسْرِجتْ قُدَّامَه شمْعهْ (١)

فإنَّ المريخ فى مـقابلة المنصـرف عن الدعوة ، ولو قـيل : « كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة » كان خلْفاً من القول (٢) .

والثانى : مـا يَصحُّ تشبيــه كل جزء من أجـزاء أحد طرفيـه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحال تتغير ، ومثاله قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعاً   دُررٌ نُثرنَ على بساط أزْرق (٣)

فإنه لو قيل : كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق ، كان تشبيهاً صحيحاً ، لكن أين يقع من التشبـيه الذى يريك الهيئة التى تملا القلوب سروراً وعجبـاً من طلوع النجوم مؤتلقــة متفرّقــة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقـتها الصافية ؟ .

تشبيه المفرد بالمركب : الثالث تشبيه المفرَد بالمركب ، كـما مرَّ من تشبيه الشاة الْجَبَلىّ والشَّقيق والنَّيلوفر (٤) .

= جسده ، لا أنه رمى به جـملةً حتى انفصل منه ؛ لأنه مع هذا لا يأتى ذلك التشـبيه ؛ لأن المراد تشبيه هيئة حاصلة من اختـلاط بياض بسواد ، وقد أخذ ابن المعتز ذلك من قول ذى الرمة فى وصــف الـصبح :

وقد لاح للسارى الذى كمَّل السُّرَى   على أُخْرَيَات الليلِ فتقٌ مُشهَّرُ
كمـثل الحصـانِ الأنْبَطِ البطن قائـماً   تـمايلُ عنه الجلُّ واللونُ أشْـقَرُ

(١) هما لعلى بن محمد المعروف بالقاضى التنوخى ، والمريخ : من النجوم السيارة وهو أقربها إلى الشمس ، والمشترى : من النجوم السيارة أيضاً .

(٢) الخلف : الردىء من القول .

(٣) انظر ص ٢٣ .

(٤) انظر ص ١٤ ، ١٥ .

تشبيه المركب بالمفرد : الرابع تشبيه المركب بالمفرد ، كقول أبى تمام :

يا صاحِبَىَّ تَقَصَّيَا نظريْكُمـــا   تَرَيا وجُوهَ الأرض كيف تُصَوَّرُ (١)

تريا نهاراً مُشْمِساً قد شابَــهُ   زَهرُ الرُّبا فكأنما هــو مُقْمِرُ (٢)

يعنى أن النبــات من شدة خـضـرته مع كثـرته وتكاثفـه قد صـار لونه إلى الاسوداد ، فنقَّص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

التشبيه الملفوف والمفروق : وأيضاً إنْ تعدَّد طرفاه(٣) فهو إما ملفوف أو مفروق ؛ فالملفوف ما أُتى فيه بالمُشبَّهيْن ثم بالمشبه بهما ، كقول امرىء القيس:

كأن قلوبَ الطير رَطْباً ويابساً   لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحشفُ البالى (٤)

وغير الملفوف بخلاف ذلك(٥)كقول المرَقِّش الأكبر:

النَّشرُ مسكٌ والوجوهُ دَنا   نيرٌ وأطــرافُ الأكـُـفِّ عَنَـــمْ (٦)

ومنه قولُ أبى الطيب :

---

(١) قوله « تقصيـا نظريكما » بمعنى أبلغاه أقصاه ، وقوله « تـصور » أصله تتصور بمعنى تتشكل . والمراد ترياها قـائلين ذلك على وجه التعجب ، فـالاستفهام مـقول لقول محذوف .

(٢) النهار المشمس : الذى لا غيم فيــه ، وقوله « شابه » بمعنى خالطه ، والربا : جمع ربوة وهى الأرض المرتفعة ، ومقمر : صـفة لمحذوف تقديره ليل مقمر . وإنى أرى أنه لا حاجـة إلى تقدير هذا المحـذوف ، والمراد أن نبات الربا مـع زهره قد خالطا الـنهار المشمس ؛ لأن خضرة النبات داخلة أيضا فى ذلك التشبيه .

(٣) إنما يستحق التـشبيه المتعـدد الطرفين الفضيلة من حيث اللفـظ وحسن الترتيب فيه، لا لأن للجمع فائدةً فى عين التشبيه ؛ ولهذا كان التشبيه المركب أفضل من المتعدد.

(٤) انظر ص ٤٦ .

(٥) هو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بمشبه ومشبه به أو بأكثر من ذلك .

(٦) النشر : الرائحة الطيبة أو الرائحة عموماً ، والعنم: شجر له ثمرة حمراء يشبَّه بها البنان المخضوب ، وقد قيل : إن مثل هذا فى الحقيقة تشبيهات متعددة ، وليس تشبيهاً واحداً متعـدد الطرفين ، ومثله كل ما يقال له تشبيـه مفروق ، ويمكن أن يجابَ عن ذلك بأن مثل هذه التشبيهات تكون متعلقـة بشىء واحد كالنسوة فى هذا البيت ، فيمكن جعلها تشبيهاً واحداً من هذه الجهة .

بَدَتْ قمراً ومالتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عنبراً ورَنَتْ غَزَالاً (١)

تشبيه التسوية والجمع : وإن تعدد طرفه الأول ، أعنى المشبه دون الثانى ، سُمّى تشبيه التسوية ، كقول الآخر :

صُدغُ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغرُه فى صفاءٍ وأدمُعى كاللآلى (٢)

وإن تعدد طرفه الثانى - أعنى المشبه به دون الأول - سُمى تشبيه الجمع ، كقول البحترى :

كأنما يبسم عن لُؤلُؤٍ مُنضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أَقاح (٣)

ومثله قول امرىء القيس :

كأنّ المُدامَ وصوْبَ الغمام وريحَ الخُزامى ونشْرَ القُطُرْ (٤)
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أنيابها إذا طرب الطائرُ المُسْتحِرْ (٥)

---

(١) الخوط : الغصن الناعم ، والبان : شجر معتدل القوام ليّنٌ ورقه كورق الصفصاف ، وقوله « رنت » بمعنى نظرت ، والمراد أنها بدت بوجه كقمر ، ومالت بقوام كخوط بان ، وفاحت برائحة كعنبر ، ونظرت بعين كعين غزال .

(٢) الصدغ : ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هذا الموضع وهو المراد هنا ، والثغر : الفم أو مقدَّم الأسنان ، والثانى هو المراد هنا . وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها ؛ لأنه إذا كثر ماء المنبع صفا عما فيه من الكدر .

(٣) المنضد : المنظم ، والبرد : حبُّ الغمام ، والأقاح : جمع أقْحُوان وهو ورد له نَوْرٌ أوراقه فى شكلها أشبه شىء بالأسنان ، والمشبه محذوف تقديره كأنما يبسم عن ثَغرٍ كلؤلؤ ، وهذا استعارة لا تشبيه .

(٤) المدام : الخمر ، وصوب الغمام : مطره ، والخزامى : نبت زهره من أطيب الزهر ، والقطر : عود يتبخر به .

(٥) قوله « يعل به » بمعنى يُسقى مرة بعد مرة . والضمير فى « به » للمذكور من المدام وما عطف عليه ، والجملة حال منه ، وقوله « برد أنيابها » خبر كأن ، والطائر المستحر : هو الديك الذى يصوِّت بالسَّحَر ، يعنى أنها طيبة الفم فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه بعد النوم ، والمراد تشبيهَ برد أنيابها بالمدام وما عُطف عليه ؛ فالمتعدد هو المشبه =

إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع (١)

أقسام التشبيه باعتبار وجهه :

وأما باعتبار وجهه فله ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ، ومُجمَل ومُفصَّل ، وقريب وبعيد .

التمثيل :

التمثيل ما وَجْهُه وَصفٌ منتزَع من متعدد؛أمرين أو أمور(٢)، وقيَّده السكاكى بكونه غير حقيقى(٣) ومثَّل بصور مثّل بها غيرُه أيضا،منها قول ابن المعتز :

اصبرْ على مضض الحسو د فإنَّ صبرَك قاتلُهْ
فالنَّارُ تأكُلُ نَفْسَها إنْ لَمْ تَجِدْ ما تأكله (٤)

فإنَّ تشبيه الحسود المتروك مُقاولتهُ مع تَطَلُّبه إليها لينالَ بها نفثة مصدور بالنار التى لا تُمَدُّ بالحطب فى أمر غير حقيقى (٥) منتزَع من متعدد ، وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء .

= به ، ولكنه قلب التشبيه للمبالغة ، وقيل : إن « برد » نائب فاعل يعلّ ، على معنى أنه يظن أنّ برد أنيابها مُزِجَ بالغمام وما عُطف عليه لأنه يشبهها ، فيكون تشبيهاً ضمنياً .

هذا واللف والتفريق والتسوية والجمع فى تلك الأقسام الأربعة من المحسنات البديعية ، وبهذا تظهر تلك الأقسام فى ذلك الشكل البديع .

(١) فيكون بهذا قريباً من التشبيه المركب .

(٢) يعنى أن يكون وجهه مركبا مطلقاً ، وهذا هو مذهب الخطيب والجمهور ؛ فلا فرق عندهم بين الوجه الحقيقى وغيره .

(٣) أى مع كونه مركباً ، وهو عند عبد القاهر ما كان وجهه غير حقيقى ولو كان مفرداً ، وعند الزمخشرى يرادف التشبيه ، والمراد بالحقيقى الحسىُّ كالحمرة ، والعقلىُّ الغريزى كالشجاعة ونحوها من الغرائز ، ولا بُدّ عند عبد القاهر من التأول فى التمثيل كما وضّحه فى أسرار البلاغة ، فلا يكفى فيه مجرد كونه غير حقيقى .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، والمضض : مصدر مضّ من الشىء بمعنى شق عليه وآلمه ، والتشبيه فى البيتين ضمنى .

(٥) فى نسخة شروح التلخيص « فى أمر حقيقى » وكذلك فيما سيأتى ، ولعله فهم من قوله « غير حقيقى » أنه يريد به ما كان وهمياً كما تُوهمه بعض عبارات المفتاح ، فاعترض عليه بذلك ؛ لأنه مثَّل بصورٍ مثَّلَ بها غيرهُ ممن خالف مذهبه .

ومنها قول صالح بن عبد القدوس :

وإنّ مَن أدّبْتَهُ في الصِّبا كالْعود يُسقى الماءَ في غرسه

حتى تَراهُ مُونِقاً نَاضِراً بعد الذى أبصرتَ مِن يُبْسِهِ (١)

فإن تشبيه المؤدَّب فى صباه بالعود المسقِىِّ أوان غرسه فيما يلزم كل واحد من كون المؤدَّب فى صباه مهذَّب الأخلاق حميد الفعال لتأديبه المصادف وقته ، وكون العود المسقىّ أوان غرسه مونقاً بأوراقه ونضرته لسقيه المصادف وقته من تمام الميل (٢) وكمال الاستحسان بعْد خلاف ذلك .

ومنها قوله تعالى : ﴿ مثلهمْ كمثل الذى استوْقَدَ ناراً فلمّا أضاءتْ ما حوْلهُ ذهب اللهُ بنُورهمْ وتركهُم فى ظُلمات لا يُبصرُون ﴾(٣) فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول فى الآية فى أمر غير حقيقى منتزَع من متعدد ، وهو الطمع فى حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب .

غير التمثيل : وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك ، كما سبق فى الأمثلة المذكورة (٤) .

المجمل : والمجمل ما لم يُذكرْ وجهه ؛ فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحدٍ حتى العامّة ، كقولنا « زيد أسد »؛ إذ لا يَخْفَى على أحد أن المراد به التشبيه فى الشجاعة دون غيرها .

---

(١) المونق : تخفيف مؤنق ، يقال « أنق أنقاً » إذا كان حسناً مُعْجباً ، وفى رواية : مورقا ، والناضر : اسم فاعل من نضر بمعنى نعمَ وحسُنَ وكان جميلا .

(٢) هذا بيان لما فى قوله « فيما يلزم كل واحد » ومن قوله « مِن كَوْن المؤدب إلخ » بيانٌ لكل واحد ، وعبارةُ السكاكِىّ فى ذلك أوضح من هذه العبارة .

(٣) سورة البقرة : ١٧ .

(٤) أى للتشبيه قبل التمثيل .

ومنه ما هو خَفِيّ لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة ، كقول مَن وصفَ (١) بنى المهلَّب للحجاج لما سأله عنهم وأن أيّهم أنْجدُ : « كانوا كالحلقة المفْرَغة (٢) لا يُدْرى أين طرفاها » . أى لتناسب أصولهم وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً وبعضهم أفضل منهم ، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطًا (٣) هكذا نسبه الشيخ عبد القاهر إلى من وصف بنى المهلب (٤)، ونسبه الشيخ جارُ الله العلاّمة (٥) إلى الأنمارية ، قيل : هى فاطمة بنت الخُرشُب سئلت عن بنيها أيُّهم أفضل ؟ فقالت : عُمارةُ ، لا ، بل فلانٌ ، لا بل فلانٌ ، ثم قالت : « ثكلتُهم إن كنت أعلم أيّهمْ أفضلُ (٦) ؛ هم كالحلقة المفرغة لا يُدرَى أين طرفاها » .

وأيضاً منه ما لم يُذْكر فيه وصفُ المشبه ولا وصف المشبه به (٧) كالمثال الأول (٨) . ومنه ما ذُكر فيه وصف المشبه به وحده كالمثال الثانى (٩) ونحوه قول زياد الأعجم :

---

(١) هو كعب الأشقرى .

(٢) أى التى أذيب معدنها وأفرغ فى قالب .

(٣) ما ذكره من الأمرين يتضمن وجه الشبه ، وليس به ؛ لأن الأول مختص بالمشبه ، والثانى مختص بالمشبه به ، وإنما وجهُ الشبه هو الأمر الكلى الخالى عن التفاوت، ولا شك أن الانتقال من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غايةٌ فى الدقة؛ فالوجه بين الطرفين لا يدركه إلا الخاصة ، أما العامة فيتبادر إليهم تناسبهم فى الصورة .

(٤) ١٠٦ - أسرار البلاغة .

(٥) هو الزمخشرى ، وعلى هذا يكون كعب الأشقرى قد أخذه من الأغاربة .

(٦) « أىٌّ » فى قولها « أيهم » يجوز أن تكون استفهامية علقت « أعلم » عن العمل فى معموليها ، وأن تكون موصولة فى محل نصب مفعول أول ، و « أفضل » خبر مبتدأ محذوف ، والجملة صلة ، والمفعول الثانى محذوف تقديره كائناً منهم .

(٧) يعنى وصفهما الذى يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه لا مطلق وصف .

(٨) هو : زيد أسد .

(٩) هو : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

وإنّا وما تُلْقى لنا إن هَجوْتَنا لكالبحرِ مَهْما تُلْقِ فى البحرِ يَغْرقِ [1]

وكذا قول النابغة الذبيانى :

فإنك شـــمسٌ والملوكُ كواكبُ إذا طَلَعتْ لـم يبْدُ منهـــنَّ كوكب [2]

ومنه ما ذُكر فيه وصف كل واحد منهما ، كقول أبى تمام :

صدفتُ عنه ولم تصْدفْ مواهبُه عنّى وعاوده ظنِّى فـلـم يَخـــبِ [3]

كالغيث إنْ جِئتَهُ وَافَـاكَ رَيـقه وإن تَرَحَّلْتَ عنه لجّ فى الطلـبِ [4]

المفصَّل : والمفصل ما ذُكر وجهه [5] ، كقول ابن الرومى :

يا شبيهَ البدْر فــى الحسـْـ ـنِ وفى بُعْدِ المنـــالِ [6]

جُدْ فقدْ تـنـفْجر الصَّخْـ ـرةُ بالمـــــاء الـزُلال [7]

وقول أبى بكر الخالدى :

يا شبيهَ البـدْر حُسْـناً وضيـاءً ومــنالا

(١) فالمشبــه به البحر ، والجملة بعده حــال منه فهى صفة له ، ووجه الشــبه عدم ظهور الأثر فى كل مـنهما ، وفى وصف البـحر بذلك إشارة إلـيه ، وفى رواية : مهــما يلْق .

(٢) هو لزياد بن معــاوية المعروف بالنابغة الذبـيانى ، والخطــاب فيـه للنعمـان بن المنذر ، والمشبـه به فيه الشـمس والكواكب ، وجملة « إذا طلعت لم يبـد منهن كوكب » صفه تنبىء عن وجه الشبه .

(٣) قوله « صدفتُ » بمعنى أعرضت ، والمواهب : الهبات .

(٤) قــوله « وافاك » بمعنى أتــاك ، ريقه : أوله أو أفـضله ، وقــوله « لج » بمعنى ألح . وصفة المشبه به يتـضمنها البيت الثانى ، وفيهما إشارة إلى وجـه الشبه وهو الإفاضة فى حال الإعراض وفى حال الطلب .

(٥) أى بنفسه أو بما يستتبعه كما سيأتى .

(٦) هما لعــلى بن العباس المـعروف بابن الرومى ، والمنال : مـصدر ميـمى بمعنى التناول أو اسم مكان ، يعنى بذلك بُعْد وصاله وأنه كالبدر فى بعد مناله .

(٧) قولـه « جد » يعنى بالوصــال ، والماء الزلال : هو العذب الصــافى الذى يمر سريعاً فى الحلق .

وشبيهَ الغصنِ ليناً وقواماً واعتدالا
أنت مثلُ الْورد لوناً ونسيماً وبلالا [١]
زَارَنَا حتى إذا ما سرَّنا بالقرب زالا

وقد يُتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه [٢] كقولهم فى وصف الألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان لتنافُر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبةً وحشيةً تُستكْرَه لكونها غير مألوفة ، ولا مما تبعدُ دلالتُها على معانيها : « هى كالعسل فى الحلاوة ، وكالماء فى السلاسة ، وكالنسيم فى الرقة » وقولهم فى الحُجة إذا كانت معلومة الأجزاء يقينية التأليف بيِّنة الاستلزام للمطلوب : « هى كالشمس فى الظهور » ، والجامع فى الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع ، ولازم السلاسة والرقة وهو إفادة النفس نشاطاً ورَوْحاً [٣] ، ولازم الظهور وهو إزالة الحجاب [٤] ؛ فإن شأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذى يلذ طعمه فتهشُّ النفس له ، ويميل الطبع إليه ، ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذى يسوغ فى الحلق ، ومع النسيم الذى يسرى فى البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفسَ نشاطاً ورَوْحاً ، وشأنها مع الشُّبهة التى تمنع القلب إدراك ما هى شبهة فيه ، كشأنها مع الحجاب الحسىِّ الذى يمنع أن يُرَى ما يكون من ورائه ، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب إدراكه .

(١) البلال : بتثليث الباء النُّدْوة ، ويروى « ملالا » فيكون من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم وهو سرعة الزوال والمفارقة . وأبو بكر الخالدى هو محمد بن هاشم .

(٢) ذهب السبكى إلى أن المذكور هو وجه الشبه ، ولا داعى إلى ذلك التأوُّل ؛ لأنه إذا لم يكن موجوداً فى المشبه حقيقةً فهو موجود بالتخيل ، ولكن هذا التأول لا بدّ منه عند عبد القاهر ؛ لأنه هو المعوَّل عليه عنده فى الفرق بين التمثيل والتشبيه .

(٣) أى راحة .

(٤) أى المانع حِسّياً كان أو عقلياً ، وإنما كان وجه الشبه لازمَ ذلك لأنه هو المشترك بين الطرفين .

قال الشيخ صاحب المفتاح[١]: «وتسامُحهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه فى وصف اعتبارىّ كالذى نحن فيه[٢]، وأقول: يشبه أن يكون تركهم التحقيق فى وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه مِن تسامُحهم هذا»[٣]. انتهى كلامه .

القريب المُبتَذَل :

والقريب المبتذل ، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ؛ لظهور وجه فى بادىء الرأى ، وسببُ ظهوره أمران :

الأول : كونُ الشبه أمراً جُمْلياً [٤] ؛ فإن الجملةَ أسبقُ أبداً إلى النفس من التفصيل ؛ ألا ترى أن الرؤية لا تصل فى أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل : « النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم يُنْعِم النظر » وكذا سائر الحواسّ ؛ فإنه يُدْرَك من تفاصيل الصوت والذوق فى المرة الثانية ما لم يدرك فى الأولى ، فمن يروم التفصيل كمن يبتغى الشىء من بين جملة يريد تمييزه مما اختلط به ، ومن يروم الإجمال كمن يريد أخذ الشىء جُزافاً ، وكذا حكمُ ما يُدْرَك بالعقل ، ترى الجُمَلَ أبداً تسبق إلى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر إلا بعد إعمال الرَّوِيّة .

والثانى كونُه قليلَ التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن إما عند حضور المشبه لِقُرْب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء

(١) ص ١٨٢ - المفتاح .

(٢) هو كلٌّ من ميل الطبع وإفادة النفس نشاطاً ورَوْحاً وإزالة الحجاب .

(٣) يعنى بذلك أن ما سبق من تقسيمهم وجه الشبه إلى حسى وعقلى وهو فى التحقيق عنده لا يكون إلا عقلياً مبنىٌّ على هذا التسامح ؛ لأنهم لما جعلوا ملزوم وجه الشبه من وجه الشبه، جاز أن يكون وجه الشبه حسيا؛ لأن ملزوم العقلى قد يكون حسيا.

(٤) بأن يكون أمراً واحداً لا تركيب فيه ، كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة ، أو يكون مركباً لم ينظر إلى أجزائه ، كتشبيه رجل بالفرس فى الحيوانية ، والقرب والابتذال ، وكذا البعد والغرابة يرجع كل منها فيما ذكر إلى أمور ذاتية لا تتأثر بكثرة الاستعمال أو قلته ؛ فالقريب قريبٌ وإنْ قلَّ استعماله ، والبعيد بعيد وإن كثر استعماله .

بالإجّاصة[1] فى الشكل وفى المقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك . وإما مطلقاً لتكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة ؛ فإن قرب المناسبة والتكرر كلٌّ واحد منهما يعارض التفصيلَ لاقتضائه سرعة الانتقال .

البعيد الغريب : والبعيد الغريب ؛ وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه فى بادىء الرأى ، وسبب خفائه أمران :

أحدهما : كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل [2] ؛ فإنَّ ما ذكرناه من الهيئة [3] لا يقوم فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملاً ، ويكون فى نظره متمهلا .

والثانى : ندور حضور المشبه به فى الذهن إمّا عند حضور المشبه؛ لبعد المناسبة بينهما ، كما تقدَّم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت [4] وإمّا مطلقاً لكونه وهمياً أو مركباً خياليا أو مركبا عقلياً ، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال[5] ، وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد[6] ، تشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً [7] ؛ فإن كلاًّ سببٌ لندرة حضور المشبه فى الذهن ، أو لقلة تكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل [8]؛ فإنه ربما يقضى الرجلُ دهرَه ولا يتفق له أن يرى مرآةً فى يد الأشل ، فالغرابة فى هذا التشبيه من وجهين [9] .

---

(1) الإجاصة : واحدة الإجاص ، وهو شجر ثمره لذيذ حلو .

(2) انظر ص ٢٣ ، { والشمس كالمرآة فى كف الأشَلّ } .

(3) يعنى وجه الشبه فيه .

(4) انظر ص ٣٧ .

(5) انظر ص ٣٧ ، وهو مثال للوهمى .

(6) انظر ص ١٤ ، وهو مثال للمركب الخيالى .

(7) انظر ص ٢٩ ، وهو مثال للمركب العقلى .

(8) انظر ص ٢٣ .

(9) هما كثرة التفصيل ، وندرة الحضور فى الذهن .

والمراد بالتفصيل أن يُنْظر فى أكثرَ من وصفٍ واحد لشيءٍ واحد أو أكثر، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلبُ الأعرفُ منها وجهان :

أحدهما أن تأخذَ بعضاً [1] وتَدَعَ بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس فى قوله :

حملْتُ رُدَيْنياً كأن سنانَهُ   سَنا لهبٍ لم يَتّصِلْ بدُخانِ [2]

ففصلَ السّنا عن الدخان وأثبته مفرداً [3] .

والثانى أن يعتبر الجميعَ ، كما فعل الآخر فى قوله :

وقد لاحَ فى الصبح الثُّريّا كما تَرَى   كعُنقودِ مُلاّحيّة حين نَوَّرا [4]

فإنه اعتبر من الأنجم الشكلَ والمقدارَ واللونَ واجتماعَها على المسافة المخصوصة فى القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك فى العنقود المنوّر من الملاحية .

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ ، كقوله تعالى: ﴿ إنما مثل الحياة الدُّنْيا كماء أنزلْناه من السّماء فاختْلط به نبات الأرْض ممّا يأكل النّاس والأنعام حتّى إذا أخذت الأرض زخرْفها وازّيّنتْ وظنَّ أهلْها أنهم قادرون عليْها أتاها أمْرنا ليْلاً أوْ نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لمْ تَغْنَ بالأمس ﴾[5] فإنها عشر جمل إذا فصِّلت [6]، وهى وإن دخل بعضُها فى بعض حتى صارت كلُّها كأنها جملة واحدة ، فإنَّ ذلك لا يمنع من أن تُشير إليها واحدةً واحدة ، ثم إن الشبه منتزعٌ من مجموعها من غير أنْ يمكنَ فَصْلُ بعضها عن بعض ، حتى لو حُذف منها جملة أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه .

---

(١) أى من الأوصاف .

(٢) قد سبق هذا البيت فى الكلام على الإيغال من الإطناب فى الجزء الثانى، وقد فضّله عبد القاهر من ناحية التفصيل والإجمال على قول عنترة : يُتابعُ لا يتبعنى غيرَهُ بأبيضَ كالقَبَسِ الملتهِبْ .

(٣) فزاد السنا بهذا تألقاً وضياء . (٤) انظر ص ٢٢ . (٥) سورة يونس : ٢٤ .

(٦) وتفصيلها – أنزلناه . فاختلط . مما يأكل. حتى إذا أخذت. وازينت وظن . أنهم قادرون . أتاها . فجعلناها . كأن لم تغن .

ومن تمام القول فى هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت فى جانب المشبه به تكون على وجوه : أحدها أن تلى نكرةً فتكونَ صفةً لها ، كما فى هذه الآية ، وعليه قول النبى ﷺ : « الناس كإبلٍ مائةٍ لا تجد فيها راحلة [١] »والثانى أن تلى معرفةً هى اسم موصول فتكون صلةً له ، كقوله تعالى: ﴿ مثلهمْ كمثل الذى استَوقَد ناراً ﴾[٢] الآية ، والثالث أنْ تَلِيَ معرفةً ليست باسم موصول فتقع استئنافاً [٣] كقوله عز وعلا: ﴿ مثل الذين اتخذوا منْ دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾ [٤].

ومن أبلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه قولُ ابن المعتز :

كأنّا وضوْءُ الصبح يستعجل الدُّجَى نُطِيرُ غُراباً ذَا قوادِمِ جُونِ [٥]

شبه ظلامَ الليل حين يظهر فيه ضوءُ الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضاء ؛ لأن تلك الفرَق من الظلمة تقع فى حواشيها مِن حيث يلى معْظم الصبح وعموده لُمَعُ نورٍ [٦] يُتخيل منها فى العين كشكل قوادم بيض ، وتمام التدقيق فى هذا التشبيه أن جعلَ ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بأن تتمهل فى

(١) الإبل فى اللغة: اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والراحلة : الناقة الكريمة؛ فالناس كهذه الإبل لا يكاد يوجد فى كل مائة منهم رجل كريم ، ويجوز رفع مائة على أنه مبتدأ ، أى مائة منها ، فتكون جملة مستأنفة .

(٢) سورة البقرة : ١٧ .

(٣) لأن قوله تعالى فى الآية الآتية : ﴿ كمثل العنكبوت ﴾ يشير إلى سؤال تقديره: ما مثله ؟ فيكون قوله تعالى : ﴿ اتخذت بيتا ﴾ جوابه .

(٤) سورة العنكبوت : ٤١ .

(٥) هو لعبد الله بن المعتز ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة . والقوادم : أوائل ريش الطائر ، والجون : جمع جوْن وهو الأبيض أو الأسود ، والمراد هنا الأبيض .

(٦) « لمع نور » فاعل « تقع » ، ومعظم الصبح : فاعل « يلى » ، يعنى أن هذه اللمع تكون قبل ظهور معظم الصبح ، وفى بعض النسخ « تلى » ففاعله يعود على الفرق ، ومعظم الصبح مفعوله .

حركتـها ، ثم لـمّا راعى ذلك فى التشـبيه ابتداءً راعـاه آخِراً حيث قال « نُطير غرابـاً » ولم يقل « غراب يطيـر ونحوه » لأن الطائر إذا كـان واقعـاً فى مكان فأُزْعِج وأُطيـر منه ، أو كان قد حـبس فى يد أو قفص فـأُرْسِل، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه ، وأدْعَى له أن يستمر على الطيران حتى يصير إلـى حيث لا تراه العيون ، بخلاف ما إذا طار على اختيـار ؛ فإنه حينئذ يـجوز ألاّ يسرع فـى طيرانه ، وأنْ يصيرَ إلى مكانٍ قريبٍ من مكانه الأول .

وكذا قول أبى نواس فى صفة منقار البازى :

كَعْطفَةِ الجيم بكَفٍّ أعْسَرا [1]

غيـر خاف أن الجيم خطّان : أولهـما الذى هو مـبدؤه ، وهو الأعلى ، والثانى الـذى يذهب إلى اليسـار . وإذا لم يُوصَلْ بهـا [2] فلها تَعْرِيقٌ [3] . والمِنْقَار إنما يشـبه الخط الأعلى فقـط ، فلهذا قال « كـعطفة الجـيم » ولم يقل كالجِـيم ، ثم دقّق بأن جعلها بكف أعـسر ؛ لأن جيم الأعـسر يقال إنه أشـبهُ بالمنقار مـن جيم الأيمن [4] ، ثم أراد أن يؤكـد أن الشبه مـقصـور على الخط الأعلى من الجيم ، فقال :

---

(١) قبله :

كأن عينيه إذا ما أثأرا ... فَصّان قِيضا من عقيقٍ أحمرا

فى هامة غَلْباءَ تهدى منْسَرا ... .

وقوله - أثأر - بمعنى أدرك ثأره ، وقـوله « قيضا » بمعنى شـقّا ، والهامة : رأس كل شىء وتطلق على الجثة. والغلباء: القوية . ويروى « علياء » . وقوله « تهدى » بمعنى تتقدم ، والمنسر : كمجلس ومنبر : منقار الطير الجارح ، وعطفة الجيم : خطها الأعلى ، والأعسـر : الذى يعمل بشماله .

(٢) يعنى إذا لم يوصل بها حرفٌ آخَر بأن كانت مفردةً أو آخِرَ كلمة .

(٣) التعـريق : هو أن يُعطف بالخط الأسفل إلى اليمين علـى هيئة قوس كـما هو الشأن دائماً فى الجيم المفردة .

(٤) لأن الحركة فى جيم الأعسر أكثر انحرافاً .

يقولُ مَنْ فيها بعقلٍ فكَّرا

لو زادها عيناً إلى فاءٍ و رَا فاتصلتْ بالجيم صارتْ جَعْفَرا (١)

فأبان أنه لم يدْخل التعريقُ فى التشبيه لأن الوصل يُسقطه أصلاً ، ولا الخطّ (٢) الأسفل وإن كان لا بد منه مع الوصل ، لأنه قال « فاتصلت بالجيم » أى بالعطفة المذكورة ولم يقتصر على قوله « لو زادها عيناً إلى فاء ورا »؛ ولأجل هذا التدقيق قال : « يقول مَن فيها بعقل فكَّرا »؛ فنبه على أن بالمشبَّه حاجةً إلى فضل فِكر ، وأن يكون فِكْرُه فكرَ من يراجع عقله .

وإذْ قد تحققتَ ما ذكرنا من التفصيل علمتَ أنَّ قول امرىء القيس فى وصف السِّنان (٣) أعلى طبقةً من قول الآخَرَ :

يُتابعُ لا يبتغى غيرَهُ بأبيضَ كالقبَس الملتهبْ (٤)

لخلوّ الثانى عن التفصيل الذى تَضَمَّنه الأول ، وهو قَصْرُ التشبيه على مجرد السَّنا وتصويره مقطوعاً عن الدخان ، ومعلومٌ أنَّ هذا لا يقع فى الخاطر أول وهلةٍ ، بل لا بد فيه من أن يتثبَّتَ وينظر فى حال كلٍّ من الفرع والأصل،

---

(١) را : مقصور راء ، وفاعل « اتصلت » يعود إلى العين ، وقوله « صارت جعفرا » يعنى صارت كلمة جعفر ، ولو أنه اقتصر على ما قبل قوله « يقول من فيها بعقل فكرا » لكان أجود وأرشق وأدخل فى مذاهب الفصحاء ؛ لأنه لا يجهل أحد أن الجيم إذا أضيفت إليها العين والفاء والراء تصير جعفراً ، ثم إن هذا لا يدخل فى صفة البازى ، وقد اعتذر له بأنه أراد أنها تشبه الجيم لا تغادر مِن شبهها شيئاً ، حتى إنها لو زيدَتْ عليها هذه الأحرف صارت جعفراً لشدة شبهها بها .

(٢) فلوَ كان الخط الأسفل داخلاً فى التشبيه لم يقل ذلك ؛ لأن العطفة مع ذلك الخط لا تحتاج فى اتصالها بغيرها إلى واسطة .

(٣) انظر ص ٥٧ .

(٤) هو لعنترة العبسى ، والضمير فى قوله « يتابع » لورد بن حابس ، وفى قوله « غيره » لنضلة الأسدى ، وكان لِوَرد ثأرٌ عنده ، والقبس الملتهب : هو النار الموقدة فالمشبه به واحد فى البيتين .

حتى يقع فى النفس أنَّ فى الأصل شيئاً يَقْدَح فى حقيقة التشبيه؛ وهو الدخان الذى يعلو رأس الشعلة .

وكذا قوله :

وكأنَّ أجرامَ النجوم لوامِعاً دُرَرٌ نُثِرْن على بساطٍ أزرق [1]

أفضل من قول ذى الرُّمّة :

كأنها فضةٌ قد مسَّها ذهبُ [2]

لأنَّ الأوَّلَ مما ينـدر وجـوده دون الثـانى ؛ فـإنَّ الناسَ أبـداً يرون فى الصياغات فضةً قـد مُوِّهَتْ بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد دُرَرٌ قد نُثِرن على بساط أزرق .

وكذا بيتُ بَشَّار [3] أعلى طبقةً من قول أبى الطيب :

يزورُ الأعادِى فى سماء عجاجة أسنَّتُه فى جانبيها الكواكبُ [4]

وكذا من قول الآخر :

تَبْنى سَنَابِكُهَا مِن فَوْقِ أرؤُسِهم سَقفاً كواكِبُه البيضُ المباتير [5] .

(١) انظر ص ٢٣ ، ٤٧ .

(٢) هو من قوله :

كحْلاءُ فى بَرَجٍ صفراءُ فى نَعَجٍ كأنها فِضّةٌ قد مَسَّهَا ذهبُ

والبَرَج : أن يكون بياضُ العين محدقاً بالسواد كله لا يغيب مِن سوادِها شىء ، أو نجلُ العين وسعتُها ، والنعج : البياض الخالص ، والمراد أن صفرتها يشوبها بياض خالص ، وهو محمود عندهم .

(٣) انظر ص ٢٣ .

(٤) العجاجة : الغبار ، والأسنة : جمع سنان وهو نصل الرمح .

(٥) هو لكلثوم بن عمرو العتابى ، وفى أسرار البلاغة أنه لعمرو بن كلثوم ، ولعله تحريف من الناسخ ، والسنابك : جمع سنْبكٍ وهو طرف الحافر ، وقوله « سقفاً » بمعنى غبار كالسقف فهو استعارة ، والبيض المباتير : هى السيوف القواطع ، والمباتير : جمع مبتار صيغة مبالغة من « بتر » بمعنى قطع .

لأن كلَّ واحدٍ منهما وإنْ راعَى التفصيل فى التشبيه فإنه اقتصر على أنْ أراك لَمعانَ الأسنَّة والسيوف فى أثناء العجاجة ، بخلاف بَشَّار فإنه لم يقتصر على ذلك ، بل عبَّر عن هيئة السيوف وقد سُلَّتْ من أغمادها وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيلَ تفصيلاً ؛ لأنها لا تقع فى النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أنَّ للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الأيدى بها فى الضرب اضطراباً شديداً وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهاتٌ مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضُها بعضاً ، ثم أشكالها مستطيلةٌ ، فنبَّه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهى قولة « تهاوى » لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركتها ثم كان لها فى التهاوى تواقعٌ وتداخلٌ ، ثم استطالت أشكالها .

وكذا قول الآخر فى الآذريون :

مَداهنٌ مِن ذهبٍ فيها بقايا غاليَهْ (١)

أعلى وأفضل من قوله فيه :

ككأس عقيق فى قراراتها مِسْك (٢)

---

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، وقد جاء قبله :

سقْياً لروضات لنا مِن كُلِّ نَورٍ حاليَه
عيونُ آذرْيونهـا للشمس فيـها كاليه

والنور : الزهر ، والآذريون : ورد له أوراق حمر فى وسطه سواد له نبوٌّ وارتفاع وقد يكون أصفر ، وهو مُعَرَّب آذرجون أى لون النار . وكالية : اسم فاعل من - كلأ - ومعنى كلاءتها للشمس أنها تدور معها حيث دارت . والمداهن : جمع مدْهن وهو حُقٌّ الدهن ، والغالية : أخلاط من الطيب .

(٢) هو من قول عبد الله بن المعتز أيضاً :

وطافَ بها ساقٍ أديبٌ بمبْزلٍ كخنجر عيَّارٍ صناعته الفتْكُ
وحُمِّل آذرْيونةً فوقَ أذْنه ككأسِ عقيقٍ فى قراراتها مسْكُ

والمبزل : ما يُصَفَّى به الشراب، وهو شبه حلمة الضرع فى الدَن ونحوه، يسيل=

لأن السواد الذى فى باطن الآذريونة - الموضوعة بإزائه الغالية والمسك - فيه أمران : أحدهما أنه ليس بشامل لها ، والثانى أنه لم يستدر فى قعرها ، بل ارتفع منه حتى أخذ شيئاً من سُمكها من كل الجهات ، وله فى منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب المدهن إذا كانت بقيت بقيةٌ عن الأصابع ، وقوله « فى قرارتها مسك » يُبينّ الأمرَ الأول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال: « فيها مسك » ولم يشترط أن يكون فى القرارة ، وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله « بقايا غالية » ؛ لأنَّ من شأن المسك والشىء اليابس إذا حصل فى شىء مستدير له قعرٌ أنْ يستدير فى القعر ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاعَ الذى فى سواد الآذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ، ثم تؤخذ بالأصابع فلا بد فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هى لنعومتها ترقُّ فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم ، وذلك أصدق للشبه .

التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ : والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع - أعنى البعيدَ - لغرابته (١) ؛ ولأن الشىء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نَيْلُه أحلى ، وموقعه من النفس ألطف وبالمسرّة أولَى ، ولهذا ضُرب المثل لكل ما لطفَ موقعه ببرد الماء على الظمأ ، كما قال :

وهنَّ ينبذْن من قولٍ يُصبْن به ... مواقعَ الماءِ من ذِى الغُلَّة الصّادى (٢)

= الشراب منه ، والعيّار : الكثير التجوُّل والطواف أو الذى يتردد بلا عمل ، ووجْهُ الشبه بين المبزل والخنجر : الاعوجاج فيهما ، وقد روى « وجوّل آذريونة » يعنى أنه أدار هذا الورد فوق أذنه ، وهذه عادة الفرس يحملون الورد فوق آذانهم . والعقيق : خرز أحمر .

(١) يريد بهذا أن البليغ من التشبيه هو هذا النوع ، وهذه التسمية مأخوذة من البلاغة بمعنى اللطف والحسن لا من البلاغة بمعنى المطابقة لمقتضى الحال ؛ لأن التشبيه لا يتفاوت هذا التفاوت من هذه الناحية ، وهذه طريقة بعض علماء البيان فى التشبيه البليغ ، والمشهور أنه هو التشبيه المحذوف الأداة .

(٢) هو لعمير بن شُيَيْم القطامى، وقوله « ينبذن » بمعنى يرمين ويطرحن . ومن: تبعيضية ، والغلة : الحرقة ، والصادى : الشديد العطش ، ومواقع : مفعول يصبن .

لا يقال : عدمُ الظهور ضربٌ من التعقيد ، والتعقيدُ مذموم ؛ لأنّا نقول : التعقيد كما سبق له سببان : سوءُ ترتيب الألفاظ ، واختلالُ الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ . والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببُه لطفَ المعنى ودقَّته أو ترتيبَ بعض المعانى على بعض ، كما يُشعر بذلك قولنا (١) «فى بادىء الرأى» ؛ فإن المعانى الشريفة لا بدّ فيها فى غالب الأمر من بناءِ ثانٍ على أول وردِّ تالٍ إلى سابق ، كما فى قول البحترى « دان على أيدى العفاة » البيتين (٢) . فإنك تحتاج فى تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه المجاز فى كونه دانياً وشاسعاً ، ثم تعود إلى ما يعرض البيتُ الثانى عليك من حال البدر ، ثم تُقابل إحدى الصورتين بالأخرى، وتنظر كيف شرَط فى العلوِّ الإفراطَ ليشاكل قوله « شاسع » لأن الشسوع هو الشديد من البعد ، ثم قابلَه بما يشاكله من مراعاة التناهى فى القرب ، فقال: « جد قريب » فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفكر ، وهل شىءٌ أحلى من الفكر إذا صادفَ نهْجاً قويماً إلى المراد ، قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة : «وأين تقع لذةُ البهيمة بالعَلوفة، ولذةُ السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدْمان قَرْعه ؟ .

تحول القريب إلى بعيد : وقد يُتصرَّفُ فى القريب المبتذَل بما يخرجه من الابتذال إلى الغرابة ، وهو على وجوه : منها أن يكون كقوله :

لمْ تَلْقَ هذا الوجْهَ شمسُ نهارنا   إلا بوجهٍ ليس فيه حياء (٣)

---

(١) أى فى تعريف البعيد الغريب فيما سبق .

(٢) انظر ص ٨ .

(٣) هو لأبى الطيب فى مدح هارون بن عبد العزيز ، والتشبيه فيه ضمنى ؛ لأن وجه الممدوح إذا كان أعظمَ من الشمس فى الضياء لزم اشتراكهما فى أصله ، فيثبت التشبيه ضمناً ، وكأنه قال : هذا الوجه كالشمس فى أصل الحسن فقط .

وقوله :

فرُدَّت علينا الشمسُ والليلُ راغمٌ بشمس لهم من جانبِ الخِدْر تطْلعُ
فواللهِ ما أدرى أأحْلامُ نائمٍ ألمَّتْ بنا أم كان فى الركب يوشَعُ (١)

فإن تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذَل ، لكن كل واحد من حديث الحياء فى الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام فى الثانى أخرجه من الابتذال إلى الغرابة . وشبيهٌ بالأول قول الآخَر :

إنّ السَّحابَ لَتستَحِي إذا نظَرَتْ إلى نداكَ فقاستْه بما فيها (٢)

ومنها أن يكون كقوله :

عزَماتُه مثلُ النجومِ ثَوَاقِباً لو لَمْ يكُنْ للثَّاقِباتِ أُفُولُ (٣)

وقوله :

مَهَا الوحشِ إلا أنَّ هَاتَا أوانسٌ قَنَا الَخطِّ إلا أن تِلْكَ ذوابِلُ (٤)

---

(١) هما لأبى تمام . والرغم : اسم فاعل من « رغم » كفرح وكرم بمعنى ذلّ . وإنما حصل هذا للّيل لزواله بطلوعها ، والضمير فى « لهم » للخليط فى البيت قبلهما وهو يُطلق على الواحد والجمع ، والخدر : الستر الذى يُمَدُّ للجارية أو ما يُفْرَد لها من السكن أو كل ما يُتوارَى به ، وقوله « ألمت » بمعنى نزلت ، وهو يشير بقوله « أم كان فى الركب يوشع » إلى قصة يوشع مع الشمس ، وسيأتى تفصيلها فى الكلام على التلميح فى علم البديع ، والشاهد فى قوله « بشمس لهم » ؛ لأن تقديره: بجارية لهم كالشمس ، وهذا استعارة لا تشبيه .

(٢) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس. ، والندى : الكرم ، ورواية الديوان: « نداه » . وما فى السحاب هو المطر ، يعنى أنها تستحى إذا شبَّهَتْ نداك بمطرها لأنه أعظم منه ، وفى هذا تشبيه ضمنى أيضاً .

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ، والثواقب : النوافذ ، والأفول : الغروب .

(٤) هو لأبى تمام ، والمها : بقر الوحش واحدُهُ مهاة ، واسم الإشارة « هاتا » يعود إلى النسوة المشبهات ، والقنا : الرماح واحدُه قناة ، والخط : اسم بلد تُصنع فيها ، والذوابل : الجافة ، واسم الإشارة « تلك» يعنى أن قدودهن تفضلها بالطراوة والنضارة .

وقوله :

يكادُ يحكيك صَوْبُ الغيثِ منسكباً لَوْ كانَ طَلْقَ المحيــا يُمطر الذّهبا
والبدو لوْ لم يَغِبْ والشمْس لَو نطقتْ والأُسْدُ لو لم تُصَدْ والبحرُ لو عَذُبا[١]

وهذا يُسَمَّى التشبيه المشروط [٢] .

ومنها أن يكون كقوله :

فى طلْعةِ البدرِ شيءٌ مِن مَحاسنها ولِلقضيب نصيبٌ مِنْ تَثَنِّيها [٣]

وقول ابن بابَك :

ألا يا رياضَ الحزْنِ مِن أبْرَقَ الحِمَى نَسيمُكَ مَسروقٌ ووصفُكَ منتحَل[٤]
حكيْتِ أبا سعد فَنشْرُكَ نَشْرُهُ ولكنْ له صِدْقُ الهوَى ولكِ المَلَلْ [٥]

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات ، كقوله :

كأنما يبسَمُ عن لؤْلُؤٍ منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أَقاحْ [٦]

---

(١) هما لأحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى ، والغيث : المطر ، وصوبه :عطاؤه ، والمحيا : الوجه ، وطلق الوجه :ضاحكه .

(٢) إنما سُمِّى هذا الوجه بذلك لما فيه من الشرط ، والغرابة فيه ناشئة من كونه مشروطاً ، والشرط قد يكون فى المشبه أو المشبه به أو فيهما .

(٣) هو للبحترى ، والمحاسن : جمع حُسْن على غير قياس ؛ لأنه لا واحدَ له من لفظه ، والقضيب : الغصن ، والغرابة فى التشبيهين ناشئةٌ من قلب التشبيه فيهما ، ويريد بتثنيها: تمايلها وتبخترها .

(٤) الحزن : الأرض الغليظة ، وأبرق الحمى : موضع ، ونسيمها : رائحتها ، ووصفها : نضارتها وبهجتها ، والمنتحل : اسم مفعول من « انتحل كذا » بمعنى ادَّعاه لنفسه وهو لغيره . وابن بابك هو عبد الصمد بن منصور .

(٥) النشر : الرائحة ، وصدق الهوى : ثباته ، والملل : السأم . يريد به سرعة زوال نضرتها من إطلاق السبب وإرادة المسبب ، والغرابةُ فيه ناشئةٌ مِن قلب التشبيه أيضاً. وأبو سعد هو على بن محمد بن خلف الهمذانى .

(٦) انظر ص ٤٩ .

كما يزداد بذلك لطفاً وغرابةً ، كقوله :

لهُ أيْطلا ظبْيٍ وساقا نعامةٍ   وإرخاءُ سرْحان وتقريبُ تَتْفُلِ (١)

أقسام التشبيه باعتبار أداته :

وأما باعتبار أداته فإما مؤكَّدٌ أو مرسلٌ :

والمؤكد: ما حُذفت أداته ، كقوله تعالى : ﴿ وهى تمرُّ مرَّ السّحاب ﴾(٢) وقوله: ﴿ يأيُّها النّبُّى إنّا أرْسلْناك شاهداً ومُبـشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذْنه وسراجاً مُنيراً ﴾ (٣) وقول الحماسى :

هُمُ البحورُ عطاءً حين تسألهم   وفى اللّقاء إذا تُلْقى بِهِمْ بُهَمُ (٤)

إلى غير ذلك كما سبق (٥) . ومنه نحو قول الشاعر :

والرّيحُ تعبَثُ بالغُصُونِ وقد جرَى   ذهبُ الأصيـــل على لُجَينِ المـــاء(٦)

وقول الآخَر يصفُ القمرَ لآخرِ الشهر قبل السِّرار :

كأنما أدْهمُ الإظـــلام حين نجــا   مِنْ أشْهبِ الصبح ألْقَى نَعْلَ حافرِه(٧)

---

(١) هو لامرىء القيس فى وصف فرسه ، وأيطلا الظبى : خاصرتاه ، والسرحان: الذئب ، وإرخاؤه : جريه فى سهولة ، والتتفل : ولد الثعلب ، وتقريبه : عدوه ، وإنما زاد التشبيه هنا لطفاً لتعدد المشبه والمشبه به فيه ، أما التشبيه قبله فلم يتعدد فيه إلا المشبه به .

(٢) النمل : ٨٨ .   (٣) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) هو لزياد بن حمل ، والبهم : واحده بهمةٌ وهو الشجاع الذى لا يُدْرَى كيف يؤتَى لاستبهام شأنه .

(٥) فى أمثلة التشبيه من أول بابه إلى هنا ، فقد ورد فيها كثير من التشبيه المؤكد .

(٦) هو لإبراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة الأندلسى . والأصيل : ما بين العصر والمغرب ، واللجين : الفضة ، وقد جرى التشبيه المؤكد هنا على طريقة مخالفة لما سبق من أمثلة ، وهى إضافة المشبه به إلى المشبه فى قوله « لجين الماء » . أما قوله « ذهب الأصيل » فهو استعارة لا تشبيه .

(٧) هو لعبد الجبار بن حمديس الصقلى . والأدهم : الفرس الأسود ، والأشهب : الفرس الأبيض . والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدهم ، والصبح بالفرس =

وقول الشريف الرضى :

أرْسَى النسيمُ بواديكم ولا بَرِحتْ حواملُ المُزْنِ فى أجداثكم تَضَعُ
ولا يزالُ جَنينُ النبْت تُرْضعه على قبوركم العُراضَةُ الهمع(١)

المرسَل : والمرسل ما ذُكرتْ أداته ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهمْ كَمثلِ الذى اسْتوْقَدَ ناراً ﴾(٢) وقوله عز وجل : ﴿ عرْضُهَا كعرضِ السَّماءِ والأرْضِ ﴾(٣) وقول امرىء القيس :

وتَعْطو برَخْصٍ غيرِ شثْنٍ كأنّه أساريعُ ظَبْيٍ أو مَسَاوِيكُ إسْحَلِ (٤)

وقول البحترى :

وإذا الأسِنَّةُ خالطَتْها خِلْتَها فيها خيالُ كواكبٍ فى الماء (٥)

إلى غير ذلك كما تقدم (٦) .

= الأشهب ، والقمر قبل السرار بالنعل الذى يكون فى رِجل الفرس لمشابهته له فى الدقة والانعطاف ، وقد جرى فى التشبيهين الأولين على إضافة المشبه به إلى المشبه أيضًا ، أما قوله « نعل حافره » فهو استعارة لحذف المشبه فيه .

(١) هما لعلى بن موسى المعروف بالشريف الرضى ، وقوله « أرسى » بمعنى ثبت وهى جملة دعائية ، والمزن : السحاب ذو الماء ، والأجداث : القبور ، والعراضة : السحاب العريض ، والهمع : الماطر ، والشاهد فى قوله « حوامل المزن ، وجنين النبت » فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه على حد : لجين الماء .

(٢) البقرة : آية ١٧ .

(٣) سورة الحديد : آية ٢١ .

(٤) قوله « تعطو » بمعنى تتناول ، والرخص : اللين وصفٌ لإصبعها ، والشثن : الغليظ ، والأساريع : جمع أسْروع وهو دودٌ يكون فى البقل والأماكن النّديّة تُشبَّه به أنامل النساء فى عهدهم ، وظبى : اسم موضع ، والإسحل : شجر له غصون يُسْتاك بها .

(٥) الضمير فى « خالطتها » يعود إلى الدروع ، وفى « خلتها » للأسنة ، والأسنة : الرماح ، يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروعَ بخيال الكواكب حين يبدو فى الماء ؛ لأن الأسنة تكون لامعةً كالكواكب والدروع تكون صافية كالماء .

(٦) فى أمثلة التشبيه فيما مضى إلى أول الباب ؛ لأن فيها كثيراً من أمثلة التشبيه المرسل .

أقسام التشبيه باعتبار الغرض :

وأما باعتبار الغرض: فإما مقبول أو مردود .

المقبول الوافى بإفادة الغرض ، كأن يكون المشبهُ به أعرفَ شىء بوجه الشبه[1] إذا كان الغرضُ بيانَ حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار . ثم الطرفان فى الثانى[2] إن تساويا فى وجه الشبه: فالتشبيه كامل فى القبول ، وإلا: فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال . أو كأنْ يكون المشبه به أتمَّ شىء[3] فى وجه الشبه إذا قُصدَ إلحاقُ الناقص بالكامل . أو كأن يكون المشبه به مُسَلَّمَ الحكم معروفَه عند المخاطَب فى وجه الشبه إذا كان الغرضُ بيانَ إمكان الوجود .

المردود : والمردود بخلاف ذلك ؛ أى القاصر عن إفادة الغرض[4] .

***

(١) الحق أنه لا يشترط إلا أن يكون المشبه به أعرفَ الطرفين بذلك ، ويكفى أن يكون أعرفهما به عند السامع وإن لم يكن كذلك عند غيره ، ولا يُشْتَرط فى وجه الشبه أن يكون صفةً ظاهرة فى المشبه به كما ذهب إليه بعضهم ؛ لأنه يصح أن يكون صفةً خفية ، ولكن يجب بيانُها فى التشبيه ، كقولك : « رأيتُ رجلاً كالأسد فى البَخْرِ » .

(٢) أى بيان المقدار .

(٣) الحق أنه لا يُشترط أيضاً إلا أن يكون المشبه به أتمَّ الطرفين فقط فى ذلك .

(٤) من التشبيه المردود قول الفرزدق :

يمشون فى حَلَق الحديد عليهمُ جُرْبُ الجمال بها الكحيْلُ المشعلُ

شَبَّه الرجالَ فى دروع الزرد بالجمال الجرب ، وهو مردودٌ ؛ لأنه إنْ أراد السوادَ فلا مقاربة بينهما فى اللون؛ لأن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فهو غير واضح مع ما فيه من السخف .

ومن ذلك قول الآخر فى وصف السهام :

كساها رطيبُ الرِّيش فاعتدلتْ له قداحٌ كأعناقِ الظباء الفَوارِقِ

لأن ما هذا حاله لا ملاءمة بين الطرفين فيه .

وقد قيل : إن جماعةً جعلوا الابتذال مما يُرَدُّ به التشبيه ، فيكون التشبيهُ القريب المبتذلُ من المردود ، والحق أنه تشبيه مقبول وإن لم يبلغ مرتبةَ التشبيه البعيد الغريب .

خاتمـــة

مراتب التشبيه : قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيــه ، ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبـيه فى القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلِّها أو بعضها ثمان :

إحداها : ذِكرُ الأربـعـة ، كقولك « زيد كالأسد فى الشجاعة » ولا قوة لهذه المرتبة [1] .

وثانيتها : ترك المشبه؛ كقــولك « كالأسد فى الشجاعة » أى زيد ، وهى كالأولى فى عدم القوة[2] .

وثالثتها : ترك كلمة التشبيه ، كـقولك « زيد أسد فى الشجاعة » وفيهـا نوع قوة[3] .

ورابعتها : تركُ المشبَّه وكلمة التشبيه ، كقولك « أسد فى الشجاعة » أى زيد ، وهى كالثالثة فى القوة .

وخامستها : ترك وجــه الشبه ، كـقولك « زيد كالأسد » وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر .

وسادستهـا : ترك المشبه ووجه التشبيه ، كـقولك « كالأسد » أى زيد ، وهــى كالخامسة .

وسابعتُها : ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك « زيد أسد » وهى أقوى الجميع .

---

(١) لعدم المبالغة فيها بذكر الأداة وتخصيص وجه الشبه .

(٢) لأن حذف المشبه لا تأثير له فى إفادة المبالغة التى تعلو بها مرتبة التشبيه .

(٣) لأن حذف الأداة يفيد أن المشبهَ عينُ المشبــه به ادّعاءً ؛ لأن الخبر عين المبتدأ فى المعنى .

وثامنتها : إفراد المشبه به بالذكر ، كقولك « أسد » أى زيد ، وهى كالسابعة[1] .

واعلم أن الشبه [2] قد يُنتزعُ من نفس التضاد لاشتراك الضدَّين فيه ، ثم ينزَّل منزلة التناسب [3] بواسطة تمليح؛ أو تهكم [3] ؛ فيقال للجبان: « ما أشبهه بالأسد » ، وللبخيل : « هو حاتم » .

* * *

(١) هذا وللتشبيه مراتب أيضا باعتبار أدواته ، فنحو « كأن زيداً أسد » أبلغ من نحو « زيد كالأسد » لأن (كأن) تفيد الظن مع التشبيه ، والظن قريب من العلم فيفيد شدة المشابهه .

وكذلك له مراتب باعتبار أقسامه السابقة من كون وجه الشبه فيه مفرداً ، أو مركباً حسياً أو عقلياً إلى غير ذلك من أقسامه ، ولو أنه رتب الكلامَ فى التشبيه على بيان تلك المراتب وجعل تلك الأقسامِ تابعةً لها لكانت الفائدة أتم ؛ لأن عنايته بالتقسيم لذاته جعلته يستقصى فيه إلى ذلك الحدِّ المملِّ ، ويهمل بيانَ تلك المراتب مع أنه هو الأهم .

(٢) يعنى به وجه التشبيه .

(٣) كان الأحسن تقديم هذا على ما قبله ؛ لأن الذى يحصل أولاً تنزيل التضاد منزلة التناسب ، ثم ينتزع الشبه منه بعد هذا التنزيل ، والمراد بالتضاد مطلق التقابل .

(٤) التمليح : هو الإتيان بما فيه ملاحة وظرافة ، والتهكم : الاستهزاء ، والنسبة بينهما العموم والخصوص الوجهى ، وقيل : إن التمليح إيراد القبيح فى صورة شىء مليح للاستظراف . ومما جاء من ذلك قول أبى نواس :

أصبح الحُسْنُ منك يا أحسن الأمـ ـة يَحكِى سماجةَ ابن حبيش

وقول عمرو بن معديكرب :

أتُوعِدُنى كأنك ذو رُعَين بأنقمَ عيشَة أوْ ذو نواس

فلا تَفخرْ بملكِكَ كلُّ مُلْكٍ يَصيرُ لِذلَّةٍ بَعْدَ الشّماس

تمرينات على التشبيه

تمرين ـ ١

(١) من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار الطرفين قول الشاعر :

تحطَّمنا الأيامُ حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يُعاد لنا سَبْكُ

(٢) بيِّن التشبيه الضمنى فى قول الشاعر :

إنَّ السلاح جميعُ الناس تحمله وليس كلُّ ذوات المخلب السبُع

تمرين ـ ٢

(١) من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه قول الشاعر :

أيهجرنى قومى عفا اللهُ عنهم إلى لغةٍ لم تتصل بلغات

سَرَتْ لوثةُ الإفرِنج فيها كما سرَى لعابُ الأفاعى فى مسيل فرات

(٢) ما الفرق بين التشبيه المؤكد والتشبيه البليغ عند الخطيب وعند غيره ؟

تمرين ـ ٣

(١) مِن أى أقسام التشبيه باعتبار الأداة قول الشاعر :

وتراكضوا خيلَ الشباب وبادِروا أن تستردَّ فإنهن عوارى

(٢) ما هو الغرض من التشبيه فى قول الشاعر :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيتُ بك الشبابا

تمرين ـ ٤

(١) لماذا فضل عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرُّقيات فى مصعب بن الزبير :

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ ـهِ تجلتْ عن وجهه الظّلماء

على قوله فيه :

يأتلق التّاج فوق مفْرِقه   على جبينٍ كأنّه الذهب

(٢) لماذا قبح التشبيه فى قول أبى نواس فى وصف الخمر :

وإذا ما الماء واقَعها   أظهرتْ شكْلاً من الغزل

لؤْلؤاتٍ يتحدَّرْن بها   كانحدار الذَّرِّ من جبل

تمرين ـ ٥

أىُّ التشبيهين أبلغ فى هذين البيتين :

(١) يا شبيه البدر حُسْناً   وضياءً ومنالا

(٢) فى طلعة البدر شىءٌ من محاسنْها   وللقضيب نصيبٌ من تثنّيها

(٢) ما الفرق بين التشبيه والتمثيل ؟ وأيهما أعلى منزلةً فى التشبيه ؟

تمرين ـ ٦

بَيِّنْ أركانَ التشبيه وأقسامَه باعتبارها فيما يأتى :

(١) والنّفس كالطّفل إنْ تهملْه شبَّ على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

(٢) الأمُّ مدرسةٌ إذا أعْددْتَها   أعددتَ شعْباً طَيِّبَ الأعراق

(٣) والبدْر فى أفْق السّماء كغادةٍ   بيضاء لاحتْ فى ثياب حداد

(٤) أبابلُ مَرْأى العين أم هذه مصْر   فإنى أرى فيها عيوناً هى السِّحْرُ

(٥) ومكلّف الأيام ضِدَّ طِباعها   متطلّبٌ فى الماء جذْوةَ نار

تمرين ـ ٧

وازن بين التشبيه فى هذين البيتين :

(١) ألا إنما ليْلى عَصا خيزرانة   متى غَمزوها بالأكفّ تلين

(٢) إذا قامتْ لحاجتها تثنّتْ   كأنّ عظامَها من خيزران

الباب الثانى: القول فى الحقيقة والمجاز

وقد يُقيدان باللّغويّيْن [1]

تعريف الحقيقة : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وُضعتْ له فى اصطلاحٍ به التخاطب[2] . فقولنا « المستعملة » احتراز عمّا لم يُستَعْمَل ؛ فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمَّى حقيقة، وقولنا « فيما وُضِعَتْ له » احتراز عن شيئين : أحدهما ما استعمل فى غير ما وُضعت له غلطاً ؛ كما إذا أردتَ أن تقول لصاحبك « خذ هذا الكتاب » مشيراً إلى كتاب بين يديك ، فغلطت فقلت « خذ هذا الفرس » والثانى أحد قسمَيِ المجاز - وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا فى اصطلاحٍ به التخاطب ولا فى غيره ؛ كلفظة الأسد فى الرجل الشجاع ، وقولنا « فى اصطلاحٍ به التخاطب » احترازٌ عن القسم الآخر من المجاز ؛ وهو ما استعمل فيما وُضع له لا فى اصطلاحٍ به التخاطب ؛ كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعُرْفِ الشرع فى الدعاء مجازاً [3] .

تعريف الوضع : والوضْعُ تعيينُ اللفظ للدلالة على معنى بنفسه[4].

---

(١) إنما يقيدان بذلك ليخرج عنهما الحقيقة والمجاز العقليان ، وقد سبقا فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى ، وبهذا يكون المراد باللغوى منهما ما قابل العقلى فيدخل فيه الشرعى والعرفى الآتيان .

(٢) الأحسن أن يذكر فى التعريف اللفظ بدل الكلمة ليشمل الحقيقة المركبة أيضاً ، كقولك: « الصدق حسن »؛ باعتبار الهيئة التركيبية لا باعتبار الإسناد ، وقيل : إن المركب لا يُطلق عليه حقيقة لغوية .

(٣) لأنها فى عُرف الشرع حقيقة فى الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم ، أما فى عُرف اللغة فهى حقيقة فى الدعاء لا مجاز ، وقد سكت عن خروج الكناية من تعريف الحقيقة للخلاف فى خروجها منه ، فقد قيل : إنها مستعملة فى غير ما وُضعت له فتكون مجازاً . وقيل : إنها مستعملة فيما وُضعت له فتكون حقيقة . وقيل : إنها ليست بحقيقة ولا مجاز .

(٤) أى بغير وساطة قرينة ، وبهذا يدخل فيه وضْعُ الحروف لأن معانيها تُفْهَمُ منها بغير قرينة وإن كانت غير مستقلة بنفسها .

فقولنا « بنفسه » احترازٌ من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة - أعنى المجاز - فإن ذلك التعيين لا يسمى وضعاً ، ودخل المشترك فى الحد لأن عدم دلالته على أحد معنييه بلا قرينة لعارض - أعنى الاشتراك - لا ينافى تعيينه للدلالة عليه بنفسه [1] . وذهب السكاكى إلى أن المشترك (كالقُرْء) معناه الحقيقى هو ما لا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض غيرَ مجموعٍ بينهما [2] قال :

{ فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسباً إلى الوضعين ، أما إذا خصصته بواحد إما صريحاً مثل أن تقول « القرء بمعنى الطهر » وإما استلزامًا مثل أن تقول « القرء لا بمعنى الحيض » فإنه حينئذ ينتصب دليلاً دالاً بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الوضع عيْنه بإزائه بنفسه } ، ثم قال فى موضع آخر[3] : { وأما ما يُظنّ بالمشترك من الاحتياج إلى القرينة فى دلالته على ما هو معناه فقد عرفتَ أن منشأ هذا الظن عدمُ تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين } وفيما ذكره نَظَرٌ ؛ لأنّا لا نُسَلِّم أن معناه الحقيقى ذلك ، وما الدليل على أنه عند الإطلاق يدل عليه ؟ ثم قوله « إذا قيل القرء بمعنى الطهر أو : لا بمعنى الحيض فهو دالٌّ بنفسه على الطهر بالتعيين » سهو ظاهر ؛ فإن القرينة كما تكون معنوية تكون لفظية ، وكلٌّ مِن قوله « بمعنى الطهر » وقوله « لا بمعنى الحيض » قرينة[4] .

---

(١) فقرينة المشترك إنما هى لتعيين المراد منه ، ولا يحتاج فهمُ أحد المعنيين منه على الإطلاق إلى قرينة ، أما قرينة المجاز فيحتاج إليها فى نفس الدلالة على المعنى المجازى .

(٢) ١٩١ - المفتاح ، ويريد بذلك أن المشترك عند الإطلاق صالح لكل من المعنيين ؛ فهو عند الإطلاق يدل بنفسه على معناه الذى هو أحدهما لا بعينه ، وحينئذ لا يكون هناك خلاف بينه وبين الخطيب فى معنى المشترك ، ولا يكون هناك وجه لاعتراض الخطيب عليه بما يأتى .

(٣) ١٩٢ - المفتاح .

(٤) هذا الاعتراض ساقط ؛ لأن السكاكى لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى ، بل لتعيين دلالته على أحد معنييه كما سبق ، وما كان أغنى الخطيب عن الاشتغال بهذه المماحكات اللفظية .

إنكار الوضع : وقيل : دلالة اللفظ على معناه لذاته [1] ، وهو ظاهر الفساد لاقتضائه أن يمْنعَ نقلَه إلى المجاز وجعلَه علماً ووضعه للمضادين كالجوْن للأسود والأبيض ، فإن ما بالذَات لا يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم . وتأوَّله السكاكيُّ رحمه الله [2] على أنه تنبيه على ما عليه أئمة علمَيْ الاشتقاق والتصريف ؛ من أن للحروف فى أنفسها خَواصّ بها تختلف؛ كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينها وغيرِ ذلك مستدْعيةً أن العالِمَ بها إذا أخذ فى تعيين شىء منها لِمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاءً لحق الحكمة [3] كالفصم (بالفاء) الذى هو حرف رخْوٌ لكسر الشيء من غير أن يَبين [4] . والقصم (بالقاف) الذى هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يَبين ، وأنَّ للتركيبات [5] كالفعلان والفعلى بالتحريك كالنزوان والحيدى وفَعُلَ مثل شَرُفَ وغير ذلك خواصّ أيضاً [6] فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف ، وفى ذلك نوع تأثير لأنفسِ الكلم فى اختصاصها بالمعانى .

تعريفُ المجاز وأقسامُه : والمجاز مفرد ومركب .

أما **المفرد** فهو الكلمة المستعمَلة فى غير ما وُضعتْ له فى اصطلاحٍ به التخاطب على وجهٍ يصح مع قرينة عدم إرادته . فقولنا « المستعملة » احتراز عمّا لم يُسْتَعمَل ؛ لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازاً كما لا تسمى

(١) أى لا بالوضع ، وهو قول عباد الصَّيْمرىّ من المعتزلة .

(٢) ١٩٠ - المفتاح .

(٣) لأن الواضع حكيم ، وحينئذ لا يكون فى هذا القول إنكار للوضع ، ولكن هذا إنما يظهر فى بعض الألفاظ دون جميعها لتعذُّره ، والحق أن هذا التأويل خلاف ما صحّ نقله عن عبَّاد من أنه يقصد ظاهر ما رُوى عنه ، وكان بعض أتباعه يَدَّعى أنه يعرف جميع المسميات من أسمائها ، فقيل له : ما مسمى « آدغاغ » وهو من لغة البربر ؟ فقال: أجد فيها يبساً شديداً وأراه اسم الحجر . فظهر أنه اسمه فى تلك اللغة .

(٤) ينفصل .

(٥) معطوف على قوله « من أن للحروف » .

(٦) فالفعلان والفعلى يدلان على ما فيه حركة ، وفَعُلَ تدل على أفعال الطبائع والسجايا .

حقيقة ، وقولنا « فى اصطلاحٍ به التخاطب »؛ ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازاً ؛ فإنه وإن كان مستعملاً فيما وُضِعَ له فى الجملة [1] ؛ فليس بمستعمل فيما وُضِعَ له فى الاصطلاح الذى به وقع التخاطب . وقولنا « على وجه يصح » احترازٌ عن الغلط كما سبق[2] . وقولنا « مع قرينة عدم إرادته » احتراز عن الكناية؛ كما تقدم [3] .

والحقيقة لُغويّةٌ وشرعية وعرفية خاصّة أو عامة ؛ لأن واضعها إن كان واضعَ اللغة فلغوية ، وإن كان الشارع فشرعية ، وإلا فعُرفية والعرفية إن تعين صاحبها نسبتْ إليه؛ كقولنا كلامية ونحوية ، وإلا بقيت مطلقة؛ مثال اللغوية لفظ (أسد) إذا استعمله المخاطِبُ بعرف اللغة فى السبع المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ (صلاة) إذا استعمله المخاطِبُ بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة ، ومثال العرفية الخاصة لفظ (فعلٍ) إذا استعمله المُخاطِبُ بعرف النحو فى الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ (دابّة) إذا استعمله المخاطِبُ بالعرف العام فى ذى الأربع[4] .

---

(١) لأنها موضوعة فى اللغة للدعاء ، فاستعمالها فيه استعمالٌ فيما وُضِعَ له فى الجملة .

(٢) أى فى تعريف الحقيقة؛ فهو خارج عن التعريفين ولا يقال له حقيقة ولا مجاز؛ وإنما خرج بذلك عن تعريف المجاز لأن الوجه الذى يصح به استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له؛ هو وجود العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى مع ملاحظتها ، والغلط لا يكون عن ملاحظة علاقة .

(٣) أى فى حصر أبواب علم البيان ؛ لأن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، وأما نحو قولهم « القلم أحد اللسانين » مما قيل إنه من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز؛ فمذهب علماء البيان فيه أنه من باب عموم المجاز ، والمعنى عليه : القلم أحد المبيّنين ، ولا شك فى أن هذا إطلاق مجازى .

(٤) هى فى اللغة اسم لكل ما يدب على الأرض من ذى الأربع وغيره ، والمراد ذو الأربع المعهود وهو الحمار والبغل والفرس ، فلا يدخل فى استعماله العرفى الشاة ونحوها من ذى الأربع .

وكذلك المجاز المفرد لغوى وشرعى وعُرْفى ؛ مثال اللغوى لفظ (أسد)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى الرجل الشجاع ، ومثال الشرعى لفظ (صلاة)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء ، ومثال العرف الخاص لفظ (فعل)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الحدث ، ومثال العرفى العامّ لفظ (دابة) إذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى الشاة [١] .

اشتقاق الحقيقة والمجاز: والحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك «حققتُ الشىء أحقُّه » إذا أثبتّه ، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك « حقّ الشىء يحقُّ إذا ثبت » أى المُثْبَتَةُ أو الثابتة فى موضعها الأصلى؛ فأما التاء فقال صاحب المفتاح [٢] : هى عندى للتأنيث فى الوجهين ، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على الموصوف وهو الكلمة [٣] ، وفيه نظر [٤]، وقيل : هى لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية الصّرْفة؛ كما قيل فى أكيلة ونطيحة: إن التاء فيهما لنقلهما من الوصفية إلى الاسمية [٥] ؛ فلذلك لا يوصف بهما؛ فلا يقال: شاة أكيلة أو نطيحة .

والمجاز: قيل «مَفْعلٌ » من « جاز المكان يجوزه » إذا تعداه ، أى تعدت موضعها الأصلى» [٦] وفيه نظر [٧] . والظاهر أنه من قولهم « جعلت كذا

---

(١) لأنه فى العرف العام موضوع للحمار والبغل والفرس فقط كما سبق .

(٢) ١٩٢ - المفتاح .

(٣) إنما قيدها بهذا لئلا يمتنع إلحاق التاء بها إذا كانت من فعيل بمعنى مفعول؛ كما قال ابن مالك :

ومنْ فعيل كقتيل إن تبعْ   موصوفه غالباً التّا تمتنع

(٤) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ، ولو كانت التاء للتأنيث لم يجز .

(٥) لأنهما قبل التاء وصفٌ لكل مأكول ومنطوح من الإبِل والبقرِ والغنم ، ثم كثر استعمالها فى الغنم ، فجعلت التاء فيهما للنقل من الوصفية للاسمية .

(٦) الضمير فى « تعدت » للمجاز باعتبار أنه كلمة. فهى على هذا مجاز بمعنى جائزة من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل ، أو بمعنى مجوزٌ بها من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول .

(٧) لأن استعمال المصدر الميمى بمعنى اسم الفاعل أو المفعول مجاز فلا يصار إليه مع إمكان غيره .

الى حاجتى » أى طريقاً له [١] ، على أن معنى جاز المكان سلكه ، على ما فسره الجوهرى وغيره ؛ فإن المجاز طريق إلى تصوُّر معناه ، واعتبار التناسب فى التسمية يغاير اعتبار المعنى فى الوصف [٢] كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ، ووصفه بأحمر ؛ فإن الأول لترجيح الاسم على غيره حالَ وضعه له ، والثانى لصحة إطلاقه ؛ فلا يصح نقض الأول بوجود المعنى فى غير المسمَّى كما يلهج به بعض الضعفاء .

تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل واستعارة : والمجاز ضربان: مُرْسلٌ، واستعارة؛ لأن العلاقة المصحِّحة إن كان تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة، وإلا فهو مرسل ، وكثيراً ما تُطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به فى المشبه[٣]، فيسمَّى المشبه به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً[٤]، وعلى الأول لا يُشتق منه لكونه اسماً لِلَّفظ لا لِلْحَدَث [٥] .

المجاز المرسل وعلاقاته ـ علاقة السببية والمجاورة :

الضرب الأول: المرسل ، وهو ما كانت العَلاَقَة بين ما استُعْمِل فيه وما وُضع له مُلابسةُ غير التشبيه [٦] كاليد إذا استُعْمِلتْ فى النعمة ؛ لأن من شأنها

---

(١) على هذا يكون فى الأصل اسم مكان لا مصدراً ميميًا ، ولا يحتاج فى إطلاقه على الكلمة إلى تأويل كالسابق .

(٢) يريد بهذا أن يدفع الاعتراض على ما اختاره فى لفظ المجاز بأنه يؤدى إلى صحة تسمية الحقيقة مجازاً ؛ لأنها طريق إلى تصور معناها أيضا ، وقد دفعه بأن ذلك لبيان علة تسمية المجاز باسمه لا لوصفه به ، وعلة التسمية لا توجِبُ التسميةَ بخلاف علة الوصف .

(٣) هذا يقابل إطلاقها على الكلمة بحكم أنها قسم من المجاز ، والحق أن هذا الإطلاق غير خاص بها ؛ لأن المجاز كما يطلق على الكلمة يطلق على استعمالها .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، أما المستعار منه فهو معناه لا لفظه .

(٥) فلا يشتق منه مستعار منه ولا مستعار له ولا مستعار ، وبهذا يكون المعنى الثانى هو الأنسب ؛ لأنه يؤدى إلى معرفة هذه المشتقات التى تدور كثيراً فى الكلام على الاستعارة .

(٦) الذى يُعتبر من العلاقة فى المجاز مطلقاً نوعُها لا شخصُها كما ذهب إليه =

أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها (١) . ويشترط أن يكون فى الكلام إشارة إلى المُولِى لها (٢) فلا يقال « اتسعت اليد فى البلد ، أو اقتنيت يداً » كما يقال « اتسعت النعمة فى البلد ، أو اقتنيت نعمة » وإنما يقال: «جلّتَ يدُهُ عندى ، وكثرت أياديه لدىّ » ونحو ذلك .

ونظير هذا قولهم فى صفة راعى الإبل : « إنَّ له عليها إصبعاً (١) »

= بعض المشددين فى استعمال المجاز ، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً فى سبب معناه أو مشابهه جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر غير الذى استعملوه لمثل هذه العلاقة ، ولا يجب أن نقتصر على اللفظ الذى استعملوه خاصةً ، وقيل : إن المجازات اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ، ولا يجوز التصرف فيها إلا بتوقيف وإذن من جهة اللغة ، فلا يقال فى مجاز الحذف مثلاً « سَلِ الدار » كما قيل ﴿ واسأل القرية ﴾ يوسف : ٨٢ ، ولا يستعار لفظ الأسد للرجل الأبْخَر ، كما استعير للرجل الشجاع ، وهكذا . أما غير المجازات المفردة فيجوز فيها ذلك ، فيصح أن تقول « تكاثرت أشواقى ، وأسقمنى فقدك » كما ورد من قولهم: « أخذتِ الأرض وأنبتت الأرض » . والحق أنه لا فرق فى ذلك بين المجازات المفردة وغيرها ، وأنه يجوز القياس فى المجاز مطلقاً ، وأن ما يُقبلُ من المجاز يُقبلُ من العرب وغيرهم ، وأن ما لا يقبلُ منه لا يقبل من الفريقين أيضاً ؛ لأن العرب تصيب فى ذلك وتخطىء كالمحْدثين ، وقد أُخذ على امرىء القيس قوله :

وهرٌّ تَصيدُ قلوبَ الرّجال وأفلت منها ابْن عَمْرٍ وحُجْرْ

لأن لفظة « هرّ » واستعارة الصيدَ منها مضحكة هجينة ، ولو أن أباه حجراً من فارات بيته ما أسفَ على إفلاته منها هذا الأسف ، وأين قوله منْ قول زهير:

ليْثٌ بعَثّرَ يصطادُ الرجال إذا ما كذّبَ اللّيْثُ عن أقْرَانه صَدَقا

لا على أن أمرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلامَ قرائن تُحسِّنه وقرائن تُقبحه كذكر الصيد فى البيتين .

(١) هذا مثال لعَلاقَة السببية ، وتكون بإطلاق اسم السبب على المُسبَّبّ ، وكذلك ما يأتى من استعمال اليد فى القدرة والإصبع والسوط فى أثرهما .

(٢) ليكون قرينةً على إرادتها من اليد ، وقد اعترض على هذا بأن القرينة شرط فى كل مجاز ، فلا حاجة إلى تقييد هذا النوع بها ، وبأن القرينة قد توجد فى ذلك من غير إشارة إلى المُولى للنعمة ، كقولك « رأيت يداً عمت الوجود » ونحو ذلك .

(٣) من هذا قول الشاعر :

ضعيفُ العصا بادى العُرُوق ترى له عليها إذا ما أجْدَبَ الناسُ إصْبعا

أرادوا أن يقولوا « له عليهـا أثرُ حذْقٍ » فدلوا عليه بإصـبع ؛ لأنه ما من حذقٍ فى عمل يد إلا وهو مـستفاد من حـسن تصريف الأصابع واللطف فى رفـعها ووضعها كما فى الخط والنقش. وعلى ذلك قيل فى تفسير قوله تعالى : ﴿ بلَى قـادرين علـى أن نُسَوِّىَ بنانهُ ﴾(١) أى نجعلهـا كخف البعـير فـلا يتمكن من الأعمال اللطيفة ، فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق فى الصنعة لا مطلقاً ، حتى يقال (٢) « رأيت أصابع الدار ، وله إصـبع حسنة وإصبع قبيحة » على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك .

ويَنْظرُ إلى هذا قولُهم « ضربته سوطـاً » لأنهم عبّروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطاً . وتفسيرهم له بقولهم « المعنى ضربته ضربة بالسوط » بيان لما كان الكلام عليه فى أصله .

ونظيـر قـولنا « له علـىّ يد » قـول النبى ﷺ لأزواجـه: « أسْرعكنّ لحـوقـاً ـ ويُرْوَى لحاقـاً ـ بى أطولُكُنّ يداً » وقولـه « أطولكن » نظير ترشـيح الاستعارة ولا بأس أن يسـمى ترشيح المجاز ، والمعنى (٣) بسط اليد بالعطاء ، وقيل قـولـه « أطولكن » من الطَّوْل بمعنى الفـضل ، يقال « لفـلان على فلان طوْلٌ » أى فضل؛ فـاليد على هذيـن الوجهين (٤) بمعنى النعمـة ، ويحتمل أن يريد أطولكن يداً بالعطاء أى أمدُكنّ ، فخذف قوله بالعطاء للعلم به (٥) .

وكاليد أيضاً إذا اسـتعملت فى القدرة ؛ لأن أكثر مـا يظهر سلطانها فى اليـد ، وبهـا يكون البطش والضـرب والقطع والأخـذ والدفع والوضع والرفع وغير ذلك من الأفعال التى تنبىء عن وجود القدرة ومكانها، وأما اليد فى قول النبى ﷺ : « المؤمنون تتكافـأ دماؤهم ، ويسعى بذمـتهم أدناهم ، وهم يد

---

(١) القيامة : ٤ .

(٢) هذا تفريع على المنفى فهو مما لا يصح أن يقال فى ذلك .

(٣) يعنى المعنى المجازى .

(٤) أى على أن يكون « أطولكن » بمعـنى بسط اليد بالـعطاء، أو من الطول بمعنى الفضل .

(٥) على هذا الوجه تكون اليدُ فى الحديث حقيقةً لا مجازاً .

على من سواهم » فهو استعارة [١]، والمعنى أن مَثلهمْ مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مَثَلُ اليد الواحدة ، فكما لا يتصوَّر أن يخذل بعضُ أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة فى التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين؛ لأن كلمة التوحيد جامعة لهم ·

وكالرِّواية للْمَزادة مع كونها للبعير الحامل لها؛ لحمله إياها[٢]، وكالْحَفَضِ فى البعير مع كونه لمتاع البيت لحمله إياه، وكالسماء فى الغيث، كقوله: « أصابتنا السماء » لكونه من جهة المظلة، وكالإكاف فى قول الشاعر :

* يأكُلْنَ كلَّ ليلةٍ إكَافا [٣] *

أى علفاً بثمن الإكاف [٤] .

علاقة الجزئية : وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا [٥] : منها تسمية الشئ باسم جزئه[٦] كالعين فى الرَّبيئة[٧] لكون الجارحة

---

(١) يريد بها التشبيه توسعاً لذكر الطرفين فى قوله « وهم يد » وقيل : إن المعنى (وهم عون على من سواهم) فيكون مجازاً ·

(٢) مأخوذة من روى الماء حمله ، وتاؤها للمبالغة ، وهذا مثال لعلاقة المجاورة · والمزادة : سقاء من ثلاثة جلود تجمع أطرافها ليكثر ما تحمله من الماء · وكذلك العلاقة فى إطلاق الحفض على البعير ، وفى إطلاق السماء على الغيث ، وقد يجعل هذا من علاقة السببية ، والحفض: اسم لمتاع البيت الحقير ، ولا يكاد يطلق إلا على البعير المهزول ·

(٣) هو من قول أبى حُزابة الوليد بن حنيفة يمدح طلحة الطلحات :

يا طلحُ يأبَى مجدُكَ الإخلاَقَا ... والبخلُ لا يعتَرِفُ اعتْرَافا
إنّ لنَا أحمرةً عجَافا ... يأكلْنَ كلّ لَيلة إكَافا

والأحمرة : جمع حمَار ، والعجاف : الهزيلة جمع عجْفاء على غير قياس ، والإكاف : البرذعة أطلق على العلف للمجاورة لأنه يُحمل عليه ، أو للسببية لأن ثمنه سبب فى الحصول عليه ·

(٤) فهو على حذف مضاف ، ويجوز أن يكون مجازاً عن ثمنه ، ثم صار مجازاً عن العلف ، فيكون مجازاً على مجاز ·

(٥) أى من علاقة السببية والمجاورة ، وظاهر هذا أنه لا يذكر فيما يأتى علاقة منهما مع أنه سيذكر فيه علاقة السببية ·

(٦) هذه تسمى علاقة الجزئية ·

(٧) تطلق الربيئة على الرقيب والجاسوس ، من ربأ القومَ : استطلع حركاتهم ، وتاؤها للمبالغة ·

المخصوصة هى المقصود فى كون الرجل ربيئة ؛ إذْ ما عداها لا يغنى شيئاً مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله[1]. وعليه قوله تعالى : ﴿ قم اللّيلَ إلاّ قليلاً ﴾[2] أى صلّ ، ونحوه ﴿ لا تقمْ فيه أبداً ﴾[3] أى لا تُصَلِّ ، وقول النبى عليه السلام: « من قام رمضان إيماناً واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه » أى مَن صلّى[4] .

علاقة الكلية : ومنها عكس ذلك [5] نحو ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهمْ ﴾[6] أى أناملهم ، وعليه قولهم « قطعتُ السارق » وإنما قطعتْ يده[7] .

علاقة السببية أيضاً : ومنها تسمية المسبَّب باسم السبب ، كقولهم : « رَعَيْنا الغيث » أى النبات الذى سببه الغيث ، وعليه قوله عز وجل : ﴿ فمن اعتدى عليكمْ فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكْم ﴾[8] سمى جزاءَ الاعتداء اعتداءً لأنه مسبب عن الاعتداء ، وقوله تعالى: ﴿ ونبلوَ أخباركمْ ﴾[9] تُجُوِّز

---

(١) لأنه يجب فى كل جزء يطلق على كله أن يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذى يُقْصد بكله ، فلا يجوز إطلاق اليد ونحوِها على الربيئة .

(٢) المزمل : ٢ .

(٣) التوبة : ١٠٨ .

(٤) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

وكنتَ إذا كفٌّ أتتْك عديمةً تُرَجِّى نوالاً من سحابك بُلَّت

وقول الآخر :

وإن حلفَتْ لا ينقضُ النأىُ عهدَها فليس لمخضوب البنان يمينْ

(٥) هو تسمية الجزء باسم كله؛ وهذه تسمى علاقة الكلية ، أما استعمال الكلى فى جزئية فهو حقيقة ، كقولك « جاءنى إنسان » تريد زيداً .

(٦) البقرة : ١٩ .

(٧) من هذا أيضاً قول الشاعر :

تسيل على حَدِّ الظباة نفوسُنا وليستْ على غير الظباة تَسيلُ

(٨) البقرة : ١٩٤ .

(٩) سورة محمد ﷺ : ٣١ .

بالبلاء عن العـرفان لأنه مسبب عنه ، كـأنه قيل « ونعرف أخبـاركم »، وعليه قول عمرو بن كلثومٍ :

ألاَ لاَ يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا [١]

الجهل الأول حـقيقةٌ ، والثـانى مجاز ، عبَّر به عن مكافـأة الجهل[٢] . وكذا قوله تعـالى : ﴿ وجزاءُ سيِّئة سـيئُة مثْلُها ﴾[٣] تجوّز بلفظ السيئة[٤] عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها ، وقـيل : إنْ عُبر بها عما ساء أى أحزن لم يكن مجازاً ؛ لأن الاقتصاص محزن فى الحـقيقـة كالجناية ، وكذا قولـه تعـالى : ﴿ ومكرُوا ومكرَ الله ﴾[٥] تُجوز بلفظ المكر عن عـقوبته لأنه سببـها ، قيل : ويحتمل أن يكون مكر الله حـقيقة ؛ لأن المكرَ هو التدبيرُ فيـما يضر الخصم ، وهذا محقَّق من الله تعالى باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه .

علاقة المسببية : ومنها تسـمية السـبب باسم المسببِ كـقولهم « أمطرت السماء نباتاً » وعليه قولهم « كما تَدينُ تُدانُ » أى كما تفعلَ تُجازَى [٦] ، وكذا لفظ « الأسنمة » فى قوله يصف غيثاً :

أقبل فى الـمُسْتَنِّ من ربابِهِ أسْنِمَةُ الآبال فى سحابه [٧]

وكـذا تفسـير إنزال أزواج الأنعـام فى قوله تعـالى : ﴿ وأَنْزَلَ لكُمْ مِنَ

(١) قـال الزوزنى فى شرحـه : أى لا يسـفهنْ أحـدٌ علينا فنسـفـه عليـهم فـوق سفههم ، أى نجازيهم بسفههم جزاءً يربو عليه .

(٢) ومكافأة الجهل ليست جهلاً وإن كانت فوقه .

(٣) الشورى : ٤٠ .

(٤) يعنى لفظها الثانى لا الأول .

(٥) آل عمران : ٥٤ .

(٦) فالمجاز فى قولهم « تدين » .

(٧) المستن : موضع جريان الغيث من قولهم « استَنّ الفرسُ » إذا جرى على سننه فى جـهة واحدة ، وقـوله « من ربابه » مـتعلق بأقـبل ، والرباب : السحـاب الأبيض ، والآبال : الجمال جمع إبل ، وأسنمتها : جمع سنامٍ وهو الحدبة المعروفة فى ظهـرها ، =

الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أزْواجٍ ﴾[1] بإنزال الماء على وجهٍ[2] لأنها لا تعيش إلا بالنبات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ؛ وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ، ويؤيده ما ورد أن كل ما فى الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسمه ، قيل : وهذا[3]معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فى الأرضِ ﴾[4] وقيل : معناه وقضى لكم ؛ لأن قضاياه وقِسَمَه موصوفة بالنزول من السماء حيث كُتب فى اللوح كل كائن يكون ، وقيل : خلقها فى الجنة ثم أنزلها ، وكذا قوله تعالى : ﴿وينزّلُ مِنَ السماءِ رِزْقاً ﴾[5] أى مطراً هو سبب الرزق ، وقوله تعالى : ﴿ إِنّمـاَ يأْكُلُونَ فِى بُطُونهم نَاراً ﴾[6] وقولهم «فلان أكل الدم » أى الدية التى هى مسببة عن الدم[7] ، قال :

أكلتُ دماً إنْ لم أَرُعْك بِضُرَّةٍ بعيدةِ مَهْوَى القرط طيِّبةِ النَّشر[8]

= والشاهد فى إطلاقها على المطر لأنه سبب فى نموها ، ويجوز حمل ذلك على المجاز العقلى ، فيكون المراد من الأسنمة حقيقتها .

(١) الزمر : ٦ .

(٢) هو أن المراد بالإنزال الحركة من أعلى إلى أسفل ، وسيذكر مقابل هذا الوجه فى قوله : « وقيل : معناه وقضى لكم إلخ » .

(٣) أى التفسير بما سبق .

(٤) الزمر : ٢١ .

(٥) غافر : ١٣ .

(٦) النساء : ١٠ .

(٧) لا يخفى أنه حينئذ يكون مِن تسمية المسبَّب باسم السبب ، فيكون ذكره هنا فى غيره محله .

(٨) هو لأعرابى تزوج امرأة فلم توافقه ، فقيل له : إنّ حُمَّى دمشق سريعة فى موت النساء ، فحملها إليها وقال قبل هذا البيت :

دمشق خذيها واعلمى أنّ ليلةً تمرُّ بعودَىْ نعشها ليلةُ القدْر

وقوله « أكلت دمًا » أجراه مجرى اليمين ، فكأنه يريد أن يقتل له قتيل ويعجز عن ثأره فيرضى بديته ، وقيل: إنهم كانوا فى سِنىْ الجدب يفصدون نوقهم ويشربون دمها . =

وقوله تعالى : ﴿ فـإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ فاستَعِذْ بالله ﴾[1] أى أردتَ القراءة بقرينة الفاء[2]مع استفاضة السُّنة بتقديم الاستعاذة ، وقوله تعالى : ﴿ونَادَى نوحٌ ربّه ﴾[3] أى أراد؛ بقرينة ﴿ فـقال ربِّ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وكم من قريةٍ أهلكناها ﴾[4] أى أردنا إهلاكها؛ بقرينة ﴿ فجاءها بأسُناً ﴾ . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ما آمنتْ قبلهم من قريةٍ أهلكناها ﴾[5] بقرينة ﴿ أفهُم يؤمنون﴾ ، وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالإهلاك ؛ إذ لا يقع الإنكار[6] فى ﴿ أفهم يؤمنون ﴾ فى المَحزِّ إلا بتقدير « ونحن على أنْ نهلكهُم»[7] .

علاقة اعتبار ما كان : ومنها تسمية الشىء باسم ما كان عليه[8] كقوله عز وجل : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهمْ ﴾[9] أى الذين كانوا يتامى ؛ إذ لا يُتم بعد البلوغ ، وقوله ﴿ إنهُ منْ يأت ربّهُ مجْرماً ﴾[10] سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام .

علاقة اعتبار ما يكون : ومنها تسمية الشىء باسم ما يؤول إليه[11] كقوله تعالى : ﴿ إنى أرانى أعْصرُ خمْراً ﴾[12].

= فدعا على نفسه بذلك . وقوله « أرعك » بمعنى أفزعك ، وقوله - بعيدة مهوى القرط- كناية عن طول العنق ، والنشر: الرائحة .

(١) النحل : ٩٨ .

(٢) فى قوله (فاستعذ) لأنها للترتيب . (٣) هود : ٤٥ .

(٤) الأعراف : ٤ . (٥) الأنبياء : ٦ .

(٦) لأن الاستفهام فيه إنكارى .

(٧) أى ونحن على إرادة إهلاكهم . وإنما وجب هذا التقدير على ذلك لأن إنكار إيمانهم لا يكون بعد هلاكهم ، وقيل : إن المعنى أهلكناها بالفعل لعدم إيمانها بما اقترحت من الآيات ؛ فلا نعطى هؤلاء ما اقترحوا لأنهم لا يؤمنون به أيضاً .

(٨) هذه تسمى علاقة اعتبار ما كان .

(٩) النساء : ٢ . (١٠) طه : ٧٤ .

(١١) هذه تسمى علاقة اعتبار ما يكون ؛ فالمراد فى الآية إنى أرانى أعصر عنباً يؤول إلى أن يكون خمراً ، فسماه خمراً باعتبار ما يؤول إليه .

(١٢) حكايةً عن صاحب سيدنا يوسف : ٣٦ .

علاقة المحلية : ومنها تسمية الحالِّ باسم محله [1] كقوله تعالى : ﴿فليدْعُ ناديه﴾[2] أي أهل ناديه .

علاقة الحالِّية : ومنها عكس ذلك[3] نحو ﴿ وأمّا الذين ابْيضتْ وجوههمْ ففى رحْمةِ الله ﴾ [4] أى فى الجنة .

علاقة الآلية : ومنها تسمية الشىء باسم آلته[5] كقوله تعالى : ﴿ وما أرْسلنا منْ رسولٍ إلاّ بلسانِ قوْمه ﴾[6] أى بلغة قومه ، وقوله تعالى : ﴿واجْعلْ لى لسان صدقٍ فى الآخِرين ﴾ [7] أى ذكراً جميلا وثناء حسناً .

وكذا غير ذلك مما بيْن معنى اللفظ وما هو موضوعٌ له تعلقٌ سوى التشبيه[8]. قال صاحب المفتاح [9] : وللتعلق بين الصارف عن فعل الشىء

---

(١) هذه تسمى علاقة المحلية .

(٢) العلق : ١٧ .

(٣) أى تسمية المحل باسم الحالّ ، وهذه تسمى علاقة الحاليّة ، ومن علاقة المحلية قول الشاعر :

إن العدوّ وإن تقادمَ عهدهُ   فالحقدُ باقٍ فى الصدور مغيّبُ

ومن علاقة الحالية قول الآخر :

ألـمّا على مَعْنٍ وقُولا لقبره   سَقتْك الغوادى مَرْبعاً بعد مربع

(٤) آل عمران : ١٠٧ .

(٥) هذه تسمى علاقة الآليّة ؛ والفرق بين الآلة والسبب أن الآلة هى ما به يُفعل الشىء ، أما السبب فما به وجود الشىء ؛ فاللسان فى الآية يقال إنه آلة اللغة ، ولا يقال إنه سببها ، وهكذا .

(٦) إبراهيم : ٤ .

(٧) الشعراء : ٨٤ .

(٨) من ذلك علاقة اللزوم وعلاقة الإطلاق والتقييد وعلاقة العموم والخصوص، وغير ذلك من العلاقات ، وقد تكون العلاقة الضدية ، كما فى تسمية الصحراء المهلكة مفازة ، وتسمية الجريح واللديغ سليما ، ومن ذلك قول الشاعر :

يشكو إذا شدّ له حزامه   شكوى سليمٍ ذربتْ كلامُه

(٩) ١٩٦ - المفتاح .

والداعى إلى تركه [1] يحتمل عندى أن يكون المراد بـ « منعك » فى قوله تعالى : ﴿ ما منعك ألاّ تسْجد إذ أمرْتك ﴾[2] : دعاك ، و « لا » غيرُ صلة قرينة المجاز[3] . وكذا ﴿ما منعك إذْ رأيْتهمْ ضلُّوا ألاّ تتبعن ﴾ [4] ؛ وقال الراغب رحمه الله : «قال بعض المفسرين : إن معنى «ما منعك» ما حماك وجعلك فى منعةٍ منى فى ترك السجود أى فى معاقبة تركه ، وقد استبعد ذلك بعضُهم بأن قال : لو كان كذا لم يكن يجيبُ بأن يقول ﴿ أنا خيرٌ منه ﴾ فإن ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه ، وإنما هو جواب مَن قيل له : ما منعك أن تسجد ؟ ويمكن أن يقال فى جواب ذلك : إن إبليس لما كان ألزم ما لم يجد سبيلاً إلى الجواب عنه - إذْ لم يكن له من كالىءٍ يحرسه ويحميه - عدل عما كان جوابا ، كما يفعل المأخوذ بكظْمه فى المناظرة » انتهى كلامه [5] .

المرسل الخالى عن الفائدة والمفيد : وقسَّم الشيخ صاحب المفتاح [6] المجازَ المرسل إلى خالٍ عن الفائدة ومفيد ، وجعل الخالى عن الفائدة ما استُعمل فى أعمَّ مما هو موضوع له ؛ كالمرسِنْ فى قول العجّاج :

* وفاحماً ومرْسناً مسرّجا [7] *

---

(1) التعلق بينهما هو تعلق الضدّية ؛ لأن الصارف هو المانع ، والداعى هو السبب، وكلٌّ من المانع والسبب يضاد الآخر ، وعلى هذا يكون إطلاق « منعك » على «دعاك » علاقته الضدية .

(2) الأعراف : ١٢ .

(3) يعنى أن « لا » على هذا تكون غير زائدة ، وتكون قرينة على أن المراد : بـ «منعك » دعاك .

(4) طه : ٩٢ ، ٩٣ .

(5) الأظهر عندى أن يكون تقديرُ الآية : ما منعك فى ألاّ تسْجد ، أى فى تركك السجود ؛ فتكون الآية على تقدير (فى) لا على تقدير (من) ، وعلى هذا يبقى منعَك على ظاهره ، وتكون « لا » أصلية لا زائدة ، والمعنى: ما سبب امتناعك فى تركك السجود؟ .

(6) ١٩٤ - المفتاح .

(7) قد سبق هذا البيت فى الكلام على الغرابة فى الكلمة من المقدمة فى الجزء الأول .

فإنه مستعمل فى الأنف لا بقيد كونه المرْسون [١] مع كونه موضوعاً له بهذا القيد لا مطلقاً ، وكالمشْفر [٢] فى نحو قولنا « فلان غليظ المشافر » إذا قامت قرينةٌ على أن المراد هو الشّفّةُ لا غير ، وقال : سمّىَ هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو « ليْثٍ وأسد وحبسَ ومنع » عند المصير إلى المراد منه [٣] .

وأراد بالمفيد ما عدا الخالى عن الفائدة والاستعارة كما مر .

والشيخ عبد القاهر رحمه الله [٤] جعل الخالىَ عن الفائدة ما استُعمل فى شىء بِقيدٍ مع كونه موضوعاً لذلك الشىء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ، ومثّله ببعض ما مثّله الشيخُ صاحب المفتاح ونحوه؛ مصرحاً بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الإنسان [٥] فإن قصدَ التشبيه صار اللفظ استعارةً [٦] كقولهم فى مواضع الذم « غليظ المشفر » فإنه بمنزلة أن يقال « كأن شفته فى الغلظ مشفر البعير » . وعليه قول الفرزدق :

فلو كنتَ ضبّياً عرفتَ قرابتى ولكنَّ زنجىٌّ غليظُ المشافر [٧]

---

(١) المرسون : اسم مفعول من « رسن الدابة » بمعنى جعل رأسها فى الرسن وهو الحبل المعروف . (٢) فهو موضوع لشفة البعير لا مطلقاً .

(٣) فيكون استعماله كاستعمال الحقيقة فى خلوها عن مزية البلاغة، وإن كان فيه فائدةُ المترادف من التوسع فى اللغة .

(٤) ٣٦ : أسرار البلاغة .

(٥) أما السكاكى فيجعلهما موضوعين لهذين العضوين من الإنسان وغيره ، وبهذا يكون استعمال المرسن والمشفر فيهما من استعمال المقيد فى المطلق عند السكاكى ، ومن استعمال المقيد فى مقيد آخر من جنسه عند عبد القاهر ، والخطب فى ذلك سهل ، ويمكن جعل الخالى عن الفائدة بحيث يشمل كلاً من الاستعمالين .

(٦) وإذا صار استعارةً كان مقيداً ؛ لأن المجاز غير المقيد خاص بالمرسل .

(٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب أيوب بن عيسى الضبى ، وكان قد حبسه فقال ذلك يهجوه ويطعن فى نسبه من جهة أمه بنت يسار مولى عبد الله بن كريز . وقد روى « ولكن زنجيا » على حذف الخبر أى لا يعرف قرابتى ، أو ولكن بك زنجيا أى يشبهك ، وقد حُذِفَ على الأول اسم (لكن) وهو قليل ، وصواب الرواية «غليظاً مشافرهْ » .

أى ولكنك زنجى كأنه جملٌ لا يهتدى لشرفى .

وكذا قول الحطيئة يخاطب الزّبْرقان :

قرَوْا جارك العيْمانَ لـمّا جفوتَهُ وقلَّص عن برْد الشراب مشافرَهْ (١)

فإنه وإن عنى نفسه بالجار جاز أن يقـصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد فى التهكم بـالزبرقان ، ويؤكدَ ما قصده من رميـه بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وكذا قول الآخر :

سأمْنعُها أو سوف أجعل أمرَها إلى مَلِكٍ أظلافُه لم تَشَقَّق (٢)

الاستعارة التصريحية : الضرب الثـانى من المجاز الاستعـارة ، وهى ما كانت علاقـته تشبيـه معناه بما وُضِعَ له (٣) ؛وقد تُقيَّدُ بالتحـقيقية (٤) لتحقّق معناها(٥) حساً أو عقلا؛ أى التى تتناول أمراً معلوماً يمكن أن يُنَصَّ عليه ويشار

---

(١) هو لجرول بن أوس المعـروف بالحطيئة ، وقوله « قروا » بمـعنى أضافوا ؛ لأن القرى طعـام الضيف ، والعيـمان : العطشان إلى اللبن . وقـوله « قلص » بمعنى انقبض وانكمش من تأثير البرد ، يعنى أنه لم يجد عنده إلا الماء .

(٢) هو لعُقْفـان بن قيس بن عـاصم ، وقيل للأخطل . والأظلاف : جمع ظلف وهو لما اجترَّ من الحيـوان كالظفر للإنسان ، وهذا فى حد التشبيـه والاستعارة أيضاً ؛ لأن المعنى على أن الأظلاف لمن تزيا بالملك عن مشابهةٍ ، كأنه قال : اجعل أمرها إلى ملك لا إلى عبد جاف مشقق الأظلاف .

(٣) المراد بمعناه المعنى المجازى ، وهى مـدلول المشبه . وإنما اكتفـى بهذا القدر فى تعريف الاستعارة التصريحيـة مع أنه يشمـل الاسـتعارة المكْنية والتخييلية عند غيره ؛ لأن « ما » فى التـعريف واقعة عـلى لفظ ، وكل من المكنية والتخـييلية عنده ليس بلفظ كـما سيأتى ، فهـما خارجان عن جنس التعريف عنده ، والتـصريحية يحذف فيـها لفظ المشبه ويستعار له لفظ المشبه به .

(٤) لتتميز بهذا عن المكنية والتخـييلية ؛ لأن كلاً منهما عنده ليس بلفظ فلا يكون محقَّق المعنى ، وعلى مذهب غيـره تكون المكنية من التحقيقية ، وسيـأتى تفصيل خلافهم فى ذلك .

(٥) يعنى به المعنى المجازىَ كمـا سبق ، والمراد بالحسى هنا الحقيقى فـلا يدخل فيه الخيـالى

=

إليه إشارة حسيــة أو عقلية ، فيقال : إن اللفظ نُقل مــن مسماه الأصلى فَجُعِلَ اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة فى التشبيه ·

أما الحسى: فقولك « رأيــت أسداً » وأنت تريد رجلاً شجاعــاً ، وعليه قول زُهير :

لَدَى أسدٍ شاكى السلاح مُقَذَّف (١)

أى لدى رجلٍ شجاع ·

ومن لطيف هذا الضرب مــا يقع التشبــيه فيــه فى الحركات؛ كــقول أبى دلامة يصف بغلته :

أرَى الشهبَاءَ تعجنُ إذْ غَدَوْنا برجْلَيها وتخبزُ باليدَيْن (٢)

شَبَّه حركةَ رجــليها حيث لم تثــبتا على موضع تعــتمد بهمــا عليه وهَوَتا ذاهبتين نحــو يديها بحركــة يدى العاجن ، فإنهمــا لا تثبتــان فى موضعٍ ، بل تزلاّن إلى قدّام لرخاوة العجين ، وشبَّه حركةَ يديها بحركة يد الخابز ؛ فإنه يثنى يده نحو بطنــه ويُحْدِثُ فيهــا ضرباً من التقــويس ، كمــا تجد فى يد الدابة إذا

= بل يدخل فى الوهمى ويكون من قسم الاستــعارة التخييليه ، والمراد بالعــقلى ما يشمل الوجدانى كــما سيأتــى فى قوله تعالى: ﴿ فــأذاقها اللهُ لباس الْجــوع والخوْف ﴾ آية ١١٢ سورة النّحل ·

(١) هو من قول زهير بن أبى سُلمى فى معلقته :

فشدَّ فلم يُفزعْ بيوتاً كثيرةً لدى حيثُ ألقتْ رَحْلَها أمُّ قشْعمِ
لدى أسد شاكى السلاحِ مُقَذّفٍ له لبدٌ أظفارُهُ لم تُقلَّمِ

والضمير فى قوله « فشد » لحصين بن ضــمضم ، وأم قشعم: كنْية المنية ، وشاكى السلاح : تامــه وقويه من الشــوكة وهى القوة ، وفــيه قلب مكانى ، والــمقذف : الذى يرمى به كثيراً فى الوقائع أو الذى قُذف باللحم،واللبد : الشعر المجتمع بين كتفى الأسد ·

(٢) هو لزيد بن الجون المعروف بأبى دلامة ، وقــوله « غدونا » بمعنى دخلنا الغداة وهى أول النهار ، وهو يصف بغلته بالرداءة ، ورواية كتاب أسرار البلاغة « باليمين » بدل اليدين ·

اضطربت فى سيرها ولم تَقْوَ على ضبط يدها وأن ترمى بها إلى قدام ، وأن تشد اعتمادها حتى تثبت فى الموضع الذى تقع عليه ، فلا تزلّ عنه ولا تنثنى .

وأما العقلى : فكقولك « أبديتُ نوراً » وأنت تريد حُجَّة؛ فإن الحجة مما يدرَك بالعقل من غير وساطة حس؛ إذ المفهوم من الألفاظ هو الذى ينوّرُ القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها ، وعليه قوله عز وجل : ﴿إهْدنا الصِّراط المستقيم﴾[1] أى الدين الحق ، وأما قوله تعالى : ﴿ فأذاقها اللهُ لباسَ الْجوع والخوْف ﴾[2] فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة[3] استعارة عقلية؛ لأنه قال : شبُّه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح : حسِّية ؛ لأنه جعل اللباس استعارةً لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة [4] .

فالاستعارة ما تضمَّن تشبيهَ معناه بما وُضِع له[5] ، والمراد بمعناه ما عُنى به أى ما استعمل فيه [6] . فلم يتناول ما استعمل فيما وُضع له وإن تضمن التشبيه به . نحو « زيد أسد ، ورأيته أسداً » ونحو « رأيت به أسداً »[7] لاستحالة

---

(١) الفاتحة : ٦ .

(٢) النحل : من الآية ١١٢ .

(٣) هو الزمخشرى ، وإنما جعل ذلك ظاهرهُ لا صريحه لأنه جعل المشبه ما غشى الإنسان من بعض الحوادث ، فيجوز أن يكون مرادُه منه ما يحصل من الجوع والخوف من الضرر ، ويجوز أن يكون مرادُه ما يحصل من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة كما ذهب إليه السكاكى ، وقد شبه ما يلبس الإنسان من ذلك بمطعوم مكروه وأسند إليه الإذاقة ، ويجوز أن يكون « لباس الجوع والخوف » من إضافه المشبه به إلى المشبه .

(٤) ٢٠١ - المفتاح .

(٥) إنما أعاد تعريف الاستعارة ليرتب عليه الفرق بينها وبين التشبيه المحذوف الأداة .

(٦) هو المعنى المجازى كالرجل الشجاع فى قولك « رأيت أسداً يحارب » .

(٧) هذا المثال يفترق عن سابقيه بأنه من التجريد الذى ينبىء عن التشبيه .

تشبيه الشيء بنفسه[1]. على أن المراد بقولنا « ما تضمن » مجاز تضمن ؛ بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها، والمجاز لا يكون مستعملاً فيما وُضِعَ له ·

الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد: وههنا شيء لا بدَّ من التنبيه عليه، وهو أنه إذا أُجْرِيَ فى الكلام لفظٌ دلت القرينة[2] على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين :

أحدهما – ألاّ يكونَ المشبه مذكوراً ولا مُقدَّراً ؛ كقولك « غنّتْ لنا ظبية»، وأنت تريد امرأة ، و« لقيت أسداً »، وأنت تريد رجلا شجاعا ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة ·

والثانى – أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدرا[3] ؛ فاسم المشبه به إن كان خبراً ، أو فى حكم الخبر كخبر «كان وإن» ، والمفعول الثانى لباب « علمت» ، والحال ؛ فالأصح أنه يسمى تشبيهاً وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة؛ لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه؛ فإذا قلت « زيد أسد » فقد وضعت كلامك فى الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يُسَمَّى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ؛ فإن الاسم فيها لم يُجتلب لإثبات معناه للشيء ؛ كما إذا قلت « جاءنى أسد ، ورأيت أسدا » فإن الكلام فى ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنوناً فى الضمير ، لا يُعلَمُ إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر ·

---

(١) فيكون المعنى المستعمل فيه اللفظ هنا هو المعنى الموضوع له لا المعنى المجازىّ ، فلو تناوله تعريف الاستعارة لزم تشبيه الشيء بنفسه لاتحاد المعنى الاستعمالى والمعنى الوضعى فيه ·

(٢) المراد بالقرينة هنا السياق ، لا قرينة المجاز؛ لأنه سيدخل فيه التشبيه المؤكد.

(٣) كقوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بكمٌ عميٌ ﴾ سورة البقرة آية ١٨ · أى هم صم إلخ ·

ووجهٌ آخر فى كون التشبيه مكنوناً فى الضمير ؛ وهو أنه إذا لم يكن المشبه مذكوراً جاز أن يتوهم السامع فى ظاهر الحال أنَّ المرادَ باسم المشبه به ما هو موضوعٌ له ، فلا يعلمُ قصد التشبيه فيه إلا بعد شىء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ؛ فإنه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكوراً أو مقدراً .

ومن الناس [١] من ذهب إلى أن الاسم فى الحالة الثانية استعارة لإجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه [٢] وهذا الخلاف لفظى راجع إلى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه فى الاصطلاح [٣] وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحناه من المناسبة ، وهو اختيار المحققين كالقاضى أبى الحسن الجرجانى والشيخ عبد القاهر والشيخ جار الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح [٤] رحمهم الله ؛ غير أن الشيخ عبد القاهر قال بعد تقرير ما ذكرناه [٥] : « فإن أبيتَ إلا أن تطلق اسمَ الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ؛ كقولك « زيد الأسد ، وهو شمس النهار » فإنه يحسن أن يقال « زيد كالأسد ، وخلْتُه شمس النهار » وإنْ حَسُنَ دخول بعضها دون بعض هان الخطبُ فى إطلاقه ؛ وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك « زيد أسد » ؛ فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد [٦] ويحسن أن يقال « كأن زيداً أسد ، ووجدته

---

(١) كأبى هلال العسكرى والآمدى والخفاجى .

(٢) أى أداته .

(٣) فإذا عُرِّفت الاستعارة بما تضمن تشبيه معناه بما وُضع له لم يدخل فيها الاسم فى الحالة الثانية ، وإذا عُرفت بأنها ما بُنى التشبيه فيها على حذف الأداة ودعوى الاتحاد ، دخل فيها الاسم فى الحالة الثانية ؛ لأن هذا المعنى يشمله ، كذلك يقال نظير هذا فى تعريف التشبيه . وما كان أغنى علماء البيان عن التطويل فى مثل هذا الخلاف اللفظى .

(٤) ١٨٩ - المفتاح .

(٥) ٣٧٣ - أسرار البلاغة .

(٦) لأن معناه تشبيه زيد بفرد من أفراد الأسد ، وهذا غير مقصود فى تشبيهه به ، وإنما المقصود تشبيهه بحقيقة الأسد وجنسه ، ولهذا يحسن فى حال التعريف دخول =

أسداً »[1] . وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب ؛ لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ؛ وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ؛ كقولك « فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب »؛ وكقوله :

شمسٌ تألَّقُ والفراقُ غروبُها   عنا وبَدْرٌ والصُّدودُ كسوفُهُ [2]

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه فى شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته [3] كقولك « هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا يغيب ، وكالشمس المتألقة إلا أن الفراقَ غروبُها ، وكالبدر إلا أن الصدودَ كسوفُه » وقد يكون فى الصفات والصِّلات التى تجيء فى هذا النحو ما يحيلُ تقدير أداة التشبيه فيه فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبى الطيب :

أسدٌ دمُ الأسد الهزبْر خِضابهُ   موتٌ فريصُ الموت منه يَرْعَدُ [4]

= الأداة؛ ليكون المقصود التشبيه لا دعوى الاتحاد لبعدها حينئذ ، ويحسن فى حال التنكير عدم دخولها؛ ليكون المقصود أنه فرد من أفراد الأسد لا تشبيهه بفرد منه .

(١) لأن « كأنّ ونحوها » ليست نصاً فى التشبيه كالكاف ، وهذه كلها فروق متكلَّفة؛ ولهذا كان الحق أنّ كلَّ هذا من التشبيه بلا فرق بين كون اسم المشبه به معرفةً أو نكرة .

(٢) هو للبحترى فى مدح الفتح بن خاقان ، وقوله « تألق » أصله تتألق بمعنى تلمع ، والصدود : الإعراض ، والكسوف : قد يُطْلَق على احتجاب القمر كما يطلق على احتجاب الشمس .

(٣) اعتُرِض عليه بأنه يجوز فى ذلك أن يقال هو « كبدر يسكن الأرض » من غير تغيير ، ويكون المشبه به خيالياً كما سبق فى تشبيه فحم فيه جمر مُوقَدٌ ببحر من المسك مَوْجُه الذهب ، ويمكن أن يجاب عنه بأن عبدَ القاهر لم يَدَّعِ إلا أنه لا يَحْسُنُ دخول الأداة إلا مع التغيير ولم يمنع جواز دخولها بغير تغيير .

(٤) أسد خبر لمبتدأ محذوف أى: هو أسد ، يعنى ممدوحه شجاع بن محمد الطائى ، والهزبر : الشديد الصلب ، والخضاب : الحنّاء ، والفريص : واحده فريصة؛ وهى لحمة بين الثدى والكتف أو بين الجنب والكتف .

فإنه لا سبيل إلى أن يقال « المعنى هو كالأسد وكالموت » لما فى ذلك من التناقض ؛ لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس خضـاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يصح أن يشبّه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه [١] . وكذا قول البحترى :

وبدرٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغرباً   وموْضعُ رجلى منه أسودُ مظْلِم[٢]

إن رُجع فيه إلى التشبيه الساذج - حتى يكون المعنى هو كالبدر - لزم أن يكون قد جعل البدرَ المعروف موصوفاً بما ليس فيه[٣] فظهر أنه إنما أراد أن يثبت من الممدوح بدراً له هذه الصفة العجيـبة التى لم تُعْرَف للبدر ، فهو مبْنىّ على تخـيل أنه زاد فى جنس البدر واحـداً له تلك الصـفة ؛ فـالكلام موضـوع لا لإثبات الشبه بينهـما ولكن لإثبات تلك الصفة؛ فهـو كقولك « زيد رجل كيت وكيت » لم تقصد إثبات كونه رجلاً ، لكن إثبات كونه متصفاً بما ذكرتَ ، فإذا لم يكن اسمُ المشبه به فى البيت مُجتلَباً لإثبات الشبه تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدَّم[٤] من كون الاسم مجـتلَباً لإثبات الشبه ، فالكلام فـيه مبنى على أنَّ كـونَ الممدوح بدراً أمـر قـد استـقر وثـبت ، وإنما العمل فى إثـبات الصـفـة الغريبة[٥] .

---

(١) قد يقـال إنه يجوز أن يقـال ذلك بعد التـصريح بالأداة فى الموضـعين على أنه إضراب عما يفيده التشبيه من أنه أنقص من المشبه به ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن عبد القاهر لا يدَّعى الاستحالةَ العقلية حتى يمتنع معها هذا التقدير أو نحوه .

(٢) البيت معطوف على قوله قبله فى مدح الفتح بن خاقان :

وما منع الفتحُ بن خاقان نيلَهُ   ولكنها الأقدار تُعطى وتَحرِمُ
سحابٌ خطانى جودُه وهو مسبل   وبحرٌ عَدانى فَيْضُه وهو مفعمُ

ورجلى بالجـيم ، وروى « رحلى » بالحـاء : وهـو ما يـجعل على ظهـر البـعيـر كالسرج ، وهذا كناية عن حرمانه منه مع عموم نفعه للناس .

(٣) هو عدم إضاءة موضع رجله .

(٤) أى فى الوجه الأول من الوجـهين اللذين فرّق بهمـا بين الاستعـارة والتشبـيه المؤكد .

(٥) اعترض عليه بأن كل هذا لا يمنع أن يقـال « هو كـبدرٍ بهـــذه الصفة » على=

وكما يمتنع دخـول الكاف فى هذا ونحوه [١] ، يـمتنع دخـول « كأنّ » ونحوهُ « تحسبُ » لاقتضائهما [٢] أن يكون الخبر والمفعـول الثانى أمراً ثابتاً فى الجملة[٣] ، إلا أن كونه مـتعلقاً بالاسم والمـفعول الأول مـشكوكٌ فيه؛ كـقولنا «كأن زيداً منطلق » ، أو خلاف الظاهر ، كـقولنا « كأن زيداً أسد »[٤] والنكرة فيمـا نحن فيه غيـر ثابتة [٥] فدخـول « كأن وتحـسبْ » عليهـا كالقيـاس على المجهول ، وأيـضاً هذا الجنس إذا فَليتَ عن سرّه وجَدْتَ محـصولَه أنك تدَّعى حدوث شيء هو من الجـنس المذكور إلا أنه اختص بصـفة عجـيبـة لم يتوهَّم جوازها على ذلك الجنس [٦] ، فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى [٧] .

التجريد ليس استعـارةً ولا تشبيهاً : وإن لم يكن اسم المشـبـه به خبـراً للمشبه ولا فى حكم الخبر [٨] كقولهم « رأيت بفلان أسداً ، ولقينى منه أسد »

= نحو ما سـبق فى تشبيه الفحم، ويجـاب عنه أيضًا بأن عبد القاهر لا يدَّعى الاسـتحالة التى يمتنع معها مثل هذا التقدير . ولكنك قد عرفت أنَّ الحق أنَّ كل هذا تشبيه لا استعارة .

(١) اسم الإشارة عـائد إلى ما يـقترن بالصـفات والصـلات التى تحيل تـقدير أداة التشبيه .

(٢) أى كأن وتحسب .

(٣) يعنى بهذا كونه معروفا غير مجهول .

(٤) إنما اقتـضت - كأن - فى المثال الأول الشك وفى الثـانى خلاف الظاهر ؛ لأن خبرها فى الأول مشتق دون الثانى .

(٥) يريد بما نحن فيـه ما يقترن بالصفـات والصلات السابقة ، ويعنى بكونهـا غير ثابتة أنها غير معلومة .

(٦) فكأنك فى بيت البحترى مثلاً تقول : « ما كنا نتوهم أنَّ هنا بدراً يضىء شرقاً وغرباً دون موضع رجلى » .

(٧) لأنه خـارج على قاعـدة التـشبيـه ؛ لأنك فى بيت البـحتـرى مثلا كـأنك تقـول: « أشبهه ببـدر حدث مخالفاً للبدور ما كـان يعرف » وليس لمثل هذا معنى . ولا يـخفَى أن عبد القاهر يتكـلف هذا كله مجاراةً لمن يأبى إلا أن يطلق على ذلك القسم اسمَ الاستعارة ، فهو عنده فى الحقيقة من التشبيه .

(٨) هذا معطوف على قوله فيما سبق فى ص ٩٣ : فاسم المشبه به إن كان خبراً أو فى حكم الخبر - فهو مقابل له .

سُمِّيَ تجريداً ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى [1] ولم يُسمَّ استعارة ؛ لأنه إنما يتصوّرُ الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يدّعى أنه مستعار له إمّا باستعماله فيه أو بإثبات معناه له [2] والاسم فى مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولأنه يجىء على هذه الطريقة [3] ما لا يتصوّر فيه التشبيه فَيُظَنُّ أنه استعارة [4] كقوله تعالى : ﴿ لهمْ فيها دارُ الخُلدِ ﴾[5]؛ إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد؛ إذ هى نفسها دار الخلد [6] وقول الشاعر :

يا خير من يركب المطيّ ولا يشرب كأساً بكفٍّ مَنْ بخلا [7]

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل .

ولا يسمى[8] تشبيهاً أيضا ؛ لأن اسم المشبه به لم يجتلب فيه لإثبات التشبيه كما سبق ، وعَدَّه الشيخ صاحب المفتاح تشبيهاً[9] والخلاف أيضا لفظى[10] .

---

(١) فى علم البديع .

(٢) يعنى باستعماله فيه نحو قولك: « رأيت أسداً يحارب » ، ويعنى بإثباته له نحو قولك: « زيد أسد » على القول بأنه استعارة .

(٣) يعنى طريقة التجريد .

(٤) الفاء فى قوله « فيظن » للتفريع على المنفى لا على النفى .

(٥) سورة فصلت : ٢٨ .

(٦) فلا يكون من التشبيه لأن مبناه على المغايرة بين المشبه والمشبه به ؛ فلا يصح تشبيه الشىء بنفسه .

(٧) سيأتى هذا البيت فى الكلام على التجريد فى علم البديع .

(٨) أى ما قيل إنه تجريد .

(٩) ١٨٩ - المفتاح - ويجب أن يقيد ذلك بما يمكن أن يُعدّ تشبيهاً ؛ فلا يدخل فيه نحو ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ سورة فصلت : ٢٨ .

(١٠) لأنه ينبنى على تقييد تعريف التشبيه بما لا يكون على سبيل التجريد وعدم تقييده بذلك ، والأقرب كما سبق فى تعريف التشبيه أن يُعَدَّ منه ما ينبىء عن التشبيه من التجريد ، ويكون من التشبيه المؤكد .

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى : والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوى كونها موضوعةٌ للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أعمّ منهما ؛ كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقاً ؛ لأنه لو كان موضوعاً لأحدهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ، وأيضا لو كان موضوعاً للشجاع مطلقا لكان وصفاً لا اسم جنس ·

وقيل : الاستعارة مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى [1] لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به ؛ لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارةً لكانت الأعلام المنقولة « كَيَزِيد ويَشْكُر » استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة فى إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال « رأيت أسداً » يعنى زيداً إنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمَّى ولدَه أسداً إنه جعله أسدا ؛ لأن « جعل » إذا تعدَّى إلى مفعولين كان بمعنى صيَّر فأفاد إثبات صفة للشىء ، فلا تقول « جعلته أميراً » إلا على معنى أنك أثبتّ له صفة الإمارة ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين همْ عبادُ الرحمن إناثاً ﴾[2] المعنى أنهم أثبتوا صفة الأنوثة ، واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿أشَهِدُوا خَلْقَهم ﴾ ·

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسمُ مستعملاً فيما وُضع له · ولهذا صَحَّ التعجُب فى قول ابن العميد :

قامت تُظَلّلُنى من الشمس   نفْسٌ أعزُّ عَلَىَّ مِن نفْسِى

(١) هذا أيضا خلاف لفظى كالخلاف السابق فى التشبيه المؤكد أنه استعارة أوْ لا ، ولا معنى للاشتغال بمثل ذلك فى علم البيان ، ويريد بقوله « بمعنى أن التصرف الخ »: أن المجاز العقلى هنا غير المجاز العقلى السابق فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى ·

(٢) الزخرف : ١٩ ·

قامت تُظَلِّلُني ومن عجبٍ　　شمسٌ تظللني مِن الشّمسِ (١)

والنهى عنه فى قول الآخر :

لا تَعجبوا مِن بِلَى غلالته　　قَدْ زَرَّ أزْرارَهُ على القمر (٢)

وقوله :

ترى الثياب من الكتّان تلمحها　　نورٌ من البدر أحياناً فيُبليها

فكيف تنكر أن تَبْلَى معاجرُها　　والبدرُ فى كلِّ وقت طالعٌ فيها (٣)

والجواب عنه أن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يُخْرِجُ اللفظَ عن كونه مستعملاً فى غير ما وضع له · وأما التعجب والنهى عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه؛ قضاءً لحق المبالغة ·

التوفيق بين الادعاء فى الاستعارة والقرينة المانعة : فإن قيل إصرار المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل ينافى نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ؟ قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق هو ما ذكره السكاكى (٤) وهو أن تبْنى دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق

---

(١) هما لأبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد يصف غلاماً جميلا قام على رأسه يظلله من الشمس ، وإنما أنث الضمير فى « قامت » لإسناده إلى نفس ·

(٢) هو لأبى الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوى الخراسانى ، والبلى : الفساد ، والغلالة : ثوب صغير يلاقى البدن يُلبس تحت ثوب أوسع منه ، وقوله « زر » بمعنى شد ، والاستعارة فى إطلاق القمر على محبوبه ، ولا ينافى الاستعارة ذكر المشبه فى البيت ؛ لأن الذى ينافيها ذكره على وجه ينبىء عن التشبيه؛ بأن يكون المشبه به خبراً عن المشبه أو نحوه مما سبق ، وجملة « قد زر الخ » مسوقة للتعليل ؛ لأنهم يزعمون أن ثياب الكتان يسرع إليها البلى عند بروزها للقمر كما سيأتى فى البيتين بعده ·

(٣) هما لأبى المطاع ذى القرنين بن ناصر الدولة الحمدانى ، وقوله « يبليها » بمعنى يُخلقها ، والمعاجر : جمع معْجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها · والاستعارة فى إطلاق البدر على صاحبة المعاجر ·

(٤) ١٩٨ - المفتاح ·

التأويل : متعارَفٌ؛ وهو الذى له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة [١] ، وغير متعارَف؛ وهو الذى له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى [٢] على نحو ما ارتكب المتنبى هذا الادّعاء فى عَدِّ نفسه وجماعته من جنس الجن، وعَدِّ جماله من جنس الطير للمتنبى حين قال :

نحن قَوْمٌ مِلْجَن فى زىّ ناسٍ فوقَ طيرٍ لها شخُوصُ الجمالِ [٣]

مستشهداً لدعواك هاتيك [٤] بالمخيلات العرفية . وأن تخصِّصَ [٥] القرينة بنفيها المُتعارف الذى يسبق إلى الفهم [٦] ليتعين الآخر [٧] .

ومن البناء على هذا التنويع[٨] قوله :

تحية بينهم ضرب وجيع [٩]

---

(١) هى صورة الحيوان المفترس . (٢) هى صورة الأسد غير المفترس وهو الرجل الشجاع .

(٣) قوله « ملجن » جار ومجرور أى من الجن ، والاستعارة فى إطلاق الطير على الجمال . أما قوله « نحن قوم ملجن » فتشبيه لا استعارة ، وقيل : إن فى البيت قلباً ؛ والأصل نحن قوم من الإنس فى زى الجن فوق جمال لها شخوص الطير . والحق أنه لا قلبَ وأنه يريد المبالغة .

(٤) يعنى دعواه الأسدية للرجل . فقوله « مستشهداً » حال من فاعل (تبنى) فى قول السكاكى « وهو أن تبنى دعوى الأسدية الخ » . وعبارته فى المفتاح « مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة ، من نحو حكمهم إذا رأوا أسداً هرب من ذئب أنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد » . (٥) معطوف على قوله « أن تبنى دعوى الأسدية » .

(٦) هو صورة الحيوان المفترس .

(٧) هو صورة الأسد غير المفترس ، وحينئذ لا يكون هناك منافاة بين الإصرار على دعوى الأسدية ونصب القرينة على عدم إرادتها ، لأن ما يُصَرُّ عليه غير ما تُمنعُ إرادته .

(٨) يعنى تنويع الشىء إلى متعارَف وغير متعارف .

(٩) هو من قول عمرو بن معديكرب :

وخيْلٍ قدْ دَلَفتُ لها بخيلٍ تحيّة بيْنهم ضربٌ وجيعُ

وقولـهم: « عتـابُكَ السيف » وقـوله تعالى : ﴿ يوْمَ لا ينْفعُ مـالٌ ولا بنون، إلاّ منْ أتى اللهَ بقلْبٍ سليم ﴾[1] ومنه قوله :

وبلْدةٌ ليس بها أنيسُ   إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ [2]

الفرق بين الاستـعارة والكذب : وإذ قد عـرفتَ معْنى الاستعـارة وأنها مجـاز لغوى ؛ فاعلم أن الاستـعارة تفارق الكذب من وجـهين : بناء الدعوى فيها على التأويل [3] ونَصْبُ القـرينة على أنَّ المرادَ بهـا خلافُ ظاهرها ؛ فـإن الكاذب يتبرأ من التأويل ، ولا ينصب دليلاً خلاف زعمه .

الاستعارة لا تدخل فى الأعلام : وأنها لا تدخل فى الأعلام [4] لما سبق من أنها تعتمد إدخال المشبه فى جنس المشبه به والعلَميّةُ تنافى الجنسية ، وأيضاً

= والمراد بالخيل أصحابهـا على طريق المجاز المرسل ، وقوله « دلفت » بمعنى نـهـضت ، والشاهد فى جـعله للتحـية نوعاً آخـر غير المتـعارَف فيهـا ، وهـو الضـرب الوجيع ، ووصفُ الضرب بالوجـيع مجاز ، ويجوز أن يكون بمعنى مـوجع ، وقد قيل : إن هذا من التشبيه المقلوب على معنى أن ضـربهم الوجيع كتحية لهم . والحق أنه من باب التنويع ، وهو ادِّعـاء أن مسـمى اللفظ نوعـان : متـعارَف، وغـير مـتعـارَف على طريق التخييـل؛ بأن ينزل ما يقع فى موقع شىء بدلا عن منزلته . فالمقـصود نَفْىُ ما صدر به ، يعنى لا تحية بينهم ، والتشبيه لا يفيد هذا المعنى ، بل يعكسه ويفسده .

(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) هو لِجرّانِ العوْد عامر بن الحارث النُّميرى ، واليعافير : جمع يعفورٍ وهو ولد البقرة ، والعيسَ : جمع أعيْس وهى الإبل التى يخالط بياضها صفرة ، والشاهدَ فى جعله للأنيس نوعاً غير متعارف وهو اليعافير والعيس ، وقد اعتُرِضَ على هذا بأنه استثناء منقطع لا يقدر فيه دخـول المستثنى فى المستثنى منه ، وكذلك الآية قـبله ، فلا يدخلان فى ذلك التنويع ، ورواية الديوان :

بسابساً ليس بها أنيس   إلا اليعافير وإلا العيس

(٣) يعنى بالتأويل التجـوز واعتبار العلاقة ، والكذب ليس فيـه هذا التأويل ، فهو يدخل فى تعريف الحقيقة .

(٤) المراد الأعلام الشخـصية ؛ لأن الأعلام الجنسيـة فيها عموم كـأسماء الأجناس فتصحُّ الاستعارة فيها ، وهذا كقولك « رأيت أسامةً له لبد يحارب » .

لأن العلم لا يدل إلا على تَعَيُّن شيء من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراكَ بين معناه وغيره إلا في مجرد التعيين ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفي شيء منها جامعاً في الاستعارة ، اللهم إلا إذا تضمن نوعَ وصفية لسبب خارج ، كتضمن اسم حاتم «الجواد» ومادرِ «البخيل» وما جرى مجراهما [1] .

قرينة الاستعارة : وقرينة الاستعارة إما معنى واحد؛ كقولك « رأيت أسداً يرمى » أو أكثر [2] كقول بعض العرب :

فإنْ تَعافوا العدْلَ والإيمانا فإنّ فى أيْمَانِنَا نِيْرانا [3]

أى : سيوفاً تلمع كأنها شعل نيران ، كما قال الآخر :

ناهضْتهمْ والبارقاتُ كأنّها شعلٌ على أيديهمُ تتلهّبُ [4]

فقوله « تعافوا » باعتبار كل واحد مِن تعلقه بالعدل وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك [5] لدلالته على أن جوابه أنهم يُحارَبونَ ويُقْسَرون على الطاعة بالسيف ، أو معانٍ مربوط بعضها ببعض [6] كما فى قول البحترى :

---

(١) فإذا قلت عند رؤيتك جواداً مثلاً « رأيت اليوم حاتماً » كنت كأنك جعلت حاتماً موضوعاً للجواد وجعلت من رأيته فرداً منه ، وعلى هذا تكون الاستعارة أصلية؛ لأنها لم تجر فى مشتقّ بالفعل ، وقيل: إنها تبعية .

(٢) هذا مبنى على الراجح من جواز تعدد قرينة الاستعارة ، وقيل : إنها لا تكون إلا واحدة ، وما عداها ترشيح أو تجريد كما سيأتى .

(٣) قوله « تعافوا » بمعنى تكرهوا . والإيمان يراد به الإسلام .

(٤) هو للبحترى فى مدح إسحاق بن إبراهيم ، والتاء فى « ناهضتهم » لخطاب ممدوحه ، والبارقات : السيوف ، وقوله « تتلهب » بمعنى تتوقد ، والشاهد فى جعله السيوف شعلاً كما جعلها الأول نيراناً ، وإن كان ما هنا تشبيهاً وما هناك استعارة .

(٥) الأولى أن يجعل كل من (العدل والإيمان) باعتبار تعلق (تعافوا) به هو القرينة ؛ لأن القرينة المتعددة لا تكون إلا لفظية ، والتعلق معْنوى .

(٦) فيكون مجموعها قرينة واحدة ، وبهذا يخالف ما قرينته معنى واحد أو أكثر .

وصاعقةٍ منْ نصله تنكفى بها ... على أرْؤسُ الأقران خمسُ سحائب [1]

عنى بخمس سحائب: أنامل الممدوح؛ فذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال « من نصله » فبيّن أنها من نصل سيفه ، ثم قال « على أرؤس الأقران » ثم قال « خمس » ، فذكر عدد أصابع اليد ؛ فبان من مجموع ذلك غرضه [2] .

● **قسيمات الاستعارة :**

ثم الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين :

أما باعتبار الطرفين فهى قسمان : لأن اجتماعهما فى شىء إمّا ممكن أو ممتنع ، واسم الأولى : وفاقية ، والثانية : عنادية .

الوفاقية : أما الوفاقية فكقوله تعالى : ﴿ أحييْناه ﴾ [4] فى قوله : ﴿ أوَ من كان ميْتاً فأحييْناهُ ﴾ فإن المراد بـ «أحييناه» هديناه أى أو من كان ضالا فهديناه . والهداية والحياة لا شك فى جواز اجتماعهما فى شىء [4] .

---

(١) يروى « وصاعقة » بالجر على أنها واو رُبَّ ، ويروى بالرفع على أنه مبتدأ خبره جملة (تنكفى) ، والنصل حد السيف شبهه بالصاعقة لأن (من) بيانية ، وقوله « تنكفى » بمعنى تنقلب ، « والأقران » جمع قرْن وهو النظير المكافىء . وقد ضمَّن مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء إذ جعله فى عموم العطاء كالسحائب ، وهذا من الاستتباع الآتى فى علم البديع .

(٢) فلا يكفى فيه بعضه ، واعترض على هذا بأنه لو أسقط لفظ الخمس أو غيره لكفى الباقى فى بيان غرضه ، وقد قسَّم السكاكى قرينةَ الاستعارة إلى القسمين الأولين فقط ، وإنى أرى أن هذا التقسيم ليس له كبير فائدة .

(٣) الأنعام : ١٢٢ .

(٤) أما استعارة (ميتاً) للضال فمن العنادية الآتية؛ لأن الميت لا يوصف بالضلال إلا باعتبار ما كان لاقتضائه الحياة، ومن الوفاقية استعارة الحياة لبقاء الذكر فى قول الشاعر:

ولقد سموتُ بهمتى وسَمَا بها ... طلبى المكارم بالفعال الأفضل

لأنال مكرمة الحياة وربما ... عثر الزمانُ بذى الدهاءِ الأحول

العنادية : وأما العنادية فمنها ما كان وضعُ التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، لخلوِّها مما هو ثمرتها والمقصود منها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف؛ كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة مِن مِثله ، فيكون مشاركا للمعدوم فى ذلك(١) ، أو اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثارُ المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه ، فيكون مشاركاً للموجود فى ذلك . أو اسم الميت للحىّ الجاهل ؛ لأنه عدمَ فائدة الحياة والمقصود بها أعنى العلم ، فيكون مشاركاً للميت فى ذلك؛ ولذلك جُعل النوم موتاً لأن النائم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت، أو للحى العاجز؛ لأن العجز كالجهل يَحُط من قدر الحى (٢) .

ثم الضدان إن كانا قابلين للشدة والضعف كان استعارة اسم الأشدّ للأضعف أوْلى (٣) وكلّ من كان أقل علماً وأضعف قوةً كان أوْلى بأن يستعار له اسم الميت ، ولما كان الإدراكُ أقْدَمَ من الفعل فى كونه خاصةً للحيوان كان الأقل علماً أوْلى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوة . وكذا فى جانب الأشدّ ، فكل من كان أكثر علماً كان أوْلَى بأن يقال له: إنه حىّ ، وكذا من كان أشرف علماً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ أو منْ كان ميْتاً فأحْيَيناه ﴾ (٤) فإن العلم بوحدة الله تعالى وما أنزله على نبيه ﷺ أشرف العلوم .

العنادية التهكمية والتمليحية : ومنها ما استعمل فى ضد معناه أو

---

(١) من هذا قول أبى تمام :

أنْبِئتُ عتْبةَ يعوى كى أشاتمهُ اللهُ أكبر أنّى استأسد الأسدُ

ما كنتُ أحسب أن الدهر يُمهلنى حتى أرى أحداً يهجوه لا أحدُ

(٢) قد يستعار اسم الميت لمن أسقمه الحب ؛ كقول المتنبى :

فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها ولم تَرَ قبْلى ميتاً يتكلمُ

(٣) أى من استعارته للضعيف ؛ لأن بُعد الأضعف من الأشد أكثر؛ فتكون المبالغة فيه أظهر .

(٤) سورة الأنعام : ١٢٢ ، والشاهد هنا فى استعارة (أحييناه) .

نقيضه؛ بتنزيل التضاد أو التناقض [1] منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح [2] على ما سبق فى التشبيه كقوله تعالى ﴿ فبشِّرْهم بعذاب أليم ﴾ [3] ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو التمليحية [4] .

أقسام الاستعارة باعتبار الجامع :

وأما باعتبار الجامع فهى قسمان: **أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلاً فى مفهوم الطرفين** [5] كاستعارة الطيران للعَدْوِ ؛ كما فى قول امرأة من بنى الحارث ترثى قتيلاً :

لوْ يشا طارَ به ذُوَ ميْعة   لاحقُ الآطال نهْدٌ ذو خُصَلْ [6]

وكما جاء فى الخبر: « كلماً سمع هيْعة طار إليها » [7] فإن الطيرن والعَدْوَ

---

(١) التضاد هو تقابل الأمرين الوجوديين اللذين لا يجتمعان ، وقد يرتفعان كالبياض والسواد ، والتناقضُ تقابلُ الأمرين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجوديّ والآخَرُ عَدَمى كحيوان ولا حيوان .

(٢) قد سبق تعريف التهكم والتلميح فى ص ٨١ .

(٣) آل عمران : ٢١ ، وفى التوبة : ٣٤ ، وفى الانشقاق : ٢٤ ، فقد استعيرت فيه البشارة وهى الإخبار بما يسر للإنذار وهو ضدها بإدخاله فى جنسها على سبيل التهكم ، ثم اشتق من البشارة «بَشِّرْ» بمعنى أنْذِرْ .

(٤) منه قول الشاعر :

سليمانُ ميمونُ النَّقيبة حازمُ   ولكنه وقفٌ عليه الهزائمُ

وقول أبى تمام :

أُنبئتُ عُتْبة يعوى كى أشاتمه   الله أكبر أنِّى اسْتأسد الأسَدُ

وفى رواية « النقد » بدل « الأسد » وهو جنس من الغنم قبيح .

(٥) بأن يكون جنساً أو فصلاً لمفهومهما .

(٦) قوله « يشا » أصله يشاء ، والضمير فيه لمن ترثيه ، والميعة : النشاط ، والآطال : جمع إطْل وهو الخاصرة ، ولاحقها : ضامرها ، والنهد : القوى ، والخصل: جمع خصْلة وهى الشعر المجتمع . تعنى أنه لو شاء لأنجاه ذلك الفرس ، وقد نسب العينى فى الشواهد الكبرى هذا البيت لعلقمة .

(٧) هو من قوله ﷺ « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ؛ كلما سمع هيعة طار إليها » الحديث ، والهيعة : الصيحة للجهاد .

يشتركان فى أمر داخل فى مفهومهما؛ وهو قطع المسافة بسرعة[1] ولكن الطيران أسرع من العدو ، ونحوهما قول بعض العرب :

فطرتُ بمُنْصلى فى يَعْملات دوامى الأيْد يخبطن السَّريحا[2]

يقول : إنه قام بسيفه مسرعاً إلى نوق فعقرهن ودميت أيديهن ، فخبطن السيور المشدودة على أرجلهن . وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر فى قوله :

كالفجر فاض على نجوم الغيهب[3]

فإن الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص؛ وذلك أن يفارق مكانه دفعةً فينبسط ، وللفجر انبساط شبيه بذلك ، وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض فى قوله تعالى: ﴿ وقطَّعناهُمْ فى الأرض أمماً ﴾[4] فإن القطعَ موضوعٌ لإزالة الاتصال بين الأجسام التى بعضها ملتزق ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التى هى داخلة فى مفهومها ، وهى فى القطع أشد . وكاستعارة الخياطة لسرْد الدرع فى قول القطامىِّ :

لم تلْق قوماً هُم شرٌّ لإخوتهم منّا عشيّةَ يجرى بالدم الوادى
نُقْريهمُ لهذميّات نَقُدُّ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زرّاد[5]

---

(١) لا يخفى أن السرعة فى الطيران لازمة له وليست داخلة فى مفهومه .

(٢) هو لمضرِّس بن ربْعى العقْمسىّ . والمنصل : السيف ، واليعملات : النوق المطبوعة على العمل ، والأيد : مخفف الأيدى ، والسريح : السير الذى يُشَدُّ على أرجلها .

(٣) هو من قول البحترى :

يتراكمون على الأسنَّة فى الوغى كالفجر فاضَ على نجوم الغيهب

وقوله « يتراكمون » بمعنى يجتمعون بكثرة وازدحام . والأسنة : الرماح ، والوغى : الحرب ، والغيهب : الظلمة . وإنما جعلهم كالفجر بالنظر إلى ما عليهم من الدروع اللامعة .

(٤) الأعراف آية ١٦٨ .

(٥) هما لعمير بن شُيَيم المعروف بالقطامى ، وضمير الغيبة فى « نقريهم » لإخوتهم فى البيت قبله وكانوا أعداءهم ، والقِرَى: فى الأصل: طعام الضيف فاستعير =

فإن الخياطة تضم خرقَ القميص ، والسرد يضم حلقَ الدرع ؛ فالجامع بينهما الضم الذى هو داخل فى مفهومهما ، وهو فى الأول أشد . وكاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول أبى الطيب :

نثرْتَهمُ فوق الأُحَيْدِبِ نثرةً ... كما نُثِرتْ فوق العروسِ الدَّراهِمُ[1]

لأن النثر أن يُجمع أشياء فى كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعةً من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعةً من غير ترتيب ونظام ، ونسبه إلى الممدوح لأنه سببه[2] .

ما يخرج جامعها عن مفهوم الطرفين : والثانى ما يكون الجامع فيه غير داخل فى مفهوم الطرفين ؛ كقولك « رأيت شمسا »، وتريد إنساناً يتهلل وجهه ، فالجامع بينهما التلألؤ، وهو غير داخل فى مفهومهما[3] .

الاستعارة العامية والخاصية : وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً إلى عاميه وخاصية[4] ؛ فالعامية: المبتذلة لظهور الجامع فيها؛ كقولك «رأيت أسداً ووردت

= لضربهم باللهذميات على سبيل الاستعارة التهكمية ، واللهذميات : جمع لهذم وهو السيف القاطع ، والنسبة فيها للمبالغة . والزرّاد : صانع الزرد وهو الدرع . وإسناد الجرى إلى الوادى مجاز عقلى .

(١) الخطاب فى « نثرتهم » لسيف الدولة ، والأحيدب : جبل ببلاد الروم .

(٢) فهو مجاز عقلى .

(٣) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

فى الخدّ إن عزم الخليطُ رحيلاً ... مَطَرٌ تزيد به الخدود محولاً

وقول الآخر (ابن المعتز):

أثمرتْ أغصان راحته ... لِجُناة الحسْن عُنَّاباً

وإنى أرى أنه ليس لتقسيم الاستعارة بهذا الاعتبار كبير فائدة .

(٤) الخاصِّية أبلغ من العامية ، والمقبول منهما ما لا يبعد جداً حتى لا يغيب عن الفهم ، وما لا يقرب جداً فيُستبرد ، ولكل منهما مقامات تليق به .

بحراً » . والخاصية : الغريبة التى لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقه العامة ، كما سيأتى فى الاستعارات الواردة فى التنزيل . وكقول طُفَيْلٍ الغنوى:

وجعلتُ كَوْرِى فوق ناجيةٍ   يقْتاتُ شحمَ سنَامها الرَّحْلُ[1]

وموضع اللطف والغرابة منه: أنه استعـار الافتيات لإذهاب الرّحل شحمَ السنام ؛ مع أن الشحم مما يقْتاتُ . وقول ابن المعتز :

حتى إذا ما عرف الصَّيْد الضّار   وأذِنَ الصُّبحُ لنا فى الإبصار[2]

لما كان تعذر الإبصار منعاً من الليل جعل إمكانه عــند ظهور الصــبح إذناً منه ، وقول الآخر :

بعرْض تنوفةٍ للريح فيــهِ   نسيمٌ لا يروِّع فى التراب[3]

وقوله :

يناجينى الإخلاف من تحت مطْله   فتختصم الآمالُ واليأسُ فى صدرى[4]

ثم الغرابة قد تكون فى الشــبه نفسه[5]. كمــا فى تشبيه هيـئة العِنَان فى

(١) هو لطفـيل بن عوف الغنوى ، والـكور : رحل البعـير ، والناجـية : الناقـة السريعة ، وإنما أفاد اقتيات الشحم الغرابةَ ؛ لأن فيه تخييل أن ذلك حقيقة .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، والضار : تخفيف الضارى وهو المتعود للصيد ، فاعل مؤخر والصيد مفعول مقدم ، يعنى أنه عرف ما يصيده بذهاب الظلمة ، وفى رواية « حتى إذا ما عرف الصيد انصار » أى انضم وانجمع أو مال ، يصف بذلك بازى الصيد .

(٣) هو لســوَّار بن المضرِّب الســعدى ، وقـيل : إنه لجـحدر بن مـالك الحنفى ، ويروى الشطر الثانى « نسيم لا يروعُ الترب وان » وقبله :

سقى الله اليمامة من بلاد   نوافحها كأرواح الغوانى

والتنوفة : الصحراء أو الأرض الـواسعة ، وعرضها : جانبـها . ويروى « فيهـا » بدل (فـيـه) . والشاهـد فى استـعـارة الروع وهو الفـزع لإثارة الريح للتـراب بجـامع التحريك، ولا شك أن معرفة هذا الجامع فيهما إنما يدركها الخاصة .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والإخلاف : عدم الوفاء ، والمطل : التأخير فى إجابة المطلوب . والشاهد فى استعارة المناجاة وهى المسارَّة بالحديث للخطور فى الذهن .

(٥) يعنى بالشبه: التشبـيه؛ أى فى التشبيه نفسه لا فى الجـامع ، بأن يكون تشبيها نادراً لبُعد مـا بين الطرفين ، كما فى البيت ؛ فـإن أحدهما من وادى القعـود والآخر من وادى الركوب ، مع ما فى ذلك من كثرة التفصيل .

موقعه من قَرَبُوس السرج بهيئة الثوب فى موقعه من ركبة المحْتبى فى قول يزيد بن مسْلمة بن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدَّب :

وإذا احْتبى قربوسه بعنانه   عَلَكَ الشّكيمَ إلى انصرافِ الزَّائرِ (١)

وقد تحصل بتصرُّف فى العامية ؛ كما فى قول الآخر :

وسالتْ بأعناق المطىِّ الأباطحُ (٢)

أراد أنها سارت سيراً حثيثاً فى غاية السرعة ، وكانت سرعةً فى لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولاً وقعت فى تلك الأباطح فجرت بها .

ومثلها فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

سالتْ عليه شعابُ الحىِّ حين دعا   أنصارَهُ بوجوهٍ كالدنانير (٣)

أراد أنه مطاع فى الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لِخَطْب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من هنا وههنا ، وتنْصبُّ من هذا المسيل وذاك ، حتى يغَصَّ بها الوادى ويطفح

---

(١) الحق أنه لمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، والقربوس : السرج ، وقيل مقدمه حقيقةً أو مجازاً ، والعنان : سير اللجام ، وقوله « علك» بمعنى مضغ ، والشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، يصف فرسه بأنه مؤدب إذا نزل عنه وقف مكانه إلى عودته ، فهو يعنى بالزائر نفسه على الالتفات . والشاهد فى استعارة الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لإيقاع العنان بالقربوس ، ويجوز رفع « قربوسه » على أنه فاعل (احتبى) .

(٢) هو من ثلاثة أبيات سبقت فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثانى ، والشاهد فى استعارة سيل السيول فى الأباطح لسير الإبل بسرعة فى لين وسلاسة .

(٣) هو لعبد الله بن المعتز ، والشعاب : جمع شِعْب وهو الطريق فى الجبل والناحية ، والحى: القوم أو مكانهم ، ووجه الشبه فى قوله « بوجوه كالدنانير » : الاستدارة والإشراق .

منهـا ، وهذا شبـه معـروف ظاهر ولكن حسن الـتـصرف فـيه أفـاد اللطـف والغـرابة ، وذلك أنْ أسنَـد الفعل إلى الأبـاطح والشعاب[1]دون المطيِّ أو أعناقـها والأنـصار أو وجـوههم ، حـتى أفاد أنه امـتـلأت الأباطح من الإبل والشعاب من الرجـال على ما تقدم[2] فى قـولـه تعالى : ﴿ واشـتَعل الرَّأس شيْباً ﴾[3] وفى كل واحـد منهمـا شىء غير الـذى فى الآخَر يؤكد أمـر الدقة والغرابة ؛ أما الذى فى الأول فـهو أنه أدخل الأعناقَ فى السير ؛ فـإن السرعة والبطء فى سيـر الإبل يظهران غـالباً فى أعناقهـا على ما مـرَّ ، وأما الذى فى الثانى فهـو أنه قال « عليه »؛ فعـدَّى الفعل إلى ضميـر الممدوح بـ (على) ، فأكد مقصوده من كونه مُطاعاً فى الحى .

وكما فى قوله :

فَرْعاء إن نهضتْ لحاجتها عجل القضيبُ وأبطأ الدِّعْص[4]

إذ وصف القضيب بالعجلة ، والدعص بالبطء[5] .

وقد تحصل الغـرابة بالجمع بين عدة استعـارات لإلحاق الشـكل بالشكل؛ كقول امرىء القيس :

فقلت له لما تمطَّى بصلْبه وأردف أعْجازاً وناء بكلكل[6]

---

(١) هذا مجاز عقلى من إسناد الحالِّ للمحلِّ .

(٢) فى الكلام على الإيجـاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثـانى من أنه آثر ذلك على « اشتعل شيب الرأس » ليفيد عمومه للرأس .

(٣) سورة مريم آية : ٤ .

(٤) الفرعاء : الطويلة ، والقضيب : الغصن استعـير لقامتها ، والدعص : كثيب الرمل المجتمع ، استعير لردْفها .

(٥) فغـرابتها نشأت من المجـاز العقلى أيضاً مع مـا فيها من الطبـاق بين « عجـل وأبطأ » .

(٦) قـوله « تمطى » بمعنى تمدَّد ، والصلب : عـظم فى الظهـر ذو فقـار يمتـد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، والأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الشىء أو الجسم؛ فالصلب: مستعـار لوسط الليل، والكلكل: مستعار لمقدمـه ، والأعجاز: مستعـارة للأجزاء الأخيرة منه، وهذه هى الاستعارات التى جمع بينها وجعل من مجموعها استعارة واحدة .

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به؛ إذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطّية شىءٌ ، وبالغ فى ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمُكابده؛ فاستعار له كلكلاً ينوء به أى يثقل به . وقال الشيخ عبد القاهر[1] : « لما جعل لليل صلباً قد تمطى به ، ثنّى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلّث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قدّامه وإذا نظر خلفه وإذا رفع البصر ومدّه فى عرْض الجو »[2] .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع :

وأما باعتبار الثلاثة - أعنى الطرفين والجامع - فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، أو بوجه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى؛ لِما مر[3] .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى : أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى؛ فكقوله تعالى : ﴿ فأخرج لهُم عجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ ﴾[4] فإن المستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حُلىّ القبط التى سبكتها نار السامرىّ عند إلقائه فيها التربة التى أخذها من موطىء حيْزوم فرسِ جبريل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل[5] والجميع حسى[6] . وكقوله تعالى: ﴿ وتركنا بعْضهمْ يوْمئذ يموجُ فى

(١) ٥٤ - دلائل الإعجاز - المطبعة العربية .

(٢) فقابل هذا بالكلكل والأعجاز والصلب على الترتيب .

(٣) فى الكلام على وجه الشبه من استحالة قيام الحسى بالعقلى .

(٤) سورة طه آية ٨٨ . (٥) أى مع الخوار .

(٦) الحق أن ما فى الآية تشبيه لا استعارة؛ لأن جسداً بدل من « عجلاً »؛ فيكون التقدير : فأخرج لهم مثل عجل جسداً له خوار .

بعضٍ ﴾[1] فإن المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوجُ ومأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يشاهَد من شدة الحركة والاضطراب ، وأما قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأسُ شيبا ﴾[2] فليس مما نحن فيه وإن عُدَّ منه ؛ لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار فى بياضه وإنارته ، وتشبيه انتشاره فى الشعر باشتعالها فى سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ، والأول استعارة بالكناية ، والجامع فى الثانى عقلى[3] . وكلامنا فى غيرهما[4] .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى : وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى؛ فكقوله تعالى : ﴿ وآيةٌ لهُم اللَّيل نسْلخ منْه النَّهار ﴾[5] فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظلّه ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتُّب أمر على آخر[6] . وقيل : المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل. وليس بسديد. لأنه لو كان ذلك لقال « فإذا هم مبصرون » ونحوه ولم يقل ﴿ فإذا هم مظْلمون ﴾ أى داخلون فى الظلام[7] قيل : ومنه قوله تعالى :

(١) سورة الكهف آية ٩٩ .

(٢) مريم آية ٤ .

(٣) قيل : إنه مركب من حسى وعقلى ؛ لأن سرعة الانبساط حسية ، وتعذر التلافى عقلى .

(٤) أى فى غير الاستعارة بالكناية وفى غير الوجه العقلى ؛ لأن الكلام فى استعارة المحسوس للمحسوس استعارةً تصريحية بوجه حسى ، وهو يقصد السكاكى بهذا الاعتراض ، والحق أنه لا يرد عليه لأنه جعل هذه الأقسام للاستعارة مطلقاً ولم يخصها بالتصريحية حتى يعترض عليه بذلك .

(٥) سورة يس آية ٣٧ .

(٦) الحق أن هذا الترتب حسِّى لتعلقه بأمور محسوسة ، وإنما يكون الترتب عقلياً فى مثل ترتب النتيجة على العلم بالمقدمات .

(٧) أجيب عن ذلك بأن المراد بظهور النهار من ظلمة الليل زواله وبقاء =

﴿ إذْ أرسلْنا عليهمُ الريحَ العـقيمَ ﴾[1] فإن المسـتعار منه المرأة ، والمستـعار له الريح ، والجامـع المنع من ظهور النتـيجة والأثر؛ فـالطرفان حسـيـان والجامع عقلى . وفيه نظر ؛ لأن العقيم صفةٌ للمرأة لا اسمٌ لها ، وكذلك جُعِلَتْ صفة للريح لا اسماً[2] . والحق أن المستعار منه مـا فى المرأة من الصفة التى تمنع من الحمل[3] ، والمستعار له ما فى الريح من الصفة التى تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر ، والجامع ما ذُكر[4] .

استعـارة محسوس لمحسوس بوجـه مختلف : وأما اسـتعارة محـسوس لمحسوس بما بعضـه حسى وبعضه عقلى فكقولك « رأيـت شمساً » وأنت تريد إنساناً شبـيهاً بالشمس فى حسن الطلعة ونـباهة الشأن ، وأهمل السكاكى هذا القسم[5] .

= الظلمة ، فيكون المعنى فى الوجهين واحـداً ، وإن كان مبنَى الأول على أن النهار ظَرْفٌ للظلمة ، ومبنى الثانى على أن الظلمة ظرف للنور .

(١) الذاريات آية ٤١ .

(٢) يريد بهذا أن (العقيم) هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلى لا حسى .

(٣) هى صفة العقم ، ثم اشتق منها عقيم بعد استعارتها لصفة الريح .

(٤) على هذا يكون ما فى الآية من اسـتعارة المعقول للمعـقول استعارة تصـريحية تبعـية ، وقد أجيب عـن أصل النظر بأن من يجعل المستـعار منه المرأة والمستـعار له الريح يذهب إلى أن ذلك اسـتعارة بالـكناية ، ويجعل العـقم قرينة لهـذه الاستـعارة ، ورُدَّ بأن استعـارة المرأة للريح معناها ادعاء أن الريح فرد من أفـراد النساء وهذا غير مـقصود ؛ لأن ثبـوت ذلـك للريـح لا يفيـد أنهـا عقيم ، وذلك لأن العقمَ ليس صفـةً للنساء مطلقاً ولا غالباً .

ومن استعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلى قول الشاعر :

قولا لدُودان عبيد العصا   ما غرَّكُمْ بالأسد الباسل

ومنها أيضاً ما جاء فى المثل : « إن البغاث بأرضنا يستنسر » .

(٥) من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه مختلف قول الشاعر فى رثاء ولد له :

وهلال أيامٍ مضى لم يسْتدرْ   بدْراً ولم يُمهَلْ لوقت سرارِ
عجل الكسوفُ عليه قبل أوانه   فمحاهُ قبل مَظَنَّة الإبدارِ

استعـارة معقول لمعقول : وأمـا استعارة معقـول لمعقول فكقوله تعالى : ﴿ مَن بَعَثَنا منْ مـرْقـدنا ﴾[1] فإن المستـعار منه الرقاد[2] والمستـعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال[3] ، والجميعُ عقلى[4] .

استعارة محسوس لمعقول : وأما اسـتعارة مـحسـوس لمعقـول فكقوله تعالى : ﴿ فاصْدعْ بما تؤمَرُ ﴾[5] فإن المستعار منه صدْعُ الزجاجة وهو كسرها ، وهو حِسّى[6] ، والمستعار له تبليغ الرسالة[7] ، والجـامع لهمـا التـأثير . وهمـا عقليان ، كأنه قيل : « أَبِنِ الأمر إبانةً لا تنمحى كما لا يلتئم صدع الزجاجة » وكقوله تعالى : ﴿ ضُرِبتْ عليهم الذِّلَّةُ ﴾[8] جعلت الذلة محيطةً بهم مشتملة عليهم، فهم فيـها كما يكون فى القبة مَن ضُرِبَتْ عليـه ، أو ملصقةً بهم حتى لزمتهم ضـربة لازبٍ كما يُضربُ الطين على الحـائط فيلزمه؛ فالمسـتعار منه إمَّا ضرب الـقبـة على الشـخص وإما ضـرب الطين على الحـائط ، وكـلاهمـا

---

(١) يس آية ٥٢ .

(٢) ظاهر هذا أن (مرقدنا) فى الآية مصـدر ميمى ، ويجوز أن يكون اسم مكان فيكون المستعار منه الرقاد أيضاً ، ثم يشتق منه اسم المكان بعد استعارته للموت .

(٣) أو البـعث؛ وقد رُجِّح بأنه فى النـــوم أظهر وأقـوى لكونه مما لا شـبهـة فيـه لأحد، وعدم ظهور الأفعال بالعكس ، والجامع لا بد أن يكون أقوى فى المستعار منه .

(٤) من استعارة المعقول للمعقول قول الشاعر :

وإذا تُباعُ كريمةٌ أو تُشْتَرَى فسواكَ بائعها وأنت المشْترِى

شبـه التَّرك بالبيع، والحصـول بالاشتراء، بجـامع الحرمان فى الأول والتـحقق فى الثانى، ثم استعار المشـبه به للمشبه فيهما ، واشتـق منه (تباع) بمعنى تترك و(تشترى) بمعنى يُحصل عليهـا .

(٥) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٦) لتعلقه بحسى .

(٧) اعتـرض على هذا بأنه حسى يدرك بالسـمع؛ فالأولى أن يجـعل المستـعار له إظهار الدين لأنه لا يلزم أن يكون بطريق حسى .

(٨) سورة آل عمران آية ١١٢ .

حسّيّ ، والمستعار له حالُهُم مع الذلة ، والجامع الإحاطة أو اللزوم ، وهما عقليان[1] .

استعارة معقول لمحسوس : وأما استعارة معقول لمحسوس فكقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾[2] فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان[3] .

أقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية : وأما باعتبار اللفظ[4] فقسمان : **لأنه إن كان اسمَ جنس فأصلية** كأسد وقتل[5] ، وإلا **فتبعية** ؛ كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ؛ لأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيهُ يعتمد كون المشبه موصوفاً[6] ، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق[7] كما فى قولك « جسم أبيض وبياض صاف » دون معانى الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف[8] ؛ فإن قلت : فقد قيل فى نحو « شجاع باسل، وجواد فيَّاض، وعالم نحرير » إن باسلاً وصفٌ لشجاع ، وفياضاً وصف

---

(١) يجوز جعل ذلك من الاستعارة المكنية بتشبيه الذلة بالقبة.

ومن استعارة المحسوس للمعقول قول أبى تمام :

ويصعدُ حتى يظنَّ الجهولُ بأنَّ له حاجةً فى السَّماء

(٢) الحاقة : ١١ .

(٣) من استعارة المعقول للمحسوس قوله تعالى : ﴿ وأمّا عادٌ فأُهْلِكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية ﴾ الحاقة : ٦. وقوله أيضاً : ﴿ تكاد تميزُ من الغيْظ كلّما أُلقىَ فيها فوجٌ سألهمْ خزنتها ألمْ يأتكم نذيرٌ ﴾ آية ٨ سورة الملك .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، وقد ذكروا أن هذا التقسيم يجرى فى المكنية أيضاً .

(٥) يشير بالمثالين إلى أن اسم الجنس قد يكون اسم ذات كأسد ، وقد يكون اسم معنى كقتل .

(٦) أى بوجه الشبه بحيث يصح الحكم به عليه ، وكذلك يقتضى التشبيه مثل هذا فى المشبه به ، ولو ذكر هذا لكان أنسب باستدلاله .

(٧) يعنى بها الأمور المتقررة الثابتة فى نفسها من الجواهر والأعراض كأسد وقتل ونحوهما .

(٨) لأن الأفعال والمشتقات غير متقررة ، والحروف غير ثابتة فى نفسها .

لجواد ، ونحريراً وصف لعالم[1] ، قلت : ذلك متأوَّلٌ بأن الثوانى لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفاً بالأول[2] .

فالتشبيه فى الأفعال والصفات المشتقة منها لمعانى مصادرها[3] ،وفى الحروف لمتعلّقات معانيها ؛ كالمجرور[4]فى قولنا « زيد فى نعمة ورفاهية » فيقدَّر التشبيه فى قولنا: « نطقت الحال بكذا ، والحال ناطقة بكذا » للدلالة بمعنى النطق[5]، وعليه فى التهكمية قوله تعالى : ﴿ فبشّرهم بعذاب أليم ﴾[6] بدل فأنذِرهم ، وقوله تعالى: ﴿ إنك لأنت الحليمُ الرشيدُ ﴾[7] بدل السَّفيه

(١) فقد وُصفت الصفات المشتقة الثلاث بهذه الصفات كما وُصف الجسم والبياض بما سبق ، فلا يكون هناك فرق بينهما فى ذلك .

(٢) فقولك « شجاع باسل » مثلاً إنما هو على تقدير « زيد شجاع باسل » فكل منهما فى الحقيقة صفة لزيد .

(٣) أى المحققة أو المقدرة كما فى الأفعال التى لا مصادر لها .

(٤) هذه طريقة الخطيب فى إجراء الاستعارة التبعية فى الحروف ؛ فهى تابعة عنده للتشبيه فى متعلقاتها من مجروراتها ونحوها ، وتعلقها بها بمعنى ارتباطها بها ، وليس هو التعلق النحوى المعروف ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شبهت النعمة على زيد بدار مشتملة عليه ، ثم استعمل فى النعمة لفظ « فى » كما يستعمل فى الدار ونحوها ، والجمهور على أن متعلقات الحروف هى معانيها الكلية ، فيجرى التشبيه فيها أولاً ثم تبنَى عليه الاستعارة فيها ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شُبهت ملابسة النعمة لصاحبها بملابسة الظرف للمظروف ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به وهو « فى » . وبعض الجمهور لا يكتفى بإجراء التشبيه فى متعلقات الحروف بل يوجب إجراءه فى جزئياتها بعدها ، وبهذا يجعل الاستعارة فى جزئياتها دونها ، والخطب فى ذلك سهل ، وطريقة الخطيب أظهر .

(٥) ثم يستعار النطق للدلالة ، ثم يشتق من النطق « نطقت أو ناطقة » بمعنى «دلت أو دالة » والجامع إيصال المعنى إلى الذهن ، وهكذا كل الاستعارات فى الأفعال والمشتقات؛ فتكون الاستعارة فيها تابعة للاستعارة فى مصادرها ، ولا خلاف هنا بينهم فى ذلك .

(٦) آل عمران : ٢١ ، التوبة : ٣٤ .

(٧) هود : ٨٧ .

الغويِّ ، وفى لام التعليل[1] كقوله تعالى : ﴿ فالتقطهُ آلُ فرْعونَ ليكون لهمْ عدُواً وحَزَنًا﴾ [2] للعداوة والحزن الحاصلَين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط[3] .

ومما يتصل بهذا أن « يا » حرفٌ وُضع فى أصله لنداء البعيد استُعمِل فى مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه أو إلى المُنادى ؛ أما الأول فكقولك لمن سها وغفل وإن قرب : « يا فلان » ، وأما الثانى فكقول الداعى فى جُؤاره : « يا رب يا ألله » وهو أقرب إليه من حبل الوريد؛ فإنه استقصارٌ منه لنفسه واستبعادٌ لها من مظان الزُّلْفَى وممّا يقرِّبه إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقرَّبين هضمًا لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط فى جنب الله تعالى ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والأذْن[4] لندائه وابتهاله .

واعلم أنَّ مدار قرينة التبعية [5] فى الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كما مر فى قولك: « نطقت الحال »، أو إلى المفعول؛

كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الحقُّ لنا فى إمامٍ قتلَ البخْلَ وأحْيا السَّماحا[6]

(١) عطف على قوله « فى قولنا نطقت الحال » إلخ .

(٢) القصص : ٨ .

(٣) هذا على طريقته السابقة ، وأما على طريقة الجمهور فيقال: « شبّه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية كالمحبة والتبنى عليه ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به ، وهو لام التعليل .

(٤) أى الاستماع .

(٥) يعنى بهذا أن الأكثر فى قرينتها أن تكون على ما سيذكره ، وقد تكون قرينتها حالية ، كقوله تعالى ﴿ أوَ منْ كان ميْتاً فأحيَيْناه ﴾ آية ١٢٢ سورة الأنعام وقوله ﴿ ونادوْا يا مالكُ ليقض علينا ربُّك قال إنكُمْ ماكثُون ﴾ آية ٧٧ سورة الزخرف .

(٦) هو لعبد الله بن المعتز يمدح به والده المعتز بالله ، شبَّه إزالة البخل بالقتل ، وإذاعة السماح بالإحياء ، ثم استعير القتل لإزالة البخل واشتق منه قتل بمعنى أزال ، واستعير الإحياء لإذاعة السماح واشتق منه « أحيا » بمعنى أذاع ، وقرينةُ ذلك نسبة « قتل » إلى البخل ونسبة « أحيا » إلى السماح .

وقول كعب بن زهير :

صبَّحْنا الخَزْرجيَّة مرهَفَاتٍ أبادَ ذوى أَرومَتِها ذوُوها[1]

والفرق بينهما أن الثانى مفعول ثان دون الأول . ونظير الثانى قوله :

نُقْريهمُ لهذميَّاتٍ نَقُدُّ بها ما كان خاطَ عليهم كلُّ زرَّاد[2]

أو إلى المفعولين : الأول والثانى ؛ كقول الحريرى :

وأُقْرِى المسامعَ إمّا نطقْتُ بياناً يقود الحَرونَ الشَّموسا[3]

أو إلــــــى المجرور كقوله تعالى : ﴿ فبشِّرهمْ بعذابٍ أليمٍ ﴾[4] .

قال السكاكى[5] : «أو إلى الجميع كقول الآخر :

تُقْرِى الرياحُ رياضَ الحَزْنِ مزهرةً إذا سرَى النَّومُ فى الأجفان إيقاظا[6]

---

(١) الخزرجية : هم الخزرج من الأنصار ، والمرهفات : السيوف المرقّقة ، والأرومة : الأصل. والضمير المضاف إليه يعود إلى الخزرجية ، والضمير فى « ذووها » يعود إلى مرهفات . وفى رواية : أبان ذوى أرومتها ذووها . فيكون المراد السيوف التى كتب عليها صانعوها أسماء أصحابها كما هى عادة ملوكهم . والشاهد فى قوله « صبحنا الخ » لأنه فى الأصل بمعنى التحية بالسلام صباحاً ، فاستعير لضربهم بالمرهفات على سبيل التهكم ، والقرينة نسبة « صبحنا » إلى « مرهفات » ..

(٢) انظر ص ١٠٧ ، والشاهد فى قوله « نقريهم لهذميات » وهى استعارة تهكمية أيضاً .

(٣) هو للقاسم بن على المعروف بالحريرى . وقوله « أقرى » مأخوذ من القِرى وهو طعام الضيف ، وروى « أَقْرِ » على أنه فعل أمر ، والحرون والشموس : بمعنى واحد وهو الذى لا ينقاد ، والشاهد فى قوله « وأقرى المسامع » استعير القِرَى لإلقاء البيان فى الآذان بقرينة نسبته إلى مفعوليه .

(٤) آية ٢١ سورة آل عمران ، التوبة : ٣٤ . (٥) ٢٠٤ - المفتاح .

(٦) الحزن : الأرض الغليظة ، وإيقاظاً : مفعول ثان لتقرى . استعار القِرَى لإحداث الرياح الإيقاظ فى الرياض بقرينة نسبته إلى الفاعل والمفعولين والمجرور جميعا ، والمعنى أنها تهزها عند هبوبها عليها إذا نامت أجفان الناس .

وفيه نظر[١] .

أقسام الاستعارة باعتبار الخارج :

وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام : أحدها **المطلقة** : وهى التى لم تقترن بصفة ولا تفريعِ كلام[٢] ، والمراد المعنوية لا النعت .

المجردة : وثانيها المجردة ، وهى التى قُرِنت بما يلائم المستعار له[٣] كقول كثيِّر :

غَمْرُ الرِّداء إذا تبسَّم ضاحكاً غَلِقتْ لضحْكته رقابُ المال[٤]

فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عِرْض صاحبه كما يصون الرداء ما يُلْقَى عليه ، ووصفَه بالغمر الذى هو وصفُ المعروف لا الرداء[٥] فنظر إلى المستعار له ، وعليه قوله تعالى : ﴿ فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوفْ ﴾[٦] حيث

---

(١) لأن المجرور وهو الأجفان لا يدخل في القرينة؛ لتعلقه مع جارِّه بقوله «سرى» لا بقوله « تقرى »، ولعله يعلقهما بـ «إيقاظا» .

(٢) يعنى أنها لم تقترن بصفة ولا تفريع يلائمان المستعار له أو المستعار منه لا مطلق صفة وتفريع ، والفرق بين الصفة والتفريع أن الملائم إن كان من بقية جملة الاستعارة فهو صفة ، وإن كان كلاماً مستقلا عنها فهو تفريع ، ومن الاستعارة المطلقة قول الشاعر :

فرعاءُ إنْ نهضتْ لحاجتها عجلَ القضيبُ وأبطأ الدِّعْصُ

(٣) يعنى أنها قرنت بصفة أو تفريع يلائمه ، ولا بد أن يكون ذلك زائداً على قرينتها ؛ لأن القرينة من جملة الاستعارة، وهى مما يلائم المستعار له ، فإذا لم يكن فيها مما يلائمها إلا القرينة فهى مطلقة ، والأول أوْلى بالقرينة وما بعدَهُ تجريد .

(٤) هو لكثير بن عبد الرحمان المعروف بكثير عزة ، والغمر : الكثير وهو إما مأخوذ من « غمر الماء » إذا كثر ، أو من قولهم « ثوب غامر » أى واسع ؛ فيكون تجريداً على الأول وترشيحاً على الثانى . وقوله « غلقت الخ » بمعنى تمكنت من أيدى السائلين ، يقال « غلق الرهن فى يد المرتهن » إذا لم يقدر الراهن على انفكاكه . وقوله « تبسم ضاحكا » قرينة الاستعارة ، وفى « رقاب المال » استعارة بالكناية .

(٥) هذا على أنه مأخوذ من « غمر الماء » كما سبق ؛ لأن المعروف يوصف بالكثير دون الرداء .

(٦) النحل : ١١٢ .

قال ﴿ أذاقها ﴾ ولم يقل كساها ؛ فإن المراد بالإذاقه إصابتهم بما استعير له اللباس[1] كأنه قال : فأصابها اللهُ بلباس الجوع والخوف[2] . قال الزمخشرى : « الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها؛ فيقولون «ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب » شبه ما يدرَكُ من أثر الضر والألم بما يدْركُ من طعم المرّ والبَشع[3] » . فإن قيل : الترشيح أبلغ من التجريد فهلاَّ قيل « فكساها الله لباس الجوع والخوف » ؟ قلنا : لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس ، فكان فى الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة . فإن قيل : لِمَ لمْ يقلْ « فأذاقها الله طعم الجوع والخوف » ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة فهو مفوّتٌ لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمَّ أثرهما جميع البدن عمومَ الملابس .

المرشحة : وثالثها المرشحة .

وهى التى قُرنتْ بما يلائم المستعار منه[4] كقوله :

ينازعُنى ردائى عبدُ عمْرٍو ... رُويْدك يا أخا عَمْرِو بن بكر

لِىَ الشَّطْرُ الذى ملكتْ يمينى ... ودونك فاعتجِرْ منه بِشَطْرِ[5]

---

(١) يريد بما استعير له اللباس : ما يغشى الإنسانَ من بعض الحوادث كالعذاب ونحوه .

(٢) على هذا تكون الإذاقة تجريداً .

(٣) يجوز أن يشبه ما يغشى الانسان من ذلك بمطعومٍ مرٍّ على طريق الاستعارة المكنية .

(٤) هذا قد يكون صفة وقد يكون تفريعاً كما سبق فى المجردة ، ولا بد أن يكون فى الاستعارة بالكناية الآتية زائداً على قرينتها ؛ لأن الأقسام الثلاثة تأتى فيها كما تأتى فى الاستعارة التصريحية .

(٥) رويد : مصدر نائب عن فعله بمعنى أمْهِلْ ، والشطر : النصف . وقوله « اعتجر» أمر من الاعتجار وهو الاهتمام . ويقالُ « اعتجرت المرأة » إذا لبست المعْجر وهو ثوب تشدُّه على رأسها ، والمراد بالشطر الذى ملكت يمينه : قائم السيف ، وبالشطر الآخر : صدره ، يعنى أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه .

فإنه استعــار الرداءَ للسيف لنحو ما سبق ، ووصفــه بالاعتجار الذى هو وصفُ الرداء ، فنظر إلى المستـعار منه ، وعليه قــوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشترَوُا الضلالة بالهـدى فما ربحتْ تجارتهمْ ﴾[1] فإنه استعار الاشتراء للاختيار وقـفَّاه بالربح والتـجارة اللذين هـما من مـتــعلِّقـاتِ الاشتـــراء ؛ فنظر إلى المستعار منه .

وقد يجتمع التجريد والترشيح ، كما فى قول زهير :

لَدَى أسدٍ شاكى السلاح مقذَّفٍ له لبَدٌ أظفـــارُه لم تُقَلَّمِ[2]

والترشيح أبلغ من التجريد[3] ؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسى التشبيه[4]حتى إنه يوضَعُ الكلام فى علوِّ المنزلة وضعَه فى علو المكان ، كما قال أبو تمام :

ويصعدُ حتى يظنّ الجَهولُ بأنَّ له حاجةً فى السماء[5]

---

(١) البقرة - ١٦ .

(٢) انظر ص ٩١ ، والاستـعارة فى قولـه « أسد » و « شاكى الســلاح » تجريد ، و«مقذف » تجريد إن كان بمعنى مقـذف فى الحروف، وإلا فليس بتجريد ولا ترشيح ، وما بعده إلى آخر البيت ترشيح .

(٣) هو أيضاً أبــلغ من الإطلاق ، ومن الجمع بين التـجريد والترشـيح ؛ لأنه فى حكم الإطلاق ، والإطلاق وما فى حكمه أبلغ من التجريد .

(٤) أى على كمــال تناسيه لأن الاسـتعارة كلهـا مبنيـة على تناسيه، لا التـرشيح وحده، ولو جعل الترشيح مبنياً على تناسى الاستعارة لكان أوْلى .

(٥) هو فى رثاء خالد بن يزيد الشيبانى ، وقبله :

فقد مات جَدُّك جَدّ المـلوك ونجمُ أبيك حديث الضياء

فما زال يقرع تلك العـــلا مـع النجم مرتدياً بالعماء

شبه ارتقاء منزلتـه بالصعود الحسِّىِّ ، ثم اشتق من الصعـود (يصعد) بمعنى ترتقى منزلته . والجهول : مبالغة فى الجاهل ، ولو ترك المبالغة فى ذلك لكان أليق بما يقصد من المبالغـة فى المدح ، ولعله يعنى أن الجهولَ هو الذى يظن ذلك ، أمــا غيره فيـعرف أنه لا حاجة له فيها لكمال غناه .

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمِّم على إنكاره فيجعله صاعداً فى السماء من حيث المسافة المكانية لَما كان لهذا الكلام وجهٌ.

وكما قال ابن الرومى :

يا آلَ نُوبَخْت لا عــدِمْتكمُ ولا تبدَّلْتُ بعــْدكم بــدلا[١]

إنْ صحَّ علمُ النجوم كان لكم حقاً إذا ما ســواكمُ انتحــلا[٢]

كم عالمٍ فيكمُ وليس بأنْ قاسَ ولكن بأنْ رَقَى فعَــلا[٣]

أعلاكُمُ فى السمــاء مجْدُكمُ فلستم تجهلونَ ما جهــلا

شافهتمُ البدْرَ بالسؤال عن الــ أمر إلى أن بلغْتمُ زُحَلا[٤]

وكما قال بشَّار :

أَتَتْنِى الشَّمْسُ زَائِرَةً ولَمْ تَكُ تَبْرَحُ الفَلَكَا[٥]

وكما قال أبو الطيب :

كبَّرتُ حول ديارهم لمَّا بدتْ منها الشُّموسُ وليس فيها المشْرِقُ[٦]

---

(١) الأبيـات لعلى بن العبـاس المعـروف بابن الرومى فى مـدح أبى سـهل النوبختى ،ولآل نوبخت شهرة بالفلك والنجوم والحكمـة ، وكان جدهم نوبخت منجما للمنصور .

(٢) قوله « انتحل » بمعنى ادَّعى لنفسه شيئاً هو لغيره .

(٣) يعنى بقوله « قاس »: أخذ علم النجوم بطريق القياس والمضاهاة والتخمين ، وقـوله « فعَل » مـعطوف على رقى ، والشـاهد فى قوله « رقي »، ومـا بعده من قـوله «أعلاكم فى السمـاء الخ » فقد استـعار فيه العلوَّ الحسى للارتفـاع فى المجد ، ثم تناسى التشبيه وبنى عليه أنهم أخذوا علم النجوم عن الكواكب بالمشافهة .

(٤) زحل : أعلى الكواكب السيَّارة .

(٥) هو لبشـار بن بردْ ، وقوله « تبـرح » بمعنى تفارق ، وقد اسـتعـار الشمس لمحبوبته، ثم تناسى التشبيه فبنى عليه قوله « ولم تك تبرح الفلكا » .

(٦) يعنى بقوله « كـبرت » قوله « الله أكبر » تعـجباً ، والشاهد فى أنه اسـتعار الشموس لمدوحيه ، ثم تناسى التشبيـه فتعجب من طلوعها من ديارهم بالمغرب مع أنها إنما تطلع من المشرق .

وكما قال غيره :

ولم أرَ قبلى مَن مشى البدرُ نحوَه ولا رجلاً قامت تعانقه الأُسْدُ (١)

ومن هذا الفن (٢) ما سبق من التعجب والنهى عنه (٣)، غير أن مذهب التعجب على عكس مذهب النهى عنه ؛ فإنِ مذهبه إثباتُ وصفٍ ممتنعٌ ثبوته للمستعار منه (٤) ،ومذهب النهى عنه إثباتُ خاصَّةٍ من خواص المستعارِ منه(٥) .

وإذا جاز البناء على المشبه به(٦)مع الاعتراف بالمشبه - كما فى قول العباس بن الأحنف :

هى الشمسُ مسْكنُها فى السماء فَعَزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا(٧)

فلن تستطيع إليها الصعودَ ولن تستطيع إليك النزولا

وقول سعيد بن حمَيد :

قلتُ: زورِى فأرْسلتْ: أنا آتيك سَحْرَةْ(٨)

---

(١) الحق أن هذا البيت لأبى الطيب أيضاً لا لغيره كما ذكر الخطيب ، وهو من قصيدة له فى مدح محمد بن سيَّار التميمى ، ورواية الديوان : البحر بدل البدر ، وقبله :

فلما رآنى مقبلاً هزَّ نفسه إلىَّ حسامٌ كلُّ صَفْحٍ له حَدُّ

والشاهد فى أنه استعار البدر والأسد لمدوحه ، ثم تناسى التشبيه فذكر أنه لم ير قبله مَن مشى البدر إليه وعانقته الأسد .

(٢) يريد بهذا الفن أسلوب البناء على تناسى التشبيه . (٣) انظر ص ٩٩ .

(٤) كإثبات التظليل للشمس فى البيتين السابقين هناك .

(٥) كإثبات بِلَى الغِلالة للقمر فى البيت السابق هناك ؛ فإنه من خواصه فلا يصح التعجب منه .

(٦) المراد بالبناء على المشبه به ذكر ما يلائمه ، وبالاعتراف بالمشبه ذكره وعدم ادعاء دخوله فى المشبه به ، والمقصود من هذا زيادة تقرير ما سبق من البناء على تناسى التشبيه .

(٧) قوله « فعز» بمعنى احمله على العزاء وهو الصبر ، والعزاء الجميل: هو الذى لا قلق معه ، يعنى أنها إذا كانت كذلك فلا فائدة فى طلبها ، والشاهد فى أنه شبه محبوبته بالشمس ثم بنى على هذا ما يلائم المشبه به وهو أن مسكنها فى السماء الخ .

(٨) السحرة : هى السَّحَر الأعلى ويكون قبيْل الصبح .

قلتُ فالليلُ كان أخفى وأدنى مسرَّه
فأجابت بحجَّة زادت القلبَ حسره
أنا شمسٌ وإنما تطلعُ الشمسُ بُكرَه(١)

فلأن يجوزُ مع جحده في الاستعارة أولى ·

ومن هذا الباب (٢) قول الفرزدق :

أبِي أحمدُ الغيثَيْن صَعْصعةُ الذى متى تُخْلفِ الجوْزاءَ والدَّلوُ يُمطرِ
أجارَ بناتَ الوائدين ومَن يُجِرْ على الموْتِ فاعلم أنه غير مُخْفرِ (٣)

ادَّعى لأبيه اسم الغيث ادّعاء مَن سُلِّمَ له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه متناولٌ له من طريق التشبيه ·

وكذا قول عديٍّ بن الرِّقاع يصف حمارين وحشيين :

يتعاوران من الغبار ملاءةً بيضاءَ محكَمةً هما نَسَجاها(٤)

---

(١) البكرة : أول النهار وهى ملابسة للسحرة التى وعدته بأنها تأتيه فيها ، ويجوز أن يكون مرادُها أنها تبتدىء الذهاب إليه سحرةً وتنتهى إليه بكرة ، والشاهد فى أنها شبهت نفسها بالشمس ثم بنت على هذا ما يلائم المشبه به وهو أنها إنما تطلع بكرةً ·

(٢) أى باب البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه ·

(٣) هما لهمَّام بن غالب المعروف بالفرزدق . وأحمد الغيثين : أحقهما بالحمد ، وهو خبر (أبى) ، وصعصعة : بدل أو بيان وهو جد الفرزدق ، والجوزاء والدلو : برجان فى السماء يكثر فيهما المطر ، وكان العرب إذا وافق سقوط النجم مطراً نسبوه إليه ، وقالوا : سُقينا بالنجم · وإذا أخطأهم المطر قالوا : أخطأنا النجم · والوائدون : اسم فاعل من الوأد وهو ما كانوا يفعلونه من قتل بناتهم خوف العار أو الفقر ، وكان صعصعة جد الفرزدق يشتريهن ويحميهن من الموت . والمخفر : اسم فاعل من أخفر بمعنى أزال الخفارة وهى اسمٌ من خفره بمعنى منعه وحماه ، والشاهد فى قوله « أبى أحمد الغيثين » لأنه يتضمن تشبيهه بالغيث ، وقد بنى على ذلك ما يلائم المشبه به وهو أنه يُمطر إذا أخلفت الجوزاء والدلو ·

(٤) قوله « بتعاوران » يتناوبان ·

تُطْوَى إذا ورَدا مكاناً مُحزناً   وإذا السنابك أسهلت نَشَراها[1]

● **المجاز المركب أو التمثيل :**

وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعْمَل فيما شُبِّه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل[2] للمبالغة فى التشبيه[3] ؛ أى تشبيه إحدى صورتين منتزَعتين من أمرين أو أمورٍ بالأخرى[4] ، ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه بها مبالغةً فى التشبيه ، فتُذكر بلفظها من غير تغيير بوجهٍ من الوجوه. كما كتب به الوليد بن يزيد[5] - لمَّا بويع - إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف فى البيعة

(١) قوله « تطوى » بمعنى تلفُّ فتزول عنهما ، والمكان المحزن : هو الذى تغلظ أرضه فلا يكون فيها غبار ، والسنابك جمع سنْبك: وهو طرف الحافر ، وقوله : « أسهلت » بمعنى وردت المكان السهل . والشاهد فى أنه شبه الغبار بالملاءة وهى ثوب معروف ، ثم بنى على ذلك ما يلائمها من النسج والطى و النشر .

(٢) هذا يفيد أن المجاز المركب لا يكون فى المجاز المرسل كما يكون فى الاستعارة ، والحق أنه يكون فى المرسل أيضاً ؛ ومن ذلك استعمال الخبر فى الإنشاء وبالعكس ، والعلاقة فيهما الضدِّية أو اللزوم ، كقول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دار ميَّ على البِلَى   ولا زال مُنهَلاً بجرْعائك القطْرُ

وقول الآخر :

ومن ذا الذى تُرضَى سجاياه كُلُّها   كفى المرء نبلاً أنْ تُعَدَّ معايبُه

(٣) يشير بهذا إلى اتحاد الغاية فى المجاز المفرد والمركب وهى المبالغة فى التشبيه ، ولا يقصد به الاحتراز عن شىء .

(٤) إنما فسر التعريف بهذا لدفع ما يوهمه قوله فيه - تشبيه التمثيل - من أن طرفى المجاز المركب قد يكونان مفردين ؛ لأن تشبيه التمثيل ما كان وجهه منتزعاً من متعدد ولو كان طرفاه مفردين ؛ كقول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريَّا لمنْ رأى   كعنْقود مُلاَّحيّة حين نوَّرا

(البيت قيل لقيس بن الخطيم ، وقيل لابن قيس بن الأسلت الأوسى - انظر أسررا البلاغة « ريتر » ص٨٤ ، ٨٥) .

فإذا قيل فيه على طريق الاستعارة « رأيت عنقود ملاحية فى السماء » كان هذا مجازاً مفرداً لا مركباً وإن كان أصله تشبيه تمثيل ، ولا وجه عندى للتفريق فى هذا بين التشبيه والاستعارة .

(٥) ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين أن هذا كان مع يزيد بن الوليد ، وهو الظاهر من تاريخ مروان معهما .

لـه : « أما بـعد فإنى أراك تـقدِّم رِجلاً وتـؤخِّر أخرى[1] فإذا أتاك كـتابى هذا فاعتمد على أيهما شئتَ ، والسلام » شـبَّه صورة تردده فى المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب فى أمر ، فتارةً يريد الذهاب فيقدِّم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى[2] ، وكـمـا يقـال لمن يعمـل فى غيـر مَعـمَل :« أراك تنفخ فى غـيـر فحم[3]وَتخُطُّ على الماء » والمعنى أنك فى فعلك كمن يفـعل ذلك . وكما يقال لمن يُعمِل الحيلة حتى يُميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه: « ما زال يفتل منه فى الذِّرْوة والغارب حتى بلـغ منه ما أراد » والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبـه رفقاً يشبـه حاله فيه حـال من يجىء إلى البعير الصـعب فيحكّه ، ويفتل الشـعر فى ذروته وغاربه[4] حتى يسـكن ويستأنس . وهذا فـى المعنى نظير قـولهم « فلان يقرِّدُ فلاناً » أى يتلطف به فعْل من ينزع القُراد[5] منْ البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت فـى مكانه حتى يتـمكن من أخذه . وكذا قـوله تعالى : ﴿ يأيـها الذين آمنوا لا تُقدِّمـوا بين يدى الله ورسوله ﴾[6] فإنه لما كان التـقدم بين يدى الرجل خارجاً عن صـفة المتابع له ، صار النهى عن التقـدم متعلقاً باليـدين ميلاً للنهى عن ترك الاتّبـاع . وكـذا قـولـه تـعـالى : ﴿ والأرضُ جمـيـعاً قـبْضتـهُ يوْم

---

(١) لم يرضوا هنا أن تُجرى هذه العبارة على ظاهرها وهو أنه يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً أخـرى ؛ لأنهم فهـموا ذلك على أنه يقـدِّم رجلاً إلى الأمـام ويؤخِّر أخرى إلى الـخلف ، وهذا لا يفـعله المتردد ، فتقـديرها عندهم أنه يقدم رجـلاً تارة ويؤخرها تارة أخرى ، وهذا عندى تقدير فـاسد لأن المتردد لا يفعله أيضـاً ، والحق هو التقدير الأول الذى يفيده ظاهر العبارة ، ولا يراد فيه بتـأخير الأخرى إرجاعها إلى الوراء ، وإنما يراد بذلك أنه يؤخرها عن الأولى فلا يقدِّمها معها .

(٢) ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ، وهكذا يقال فى سائر الأمثلة .

(٣) أى تنفخ ناراً فى غير فحم ، وهو بفتح الحاء : الجمر الطافئ .

(٤)الذروة : أعلى السنام ، والغـارب : ما بين السنام والعنق ، وقـد يطلق على الذروة.

(٥) هو دُويبةٌ كالقمل تتعلق بالبعير ونحوه .

(٦) الحجرات : ١ .

القيامة ﴾(١) إذ المعنى – والله أعلم – أن مَثَل الأرض فى تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مَثَل الشىء يكون فى قبضة الآخذ له منّا، والجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى : ﴿ والسماواتُ مطْويات بيمينه ﴾(٢) أى يخلق فيها صفة الطىّ حتى تُرَى كالكتاب المطْوِىّ بيمين الواحد منا ، وخصّ اليمينَ ليكون أعلى وأفخم للمثل ؛ لأنها أشرف اليدين وأقواهما والتى لا غناء للأخرى دونها؛ فلا يهشّ إنسانٌ لشىء إلا بدأ بيمينه فهيَّأها لنيله ، ومتى قُصِد جَعْلُ الشىء فى جهة العناية جُعل فى اليد اليمنى ، ومتى قُصِدَ خلاف ذلك جُعِلَ فى اليسرى ، كما قال ابن ميادة :

أَلمْ تَكُ فى يُمنَى يديك جعلتَنى فلا تجعلْنى بعدها فى شمالكا (٣)

أى كنتُ مكرمًا عندك فلا تجعلنى مهانًا ، وكنت فى المكان الشريف منك فلا تحطَّنى فى المنزل الوضيع . وكذا إذا قلتَ للمخلوق : « الأمر بيدك » أردتَ المثلَ؛ أى الأمر كالشىء يحصل فى يدك فلا يمتنع عليك. وكذا قوله تعالى : ﴿ ولما سكتَ عنْ موسى الغضبُ ﴾(٤) قال الزمخشرى : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له : قُلْ لقومك كذا وألْقِ الألواح وجُرَّ برأس أخيك إليك ، فتركَ النطق بذلك وقطع الإغراء(٥). ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كلٌّ ذى طبع سليم وذَوْق صحيح إلا لذلك ، ولأنه من قبيل شُعَب البلاغة(٦)، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرَّة ﴿ ولما سكنَ عن موسى

---

(١) الزمر ـ ٦٧ . (٢) الزمر ـ ٦٧ .

(٣) هو للرمَّاح بن ميادة . والاستفهام فى قوله « ألم تك » للتقرير ، والشاهد فى تشبيهه صورة إكرامه له بصورة من يجعل الشىء فى يمينه لإكرامه ، وفى تشبيهه صورة إهانته له بصورة من يجعل الشىء فى شماله لإهانته . (٤) الأعراف : ١٥٤ .

(٥) فشبهت الحالة الناشئة عن الغضب بالحالة الناشئة عن إغراء مغْر ، واستعيرت الحالة الثانية للأولى على طريق التمثيل. ويجوز إجراء الاستعارة فى « سكَت » بتشبيه سكون الغضب بالسكوت ، أو فى الغضب بتشبيهه بإنسان يسكت ، فتكون تصريحية تبعية أو مكنية .

(٦) يعنى أن حسن هذه الكلمة إنما أتى من كونها على طريق التمثيل ومن كون التمثيل من فروع البلاغة ؛ لأنه من الاستعارة وهى أبلغ من الحقيقة ، ويعنى بالبلاغة ما يرادف الفصاحة .

الغضبُ ﴾(١) لا تجد النفسُ عندها شيئًا من تلك الهزة ، وطرفًا من تلك الروعة(٢) . وأما قولهم « اعتصمت بحبله » فقال الزمخشرى أيضًا : يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، وأن يكونَ الحبلُ استعارةً لعهده، والاعتصامُ لوثوقه بالعهد أو ترشيحًا لاستعارة الحبل بما يناسبه(٣) . وكذا قول الشَّماخ :

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمجد ... تَلَقَّاها عَرابةُ باليمين(٤)

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقِّى واليمين، على حد قولهم : «تلقيته بكلتا اليدين » ولهذا لا تصلح حيث يُقْصَدُ التجوزُ فيها وحدها ؛ فلا يقال «هو عظيم اليمين » بمعنى عظيم القدرة ، ولا « عرفتُ يمينك على هذا » بمعنى : عرفت قدرتك عليه .

ومثله قول الآخر :

هوِّنْ عليك ؛ فإنَّ الأمورَ ... بكفِّ الإله مقاديرُها(٥)

وكذا ما روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « إن أحدكم إذا تصدَّق بالتمرة من الطَّيِّب - ولا يقبل الله إلا الطيب - جعل اللهُ ذلك فى كفه فيُرْبيها كما يُربى أحدكم فِلْوَه(٦) حتى يبلغ بالتمرة مثل أُحُد » والمعنى فيهما(٧) على انتزاع الشبه من المجموع .

---

(١) الأعراف : ١٥٤ .

(٢) فالسبب فى هذا هو خلوها من التمثيل ؛ لأن إسناد السكون إلى الغضب لا تمثيل فيه .

(٣) يعنى أن الاعتصام على أن الحبل استعارةٌ للعهد: إما أن يكون استعارة للوثوق أو ترشيحًا لاستعارة الحبل للعهد ، وكل ذلك من المجاز المفرد لا المركب .

(٤) هو للشماخ بن ضرار يمدح به عرابة الأوسى المذكور فى قوله قبله :

رأيت عرابةَ الأوسىَّ يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين

استعيرت هيئة تلقى الشىء باليمين لهيئة اقتداره على نيل المجد .

(٥) هو للأعور الشَّنِّى ، واسمه بِشْر بن منْقذ ، والمقادير : جمع مقدار الأمر أى مبلغه ، أو تقديره بخير أو شر . والشاهد فى قوله « بكف الإله مقاديرها » فإنه تمثيل أيضًا .

(٦) الفلو : الجحش والمهر فُطما أو بلغا السَّنة ، وقد استعير فى ذلك وضع الشىء فى الكف وتنميته لإجزال الله الثواب للمتصدق .

(٧) أى فى البيت والحديث .

وكلُّ هذا[١] يسمَّى التمـثيلَ على سبيل الاسـتعارة ، وقد يسمى التـمثيل مطلقًا ، ومـتى فشا اسـتعـماله كـذلك [٢] سُمِّىَ مَثَـلاً . ولـذلك لا تُغَيَّرُ الأمثال[٣] .

ومما يُبْنَى على التمثيل نحوُ قوله تعالى: ﴿ إنَّ فى ذلك لذكـرى لمنْ كان له قلبٌ ﴾[٤] معناه لمن كان له قلب ناظرٌ فيـما ينبغى أن يُنظَر فيه ، واعٍ لما يجب وعْيه ، ولكن عُدِل عن هذه العبارة ونحـوها إلى ما عليه التلاوة[٥] بقصد البناء على التمثيل ليفيد ضرباً من التخييل؛ وذلك أنه لـمَّـا كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغى أن يُنظر فيه ، ولا يفهم ولا يعى ، جُعل كأنه قد عَدِم القلب جملةً ، كما جُعل مَن لا ينتفع بسمعـه وبصره فلا يفكر فيما يؤدِّيان إليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا ألاَّ يقـال « فلان له قلب » إلا إذا كان ينتفع بقلبه فينظر فيما ينبغى أن ينظر فيه ويعى ما يجب وعْيه ، فكان فى قوله تعالى: ﴿ لمن كـان له قلب ﴾ تخيـيلُ أنَّ من لم ينتفـع بقلبه كـالعادم للقلب جـملةً ، بخلاف نحو قولنا « لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغى أن ينظر فيه، واعٍ لما يجب

(١) أى ما سبق من أمثلة المجاز المركب .

(٢) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال ، أى فشا اسـتعماله باقيًا على هيئته فى حال مورده من غير تغيير .

(٣) لأنها تستعـمل على سبيل الاستعارة ؛ فيجـب أن يبقى لفظُها على حاله من غير تغيير ، وتُجرَى الاستعارة فيها بأن تُشَبَّه صورة مضربها بصورة موردها ، ثم يستعار لفظـها لها ، وعلى هذا يـكون كل مثلٍ استعارةً، ولا عكس ، ومن أمثـالهم « أحشفًا وسوءَ كيلة؟! » يُضرب لمن يُظلم من جهتين ،وتشبه فـيه هيئةُ مَن يُظلَم من جهتين بهيئة رجل اشتـرى من آخر حشـفًا بتطفيفٍ فى الكيل فقـال له « أحشفًا وسـوء كيلة ! » ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

(٤) آية ٣٧ سورة ق .

(٥) بالاقتصار على قوله «لمن كان له قلب » دون وصفه بما ذكر .

وعيه »[١] وفى نَظم الآية فائدةٌ أخرى شريفة وهى تقليل اللفظ مع تكثير المعنى. ونقل الشيخ عبد القاهر[٢]عن بعض المفسرين أنه قال: « المراد بالقلب العقلُ » ، ثم شدَّد عليه النكير فى هذا التفسير ، وقال : « وإن كان المرجعُ فيما ذكرناه عند التحصيل إلى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنى على تخييل أن مَن لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعى بمنزلة من عَدِمَ قلبه جملةً[٣] ، كما تقول فى قول الرجل إذا قال : « قد غاب عنى قلبى ، أو ليس يحضرنى قلبى»، إنه يريد أن يخيِّل إلى السامع أنه غاب عنه قلبه بجملته ، دون أن يريد الإخبار أن عقله لم يكن هناك ، وإن كان المرجع عند التحصيل إلى ذلك ، وكذا إذا قال « لم أكن هناك » ، يريد غفلته عن الشىء ، فهو يضع كلامه على التخييل».

هذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق ؛ لأن المراد بالآية الحث على النظر والتقريع على تركه ، فإن أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى: لمن كان له عقل مطلقًا ، فهو ظاهر الفساد[٤] ، وإن أراد أن المعنى: لمن كان له عقل ينتفع به ويُعملهُ فيما خُلق له من النظر : فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيده عَرِىٌّ عن الفائدة؛ لصحة وصف القلب بذلك[٥] بدليل قوله تعالى : ﴿ لهمْ قلوبٌ لا يفقهون بها ﴾ [٦] .

واعلم أن المثل السائر لـمَّا كان فيه غرابة ، استُعير لفظة المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة[٧] . وهو فى القرآن كثير كقوله

---

(١) فهو لا يفيد فقد القلب من أصله ولا يخيله ؛ لأن الفقد فيه ينصبُّ على القيد دون المقيد وهو القلب .   (٢) ٤٠٩ - أسرار البلاغة، ١٩٨ دلائل الإعجاز .

(٣) فيفيد نفى العقل وآلته فى الجسم وهى القلب الذى هو محل الإدراك فى عرف الناس ، أما حمله على العقل فيفيد نفيه وحده دون آلته ، والأول أبلغ .

(٤) لأن المقصودين بذلك فى الآية ومن على شاكلتهم كانت لهم عقول ، ومع هذا لم يكن فى ذلك ذكرى لهم .

(٥) والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره لم يَجُزِ العدول عنه إلا لفائدة .

(٦) الأعراف - ١٧٩ .

(٧) استعارة لفظ (المثل) لذلك استعارة تصريحية مفردة وليست من التمثيل ،=

تعالى : ﴿مثلهُمْ كمثل الذى استَوْقد نارًا﴾[1] أى حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استَوْقَد نارًا · وكقوله تعالى : ﴿ ولله المثلُ الأعلى ﴾[2] أى الوصف الذى له شأنٌ من العظمة والجلالة ، وكقوله تعالى : ﴿ مثلُهم فى التَّوْراة ﴾[3] أى صفتهم وشأنهم الْمُتعجَّبُ منه[4] ،وكقوله تعالى : ﴿ مثلُ الْجنَّة التى وُعد المتقون ﴾[5] أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ فى بيان عجائبها[6] ، إلى غير ذلك ·

﴿ فصل ﴾

الاستعارة المكنية والتخييلية : قد يُضْمَر التشبيه فى النفس فلا يُصرَّح بشىء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويُدَلُّ عليه[7] بأنْ يُثْبَتَ للمشبه أمرٌ مختصٌ بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمرٌ ثابت حِسًّا أو عقلاً أُجْرِىَ عليه اسمُ ذلك

= وقد توجد مع هذا ضمن تمثيل كما فى الآية الأولى ، وإنما ذكر هنا استعارة لفظ المثل لمناسبة الكلام على استعارته فيما سبق ، على أنه مع هذا لم يخرج عن كونه كلامًا فى الاستعارة ·

(١) البقرة - ١٧ ·　　　(٢) النحل : ٦٠ ·

(٣) سورة الفتح - ٢٩ ·

(٤) هو ما بيَّنه بقوله ﴿ كزرْع أخرج شطأهُ فآزرهُ فاستغْلظ فاستْوى على سُوقه يعْجب الزُّرَّاع ليغيظ بهم الكفَّار ﴾ الآية ·

(٥) سورة محمد ﷺ آية ١٥ ·

(٦) أى فى قوله بعد هذا ﴿ فيها أنْهارٌ منْ ماء غيْر آسن وأنْهارٌ منْ لبن لم يتغير طعمه ﴾ الآية · هذا وكل كلام الخطيب فى هذا الفصل يدور على الاستعارة التصريحية ، أما الاستعارة المكنية والتخييلية فسيذكرهما فى الفصل الآتى ، ولا شك أنَّ ما مضى من الأقسام والأحكام لا يختصُّ كلُّه بالاستعارة التصريحية ؛ ولهذا جعل غيره تلك الأقسام للاستعارة من غير تقييد بتصريحية أو غيرها ·

(٧) أى على ذلك التشبيه المضمر فى النفس ، ويمتاز هذا التشبيه على التشبيه الاصطلاحى بما تمتاز به الاستعارة من المبالغة فى التشبيه ·

الأمر[1] فيسمى التشبيهُ استعارةً بالكناية، أو مكنيًا منها ، وإثْبات ذلك الأمر للمشبه استعارةً تخييلية[2] . والعَلَمُ[3] فى ذلك قول لبيد :

وغَـداةَ ريحٍ قد كشفتُ وقِرَّة　　إذ أصبحتْ بِيدِ الشمال زِمامُها[4]

فإنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حسًا أو عقلا تجرى اليد عليه؛ كإجراء الأسد على الرجل الشجاع ، والصراط على ملة الإسلام فيما سبق[5] ،ولكن لمَّا شَبَّه الشمالَ لتصريفها القرَّة - على حكم

---

(١) يعنى بهذا ألاَّ يكون فى المشبه أمرٌ حسى أو عقلى يُطْلَق عليه اسم الأمر المختص بالمشبه به ، وهذا على مذهبه فى أن قرينة المكنية لا تكون إلا تخييلية ، وسيأتى بيان الخلاف فى ذلك .

(٢) على هذا تكون الاستعارتان عنده أمرين معنويين غير داخلين فى تعريف المجاز ، وقد أفردهما فى هذا الفصل ليستوفى المعانى التى يُطْلَق عليها اسم الاستعارة بطريق الاشتراك اللفظى ، والمذاهب فى الاستعارتين ثلاثة : مذهب الخطيب ، السابق ، ومذهب القدماء ؛ وهو أن المكنية هى اسم المشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، وأن التخييلية هى إثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومذهب السكاكى؛ وهو أن المكنية هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادّعاء ، وأن التخييلية هى اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أُثبِتتْ للمشبه . والمكنية على مذهب القدماء والسكاكى داخلة فى المجاز اللغوى ، وكذلك التخييلية على مذهب السكاكى ، وقد قيل : إن التخييلية على مذهب القدماء والخطيب داخلة فى المجاز العقلى ، ولا يخفَى أن هذا إنما يصح عند الخطيب إذا كان لازمُ المشبه به فعلاً أو ما فى معناه ، كقولك « نطقت الحال بكذا » بخلاف نحو « أنشبت المنية أظفارها بفلان » . على أنه قد سبق أن المجاز العقلى لا يقوم على أساس التشبيه ، والتخييلية عند القدماء والخطيب تقوم على أساسه ؛ لأنها إثباتُ لازمِ المشبه به للمشبه ، فلا توجد إلا ومعها تشبيه قطعًا . وإنى أرى أن هذا الخلاف قليل الثمرة ؛ لأن الأمر فيه يرجع إلى توجيه الاستعارتين فقط ، وكلها توجيهات محتملة .

(٣) أى المثال المشهور شهرة العلم .

(٤) هو للبيد بن ربيعة العامرى . والواو فى قوله « وغداة » واو رُبَّ ، والقرة : البرد ، والشمال : أبرد الرياح ، يفتخر بأنه يمنع عادية البرد عن الناس بإطعامهم وإيقاد النار لهم ؛ لأن ذلك وقت الجدب عندهم .

(٥) فى الاستعارة التحقيقية وهى التصريحية .

طبيعتها فى التصريف - بالإنسان المصرِّف لما زمامُه بيده؛ أثبت لها يدًا على سبيل التخييل مبالغةً فى تشبيهها به ، وحُكمُ الزمام فى استعارته للقرة[1] حُكم اليد فى استعارتها للشمال ، فجعل للقرة زمامًا ليكون أتمَّ فى إثباتها مصرَّفة ، كما جعل للشمال يدًا ليكون أبلغ فى إثباتها مصرِّفة ، فوفَّى المبالغة حقَّها من الطرفين؛ فالضمير فى « أصبحت وزمامها » للقرة ، وهو قول الزمخشرى ، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة [2] . والأول أظهر .

واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه، منه ما لا يكمل وجهُ الشبه فى المشبه به بدونه ، كما فى قول أبى ذؤيبٍ الهذلىِّ :

وإذا المنيَّةُ أنْشبتْ أظْفارَها ... ألفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ [3]

فإنه شبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفَّاعٍ وضرَّار ولا رقَّةٍ لمرحومٍ ، ولا بُقْيا على ذى فضيلة ، فأثبت للمنية الأظفار التى لا يكمل ذلك فى السبع بدونها ؛ تحقيقًا للمبالغة فى التشبيه [4] .

ومنه ما به يكون قوامُ وجه الشبه فى المشبه به ، كما فى قول الآخر :

ولئن نطقتُ بشكر بِرِّك مُفْصِحاً ... فلسانُ حالى بالشكايَةِ أنطَقُ [5]

---

(١) أى بعد تشبيهها بالمطيَّة وحذف المشبه به؛ ففى هذا استعارة مكنية وتخييلية أيضًا .
(٢) ٥٢ - أسرار البلاغة .

(٣) المنية : الموت ، وقوله « أنشبت » بمعنى علقت ، وقوله « ألفيت » بمعنى وجدت ، والتميمة : خرزةٌ يجعلونها معاذةً من العين والجن ، وأبو ذؤيب : هو خويلد بن خالد .

(٤) إنما كانت الأظفار مكملة لذلك لأنه يمكن حصوله بالأنياب ونحوها .

(٥) هو لمحمد بن عبد الله العتبى ، والبر : المعروف ، وقوله « فلسان حالى الخ » قائم مقام جواب الشرط ، وتقديره : فإن لسان مقالى لا يكون أقوى من لسان حالى ، وهذا لأن ضره أكثر من بره . وقبل البيت:

لاَ تَحسَبَنَّ بَشاشتى لك عن رضا ... فوحق فضلك إننى أتملقُ

فإنه شبه الحالَ الدالة على المقصود بإنسان متكلم فى الدلالة؛ فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الإنسان [1] .

وأما قول زهير :

صحا القلبُ عن سَلْمَى وأقْصَرَ باطِلُهْ   وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبا ورواحلُهْ [2]

فيحتمل أن يكون استعارةً تخييلية وأن يكون استعارة تحقيقية ؛ أما التخييل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أوانَ المحبة من الجهل والغيِّ ، وأعرض عن معاودته؛ فتعطلت آلاتُه كأىِّ أمرٍ وطَّنْتَ النفسَ على تركه؛ فإنه تُهْمل آلاتهُ فتتعطل ، فشبَّه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأُهْمِلَتْ آلاتها فتعطلتْ [3] ، فأثبت له الأفراس والرواحل [4] ؛ فالصبا على هذا من الصَّبْوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوَّة لا بمعنى الفتاء [5] . وأما التحقيق فأن يكون أراد بالأفراس والرواحل دواعى النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات ، أو الأسباب التى قلَّما تتآخذ فى اتباع الغيِّ إلا أوان الصبا [6] .

---

(١) يجوز أن يكون قوله « لسان حالى » من إضافة المشبه به إلى المشبه ، فيكون تشبيهًا لا استعارة .

(٢) هو لزهير بن أبى سلمى ، وقوله « صحا » هو فى الأصل بمعنى الإفاقة من سكرٍ ونحوه ، وهو مستعار هنا للسلوّ وزوال العشق ، وقوله « أقصر » بمعنى امتنع عن قدرةٍ . وفى العبارة قلبٌ والأصل : وأقصر عن باطله ، ويجوز أن يكون معناه مطلق الامتناع فلا يكون فى العبارة قلب . والرواحل : جمع راحلة وهى القوىُّ من الإبل على الأحمال والأسفار .

(٣) هذا التشبيه استعارة مكنية .   (٤) إثبات ذلك له استعارة تخييلية .

(٥) المراد بالفتوة : استيفاء اللذات ، وبالفتاء : زمن الشباب .

(٦) هذه الأسباب كالمال والأعوان ، والتحقيق على إرادتها حسى ، وعلى إرادة دواعى النفوس عقلى ، والاستعارة عليهما تحقيقية تصريحية ، والصبا فيهما من الصباء بمعنى الفتاء لا من الصبوة ؛ لأنها هى الدواعى المرادة من الأفراس ، فلا تصح إضافته إليها ، وعلى هذا لا يكون فى ذلك استعارة مكنية ولا تخييلية؛ لأنهما متلازمتان عند الخطيب ، وقد جوَّز الزمخشرى أن تكون قرينة المكنية استعارة =

﴿ فصل ﴾

اعتراضات على السكاكى :

اعلم أن كلام السكاكى فى هذا الباب - أعنى باب الحقيقة والمجاز والفصل الذى يليه - مخالف لمواضع مما ذكرنا ؛ فلا بدَّ من التعرض لها ولبيان ما فيها .

اعتراض عليه فى تعريف الحقيقة والمجاز : منها أنه عَرَّف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تأويل فى الوضع[1] وقال : إنما ذكرتُ هذا القيد يعنى قوله « من غير تأويل فى الوضع » ليُحترز به عن الاستعارة؛ ففى الاستعارة تُعَدُّ الكلمة مستعملة فيما هى موضوعة له على أصحّ القولين[2] ، ولا نسميها حقيقةً بل نسميها مجازًا لغويًا ؛ لبناء دعوى المستعار موضوعًا للمستعار له على ضَرْبٍ من التأويل كما مرَّ[3] .

ثم عرَّف المجازَ اللغوى بالكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له

= تحقيقية ، كما فى قوله تعالى : ﴿ الذين ينْقضون عهْد الله ﴾ ى ٢٧ - س البقرة - فقد شبه العهد بالحبل على طريق الاستعارة المكنية ، ثم استعير النقض وهو قرينتها لإبطال العهد على طريق الاستعارة التحقيقية التصريحية ، وعلى هذا يصح اجتماع المكنية والتصريحية فى (أفراس الصبا) .

هذا ولا يفوتنى فى هذا الفصل أن أشير إلى أن عبد القاهر فى شرح بيت لبيد : « وغداة ريح . . . البيت » لم يذكر إلا أن إثبات اليد للشمال تخييل ، ولم يتعرض بعده لاستعارة بالكناية ولا غيرها ، وإنى أرى أن تقدير التخييل فى ذلك ونحوه يغنى عن تقدير الاستعارة المكنية .

(١) ١٩١ - المفتاح .

(٢) هو القول بأنها مجاز لغوى ، فيجب عليه الاحتراز عنها لكونها مستعملة فى غير معناها الحقيقى . وأما على القول بأنها مجاز عقلى فلفظها يكون مستعملاً فى معناه الحقيقى ؛ فلا يصح الاحتراز عنها ، وعلى هذا يكون قوله « على أصح القولين » متعلقًا بقوله « ليحترز » أو باستعارة ، وكان الأولى ذكره بعدهما كما جاء فى التلخيص .

(٣) يريد بالتأويل دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

بالتحقيق استعمالاً فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها [١] مع قرينة مانعة عن إرادة معناها فى ذلك النوع[٢] وقال : قولى « بالتحقيق » احترازٌ عنْ ألاَّ تخرج الاستعارة[٣] التى هى من باب المجاز نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هى موضوعة له على ما مرَّ . وقوله « استعمالا فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها » بمنزلة قولنا فى تعريف المجاز« فى اصطلاح به التخاطب » على ما مر ، وقوله « مع قرينة الخ » احتراز عن الكناية كما تقدم .

وفيهما نظر ؛ لأن لفظ الوضع وما يشتقُّ منه إذا أطْلِقَ لا يُفْهمُ منه الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق؛ لما سبق من تفسير الوضع ، فلا حاجة إلى تقييد الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفى تعريف المجاز بالتحقيق ، اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تتميم الحدِّ ، ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لا بدَّ منه فى تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ « الصلاة » إذا استعملها المُخاطِبُ بعرف الشرع فى الدعاء مجازًا ، فلا بد منه فى تعريف الحقيقة أيضًا ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله فى تعريفها . لا يقال : قوله فى تعريفها: « من غير تأويل فى الوضع » أغنى عن هذا القيد ؛ فإن استعمال اللفظ فيما وُضع له فى غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويلٍ فى وضعه ؛ لأن التأويل[٤] فى الوضع يكون فى الاستعارة على أحد القولين[٥] دون سائر

---

(١) فإذا كانت الحقيقة لغوية تكون الكلمة مستعملة فى غير معناها اللغوى ، فتكون مجازًا لغويًا ، وإذا كانت شرعية تكون الكلمةُ مستعملةً فى غير معناها الشرعى فتكون مجازًا شرعيًا ، وهكذا .

(٢) ١٩٢ – المفتاح .

(٣) هذه العبارة فاسدة ؛ لأن الاحتراز بذلك عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها؛ فقوله « بالتحقيق » قيد للإدخال لا للإخراج. ، ويجوز تقدير اللام أى لئلا تخرج فتصحّ العبارة .

(٤) تعليل للنفى فى قوله « لا يقال الخ » .

(٥) هو القول بأنها مجاز لغوى ، والتأويل عليه بمعنى دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

أقسام المجاز[1] ، ولذلك قال: « وإنما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة» . ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم[2] .

الاعتراض عليه فى جعل التمثيل من المجاز المفرد : ومنها أنه قسَّمَ المجاز إلى الاستعارة وغيرها[3] وعرَّف الاستعارة بأن تذكُرَ أحد طرفى التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدَّعيًا دخول المشبه فى جنس المشبه به[4] ، وقسَّم الاستعارة إلى المُصرَّح بها والمكْنِيِّ عنها ، وعنَى بالمصرح بها أن يكون المذكور من طرفى التشبيه هو المشبه به[5] وجعلها ثلاثة أضرب : تحقيقية ، وتخييلية ، ومحتملة للتحقيق والتخييل[6] » . وفسَّر التحقيقية بما مَرَّ[7] وعَدَّ التمثيل على سبيل الاستعارة منها . **وفيه نظر** ؛ لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركبًا كما سبق ، فكيف يكون قسمًا من المجاز المفرد ؟ ! ولو لم يقيِّد الاستعارةَ بالإفراد وعرَّفها بالمجاز الذى أريد به ما شُبِّهَ بمعناه الأصلى مبالغةً فى التشبيه دخل كلٌّ من التحقيقية والتمثيل فى تعريف الاستعارة[8] .

الاعتراض عليه فى تعريف التخييلية : ومنها أنه فسَّر التخييلية بما استُعْمِلَ فى صورة وهمية مَحضة قدِّرتْ مُشابهةً لصورة محقَّقة هى معناه؛ كلفظ الأظفار فى قول الهُذلى[9] ؛ فإنه لمَّا شبه المنيَّة بالسبع فى الاغتيال على

---

(١) فالذى يخرج به عن تعريف الحقيقة هو الاستعارة دون غيرها من أقسام المجاز فلا بدَّ حينئذ من ذلك القيد معه .

(٢) لأنه لم يذكر فيه قيدَ « على وجه يصح » وهو الذى يخرج به الغلط كما سبق فى تعريف الخطيب للمجاز .

(٣) ١٩٤ - المفتاح . (٤) ١٩٦ - المفتاح .

(٥) ١٩٨ - المفتاح .

(٦) يعنى بالمحتملة للتحقيق والتخييل نحو ما سبق من بيت زهير فى ص١٣٥ .

(٧) فى ص ٩٠ .

(٨) أى ولم يعترض عليه بذلك ، وقد أجيب عن ذلك الاعتراض بأن القسْم قد يكون أعم من مقسَّمه ، كما فى تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره .

(٩) قد سبق فى ص ١٣٤ .

ما تقدم ، أخذ الوهمُ فى تصويرها بصورته واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوامُ اغتياله للنفوس به · فاخترع للمنية صورةً مشابهة لصورة الأظفار المحقَّقة ، فأطلق عليها اسمها[١] · **وفيه نظر** ؛ لأن تفسير التخييلية بما ذكره بعيد؛ لما فيه من التعسف[٢] ، وأيضًا فظاهر تفسير غيره لها بقولهم : « جعل الشىء للشىء كجعل لبيد[٣] للشمال يدًا » يخالفه لاقتضاء تفسيره أن يجْعلُ للشمال صورة متوهَّمَةً مثل صورة اليد لا أن يجعل لها يداً ؛ فإطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة ، وعلى تفسير غيره حقيقة ، والاستعارة إثباتها للشمال ، كما قلنا فى المجاز العقلى الذى فيه المسندُ حقيقةٌ لغوية[٤] وأيضًا فيلزمه أن يقول بمثل ذلك - أعنى بإثبات صورة متوهمة - فى ترشيح الاستعارة[٥]؛ لأن كل واحد من التخييلية والترشيح فيه إثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه ، غير أن التعبير عن المشبه فى التخييلية بلفظه الموضوع له، وفى الترشيح بغير لفظه[٦]، وهذا لا يفيد فرقًا ، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضربًا من التخييلية ، وليس كذلك[٧]· وأيضًا فتفسيره للتخييلية أعم من أن تكون تابعة

(١) المفتاح - ٢٠٠ ·

(٢) باشتماله على تلك الاعتبارات الكثيرة من تقدير الصورة الخيالية ، ثم تشبيهها بالمحققة ، ثم استعارة لفظها لها ، وهى اعتبارات لا دليل فى الكلام عليها ولا تدعو حاجةٌ إليها ·

(٣) انظر ص ١٣٣ ·

(٤) نحو « أنبت الربيع البقل » ·

(٥) كما فى قولك « رأيت أسداً يحارب له لبد » فهو يعنى ترشيح الاستعارة التصريحية ·

(٦) هو لفظ المشبه به كما هو شأن الاستعارة التصريحية ·

(٧) لأن التخييل خاص بالمكنية ، والترشيح خاص بالتصريحية والمجاز المرسل ، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن الترشيح للمبالغة فى الاستعارة والتخييل لحصولها ، ولا شك أن ما يقوِّى الشىءَ الحاصل يجدر به أن يسمَّى ترشيحًا ، وأنَّ ما لا تُعْلَم الاستعارة إلا به يجدر به أن يسمى استعارة · وقد قيل : إن الترشيح يأتى فى المكنية أيضًا ، =

للاستعارة بالكناية كما فى بيت الهُذلىِّ (١) أو غير تابعة بأن يُتخيَّل ابتداءً صورةٌ وهمية مشابهة لصورة محققة فيستعار لها اسم الصورة المحققة ، والثانية بعيدة جدًا ، ويدل على إرادته دخولَ الثانية فى تفسير التخييلية أنه قال(٢) : حُسْنُها بحسب حُسْن المكنىِّ عنها متى كانت تابعة لها ، كما فى قولك « فلان بين أنياب المنية ومخالبها » وقلَّما تحسن الحسنَ البليغ غير تابعة لها ، ولذلك استُهجنت فى قول الطائى :

لا تسْقِنى ماءَ الملامِ فإننى صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائى (٣)

فإن قيل : لِمَ لا يجوز أن يريد بغير التابعة للمكنى عنها التابعةَ لغير المكنى عنها ؟ قلنا : غير المكنى عنها هى المصرَّح بها؛ فتكون التابعة لها ترشيحَ الاستعارة ، وهو من أحسن وجوه البلاغة ، فكيف يصح استهجانه ؟ وأما قول أبى تمام فليس له فيه دليل ؛ لجواز أن يكون أبو تمام شبَّه الملام بظرْف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملوم ، كما أن الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخييلية فى قوله تابعةً للمكنى عنها ، أو بالماء نفسه(٤) لأن اللوم قد يُسكِّنَ حرارة الغرام كما أن الماء يسكن

= كقولك : « أظفار المنية نشبت بفلان فافترسته » فالافتراس ترشيح فى هذه الاستعارة وهى مكنية لا تصريحية .

(١) قد سبق فى ص ١٣٤ .

(٢) ٢٠٦ - المفتاح .

(٣) هو لأبى تمام ، والملام : اللوم والعتاب ، والصب : العاشق وذو الولع الشديد . وقوله « استعذبت » من استعذب الشىء بمعنى وجده عذبًا ، والشاهد فى قوله « ماء الملام » لأنه تخييلية غير تابعة للمكنية ، وسيوجهه الخطيب بعدُ . وقد حكى أن رجلًا جاء أبا تمام بقصعة وقال : أعطنى قليلًا من ماء الملام . فقال أبو تمام : لا أعطيكه حتى تأتينى بريشة من جناح الذل . فأفحم الرجل . والحق أنه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام ؛ لأن الطائر إذا وهن بسطَ جناحه وخفضه وألقى نفسه على الأرض ، وبهذا حسن جعلُ الجناح للذل لما بينهما من المناسبة .

(٤) معطوف على قوله : بظرف الشراب .

غليلَ الأُوام ، فيكون تشبيهًا على حد « لُجَيْن الماء » فيما مرَّ [1] لا استعارةً. والاستهجان على الوجهين[2] لأنه كان ينبغي له أن يشبهه بظرف شراب مكروه أو بشراب مكروه[3] ، ولهذا لم يستْهجنْ نحو قولهم : أغلظت لفلان القول ، وجرَّعته منه كأسًا مُرَّةً ، أو سقيته أمرَّ من العلْقم[4] .

الاعتراض عليه فى تعريف المكنية : ومنها أنه عنى بالاستعارة المكنىِّ عنها أن يكون المذكور من طرفَي التشبيه هو المشبه[5] على أن المراد بالمنيَّة فى قول الهُذلِيِّ [6] السَّبعُ بادِّعاء السَّبُعية لها وإنكار أن تكون شيئًا غير السبع بقرينة إضافة الأظفار إليها[7] . **وفيه نظر** ؛ للقطع بأن المراد بالمنية فى البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ، فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق ، وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شيء من الاستعارات مستعملاً كذلك ، وأما ما ذكره فى تفسير قوله : « مِن أنّا ندَّعى ههنا أن اسم المنية اسمٌ للسبع ، مرادفٌ للفظ السبع بارتكاب تأويل ، وهو أن ندخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخييل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين، فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح[8] بلفظ المنية» فلا يفيده؛ لأن ذلك لا يقتضى كون اسم

---

(١) انظر ص ٦٧ .

(٢) يعنى أن قول أبى تمام مستهجن على هذين الوجهين أيضًا ؛ وهما أن يكون تخييلية تابعة للمكنية ، وأن يكون تشبيهًا لا استعارة .

(٣) أى لا بظرف شراب مطلقًا ، كما فى الوجه الأول ، ولا بالماء كما فى الوجه الثانى ؛ لأن الملام مكروه فيجب فى استعارة شيء له أو تشبيهه به أن يكون مكروهًا ؛ لوجوب المناسبة بين الطرفين فى الاستعارة والتشبيه .

(٤) لأنه شبه فيه القول المكروه بظرف شراب مكروه أو بمشروب مكروه .

(٥) فى هذه العبارة تساهل ؛ لأن المكنية عند السكاكى هى لفظ المشبه لا كونه هو المذكور من طرفى التشبيه .

(٦) قد سبق فى ص ١٣٤ .   (٧) ٢٠١ - المفتاح .

(٨) يعنى أن التصريح بلفظها ينافى دعوى دخولها فى جنس السبع ؛ لأن الذى يناسبه عدم التصريح بها وإطلاق لفظ السبع عليها ، ولكن بعد تخييل تلك المرادفة تزول تلك المنافاة لأن لفظ المنية يصير كلفظ السبع .

المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل ، فيدخل فى تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز[1] وكأنه - لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه[2] وعلى أحد نوعى المجاز اللغوى الذى هو اللفظ المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلى[3] ويقولون : الاستعارة تنافى ذكر طرفى التشبيه - ظن أن مرادهم بلفظ «الاستعارة» عند الإطلاق وفى قولهم «استعارة بالكناية» معنى واحد[4] ، فبنى على ذلك ما تقدم[5] .

الاعتراض عليه فى رد التبعية إلى المكنية : ومنها أنه قال فى آخر فصل الاستعارة التَّبعيَّة : « هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب فى هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا - فى قولهم « نطقت الحال بكذا » - الحال التى ذكرُها عندهم قرينةُ الاستعارة بالتصريح [6] استعارةً بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مُقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم فى قوله :

وإذا الـمَنِيَّةُ أنشبتْ أظفـارَها[7]

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ، ويجعلون إثبات الأظفار لها قرينةَ الاستعارة . وهكذا لو جعلوا البخل[8] استعارةً بالكناية عن حَىّ أُبطلتْ حياته بسيف أو غير سيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة

(١) لأن ادعاء السبعية لها لا يخرجها عن حقيقتها كما هو شأن الادعاء فى كل شىء، وحينئذ يكون لفظها لا يزال مستعملا فى حقيقته مع ذلك الادّعاء .

(٢) هو الاستعارة المكنية . (٣) هو الاستعارة التصريحية .

(٤) هو اللفظ المستعمل فى غير معناه الأصلى لعلاقة التشبيه .

(٥) من تعريفه الاستعارة بالكناية بأنها لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به بادعاء دخوله فيه .

(٦) هى الاستعارة التصريحية التبعية فى - نطقت .

(٧) قد سبق هذا البيت فى ص ١٣٤ . (٨) أى فى البيت السابق فى ص١١٨

الاستعارة ، ولو جعلوا أيضًا اللَّهـذَمِيَّات[1] استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على سبيل التهكم ، وجعلوا نسبة لفظ (القرَى) إليها قرينة الاستعارة - لكان أقرب إلى الضبط[2]. هذا لفظه[3]، **وفيه نظر** ؛ لأن التبعية التى جعلها قرينة لقرينتها التى جعلها استعارة بالكناية ، كنطقت فى قولنا: «نطقت الحال بكذا » لا يجوز أن يقدّرها حقيقةً حينئذ ؛ لأنه لو قدَّرها حقيقةً لم تكن استعارة تخييلية؛ لأن الاستعارة التخييلية عنده مجاز كما مرَّ، ولو لم تكن تخييلية لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخييلية ، واللازم باطل بالاتفاق[4] ؛ فيتعين أن يقدّرها مجازًا ، وإذا قدرها مجازًا لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة لكون العلاقة بين المعنيين هى المشابهة ، فلا يكون ما ذهب إليه مغنيًا عن قسمة الاستعارة إلى أصلية وتبعية ، ولكن يستفاد مما ذكر ردُّ التركيب فى التبعية[5] إلى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها[6] وتصير التبعية حقيقةً واستعارة تخييلية ؛ لما سبق أن التخييلية على ما فسرناها[7] حقيقةٌ لا مجاز .

---

(١) أى فى البيت السابق فى ص ١١٩ .

(٢) يعنى بالضبط أن تكون أقسام الاستعارة قليلة غير منتشرة .

(٣) ٢٠٤ - المفتاح.

(٤) دعوى الاتفاق فى هذا غير صحيحة ؛ لأن الزمخشرى كما سبق يجوِّز أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقيقية ، والسكاكى أيضًا لم يرد عنه نص قاطع فى استلزام المكنية للتخييلية ، بل اضطرب فى هذا كلامه هنا وفى المجاز العقلى .

(٥) يعنى بالتبعية: التصريحية التبعية فى نحو (نطقت) من قولهم « نطقت الحال بكذا »، ويعنى بالتركيب فيها: تركيبها مع قرينتها وهى الحال ، ويعنى بِرَدِّ ذلك إلى تركيب الاستعارة بالكناية: أن يُجعل استعارة بالكناية وقرينةً لها .

(٦) من أنها التشبيه المضمر فى النفس .

(٧) من أنها إثباتُ لازمِ المشبه به للمشبه ، ومراده من كل هذا على تعقيده أن السكاكى لو كان يرى فى المكنية والتخييلية ما يراه الخطيب لأمكنه ردَّ التبعية إليهما ولم يَرِدْ عليه ذلك الاعتراض ؛ لأن التخييلية على قول الخطيب حقيقةٌ لا مجاز ، ولكن يبقى أن رد التبعية إلى المكنية إنما يكمن فيما قرينتها لفظية لا حالية كما فى قوله تعالى: ﴿ لعلكم تتقون ﴾ آية ٢١ سورة البقرة .

فصـــــل

شروط حسن الاستعارة : وإذْ قد عرفتَ معنى الاستعــارة التحقيقية والاستعارة التخـييلية ، والاستعارة بالكناية ، والتمثيل على سـبيل الاستعارة ، فاعلم أنَّ لحسنهــا شــروطاً إن لــم تصادفها عــريتْ عن الحسن ، وربما تكتـسب قبحًا. وهى **فى كل من التحقيقية والتمثيل**(١): رعايةُ ما سبق ذكره من جهات حُسن التشبيه(٢) ، وألاَّ يُشمَّ من جـهــة اللفظ رائحته(٣)، ولذلــك يُوصَّى فيه أن يكون الشبــه بين طرفيهــا جليّا بنفسـه أو عُرْفٍ أو غيره(٤) وإلا صــار تعمــيةً وإلغازًا

---

(١) يريد بالتحقيقية: الاستعارة التـصريحية ، وبالتمثيل : المجاز المركب على ما سبـق له .

(٢) هو أن يكون وجه الشبه ظاهر الشمــول للطرفين وافيًا بإفادة ما علق عليه من الغرض ونحــو ذلك ، وإنما اعتبــر فى ذلك ظهور الشــمول لأن أصله شرط فى صــحة التشبيه لا فى حسنه ، ومن الاستعارة القبيحة لفقد ذلك الشرط قول الشاعر :

وذات هِدْمٍ عارٍ نواشرُها تُصْمت بالماء توْلبا جدعا

سمَّى الصبىَّ تولبـاً وهو ولد الحمار ، فهى استـعارة بعيدة فاحشــة وجدعًا: سيئ الغذاء .

(٣) هذا يكون بذكــر المشبــه على وجـه لا ينبىء عن التـشبـيه ، فــلا تبطل به الاستعارة ولكنها تكون قبيحة ، كما فى قول الشاعر :

لا تعجبوا من بِلى غِلالته قد زرَّ أزْرارهُ على القمر

فإنه ذكر فيه ضمير المشبه وهو المحبوب على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، وإنما قيد شم ذلك بأن يكون من جــهــة اللفظ لأن الاستــعــارة يشم منهــا ذلك فى المعنى قطعًا، ويجب أن يراعى فى الاستعــارة مناسبتها لحال الزمان والمكــان ، ولهذا يقول العرب إذا فسد ما بين الصــديقين: « يبس الثرى ما بين الصديقين » ويقول غيــرهــم: « جمد الثلج بين الصديقين» فيراعى كل منهما حال مكانهما .

(٤) جلاؤه بنفسه كما فى تشبيه القدِّ بالغصن فى الاعتدال ؛ لأنه يدرك بالحس ، وجلاؤه بالعرف كما فــى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ؛ لأن الأسد مــعروف بالشجاعة وإنما كان هذا الشرط متــرتبا على ما قبله لأنه إذا لم تشم رائحة التشبــيه من جهة اللفظ كان فى ذلك نوع خفــاء فيــه ، فلا يصح أن يضــم إليــه خفاء وجه الشبــه ، ولــكن=

لا استعارة وتمثيلا ، كما إذا قيل « رأيت أسداً » وأريدَ إنسانٌ أبخر ، وكما إذا قيل « رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة » وأريد الناس[١] ، أو قيل « رأيت عوداً مستقيماً أوان الغرس » وأريد إنسان مؤدبٌ فى صباه ، وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان فى كل ما يجيء فيه التشبيه .

ومما يتصل بهذا[٢] أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل لم يَحْسُن التشبيه وتعينت الاستعارة[٣]، وذلك كالنور إذا شُبِّه العلْمُ به، والظلمة إذا شُبِهتْ الشُّبهةُ بها، فإنه لذلك يقول الرجل إذا فهم المسألة : «حصل فى قلبى نور» ولا يقول «كأن نوراً حصل فى قلبى»[٤] ويقول لمن أوقعه فى شبهة :«أوقعتنى فى ظلمة» ولا يقول « كأنك أوقعتنى فى ظلمة» .

وكذا المكنىُّ عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه[٥] وأما التخييلية فحسنُها بحسب حسن المكنى عنها ، لما بيَّنا أنها لا تكون إلا تابعة لها .

= استحسان جلاء الشبه يجب أن يكون بحيث لا يصير به إلى حد الابتذال ، لما سبق من تفضيل الشبه الغريب على المبتذَل .

(١) هذا المثال مأخوذ من حديث سبق فى ص ٥٨ ، ولكن الخفاء فيه من جهة عدم ذكر القرينة لا من جهة خفاء الشبه .

(٢) أى المذكور من أنه إذا خفى الشبه لم تحسن الاستعارة ، والاتصال بينهما على وجه التقابل ، وقيل أيضاً : إن هذا كالاستثناء من الشرط الأول لعدم حسن التشبيه فيما سيذكره مع حسن الاستعارة فيه .

(٣) يعنى بتعينها استحسانها؛لأن التشبيه يجوز فى هذا مع حسن الاستعارة فيه .

(٤) مثل هذا قد يقبل ، وإنما الذى لا يقبل أن يقال « حصل فى قلبى علم كالنور» وكذا ما بعده .

(٥) مما استهجن من أجل هذا قول أبى نواس :

بحَّ صوتُ المال ممَّا منك يشكو ويصيح

لأنه لا مناسبة بين طرفى الاستعارة ، وهو يريد أن المال يتظلم من إهانته له بالتمزيق والعطاء ، فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح ، والمقبول فى ذلك قول مسلم بن الوليد :

تَظَلَّمَ المال والأعداءُ من يده لا زال للمال والأعداء ظلاَّما

وإنما لم يشترط فى المكنية ألاّ يشم رائحة التشبيه لفظًا لأنَ من لوازمها ذكر لازم المشبه به فيشم به رائحة التشبيه لفظا .

فصـــــل

المجاز بالحذف والزيادة : واعلم أن الكلمة كما توصفُ بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلى كـما مضى؛ توصف به أيـضًا لنقلها عن إعـرابها الأصلى إلى غيره لحذف لفظ أو زيـادة لفظ؛ أما الحذف فكقوله تعالى: ﴿واسأل القرْية﴾[1] أى أهل القرية[2] ؛ فـإعراب القـرية فى الأصل هو الجر ، فـحُذِف المضـاف وأعْطى المضاف إليـه إعرابه ، ونحوه قوله تعـالى: ﴿ وجاءَ ربُّك ﴾[3] أى أمْرُ ربك [4] وكذا قولهم « بنو فلان يطؤهـم الطريق » أى أهل الطريق .

وأما الزيادة فكقوله تعـالى :﴿ ليس كمثْله شىءٌ ﴾[5] على القول بزيادة الكاف[6] أى ليس مـثله شىء ، فـإعـراب (مـثله) فـى الأصل هو النصب ، فزيدت الكاف ، فصار جرّاً .

فإن كـان الحـذفُ أو الزيادة لا يوجب تغييـر الإعراب - كمـا فى قوله تعالى :﴿ أو كصيِّـبٍ من السماءِ ﴾[7] إذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحذفَ « ذوى » لدلالة ﴿ يجعلون أصابعهـُمْ فى آذانهمْ ﴾ عليه . وحذف « مثل » لما دل عليه عطفه على قوله ﴿ كمثل الذى استوقد ناراً ﴾؛ إذ لا يخفى أن التشبيه

---

(١) آية ٨٢ سورة يوسف .

(٢) لأن السؤال إنما يتوجه إليهم ، وإذا جعلت القرية مجازًا عن أهلها؛ كان مجاز مرسلاً من إطلاق اسم المحلّ على الحالّ .

(٣) آية ٢٢ سورةسورة الفجر .

(٤) لأن المجىء مستحيل عليه تعالى بخلاف أمـره ؛ لأنه يجوز إسناد المجىءِ إلى الأمر على سبيل المجاز العـقلى ، بل قيل : إنه صـار فى مـثـل هذا حقيـقة عرفية ؛ كقولهم - جاء أمر السلطان، ونحوه .

(٥) آية ١١ سورة الشورى .

(٦) قيل: إنها أصلية لأن لفظ مثل قد يكنى به عـما يضاف إليه؛ كقولهم : مثلك لا يبخل .

(٧) آية ١٩ سورة البقرة .

ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب [1] ، وكقوله: ﴿فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم﴾[2] وقوله: ﴿لئلاَّ يعْلم أهلُ الكتاب﴾[3] فلا توصف الكلمة بالمجاز .

إنكار المجاز بالحذف والزيادة :

وقد بالغ الشيخ عبد القاهر فى النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة [4] .

* * *

(١) وإنما هو بين صفة المنافقين العجيبة أى مثلهم ومثل ذوى صيب .

(٢) آية ١٥٩ سورة آل عمران . وقد قسم الغزالى المجاز إلى أربعة عشر قسمًا ، وجعل هذا من قسم الزيادة فى الكلام بغير فائدة ، وقد رد عليه ابن الأثير بأنه لا مجاز فيه ، وبأن « ما » ليست بزائدة ؛ لأنها لتفخيم الأمر ، وهى محض الفصاحة .

(٣) آية ٢٩ سورة الحديد .

(٤) ٤٥٠ ـ ٤٦٣ : أسرار البلاغة ؛ فالمجاز عنده خاص بنقل الكلمة عن معناها الأصلى إلى غيره ، وقال السكاكى : رأيى أن يقال هو مشبه للمجاز وملحق به لاشتراكهما فى التعدى عن الأصل ، وقد جعله ابن الأثير من المجاز بمعنى التوسع فى الكلام .

تمرينات على المجاز المرسل والاستعارة

تمرين – ١

(١) بين ما فيه مجاز مرسل، وما فيه استعارة من هذين البيتين :

من يزرع الشَّرَّ يحصد فى عواقبه   ندامةً ولِحَصـــدِ الزرع إبَّانُ
ولم يبْقَ سوى العُـــــدوا   ن دِنَّـــــاهُمْ كما دانوا

(٢) ما نوع الاستعارة وما قرينتها فى قول الشاعر :

إذا ما الدْهرُ جرَّ على أناسٍ   كَلاكِلَهُ أناخ بآخَرينــــا

تمرين – ٢

(١) وردت « دما » فيما يأتى مجازاً مرسلًا واستعارة ؛ فبيِّنهما :

فتًى كلّما فاضـــت عيونُ قبيلة   دمًا ضحكتْ عنه الأحاديثُ والذِّكرُ
أكلتُ دماً إن لـــم أرُعْك بِضُرَّةٍ   بعيدة مهْوَى القُرْطِ طَيِّبَة النـَّشْرْ

(٢) كيف تجرى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فى قول الشاعر :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ   لهُ عن عدوٍّ فى ثياب صديق

تمرين – ٣

(١) كيف جرت الاستعارة فى العَلَم من قول الشاعر :

لقــد حان توديعُ العميد وإنـــهُ   حقيــقٌ بتشييع المحبِّين والعـــدا
فَلِمَ لا نرى الأهرامَ يا نيلُ ميَّدا   وفرعونُ عن واديك مرتحلٌ غـــدا

(٢) كيف تجرى الاستعارة التمثيلية فى قولــه تعالى ﴿ إنَّا عرضْنا الأمانة على السَّماوات والأرْض والجبال فــأبيْن أنْ يحمْلنها وأشْفقْن منْها ﴾ آية ٧٢ س الأحزاب .

تمرين – ٤

بيِّن الاستعارة المطلقة والمرشحة والمجردة فى الأبيات الآتية :

(١) رمتنى بسهم ريشه الكحْل لم يضر   ظواهر جلْد وهو للقلب جارح
(٢) إنَّ التَّبـــاعد   لا   يضــــرُّ   إذا تـــقاربـــتِ القـــلوبْ
(٣) إذا انتضل القول الأحاديث لم يكنْ   عَيِـيًا ولا ربًا على من يقــاعد

تمرين – ٥

(١) لماذا قبحت الاستعارة في قول الشاعر :

بلوناك أمّا كعبُ عِرْضك في العُلا　　فعالٍ وأمَّا خَدُّ مالك أسفل

(٢) لماذا كان المجاز المرسل في هذا البيت غير مفيد :

فبتنا جلوســًا لدى مهْرنا　　ننزع من شفتيه الصفارا

(٣) لماذا استحسنت الاستعارة التخييلية في قوله تعالى : ﴿ واخفضْ لهما جناح الذلّ ﴾ آية ٢٤ سورة الإسراء ، واستهجنت في قول أبي تمام :

لا تَســـــقنى ماءَ الملام فإنَّنى　　صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائى

تمرين – ٦

(١) وازن بين الاستعارتين في قول الشاعر :

سالتْ عليه شعابُ الحيّ حين دعا　　أنصـــــــاره بوجوهٍ كالدَّنانير

وقول الآخر :

أخذنا بأطراف الأحـــاديث بيننا　　وســـالتْ بأعناق المطيّ الأباطح

(٢) ما هي علاقة المجاز المرسل في قول الشاعر :

فهمْتُ الكتابَ أبرَّ الكتبْ　　فسمعًا لأمر أمير العربْ

(٣) لماذا عِيب على أبي تمام قوله :

يا دهرُ قوِّم مِن أخدعيك فقدْ　　أضججتَ هذا الأنام مِن خرَقكْ

* * *

الباب الثالث: القـــول فى الكـــناية

تعـريف الكناية : الكناية لفظ أريد به لازم مـعناه مع جواز إرادة مـعناه حينئذ[١] كقـولك « فلان طويل النِّجـاد » أى طويل القامـة ، وَ « فلانة نؤومُ الضحى » أى مـرفهةٌ مخـدومة غير مـحتاجـة إلى السعى بنفسهـا فى إصلاح المهمـات ؛ وذلك أن وقت الضحـى وقت سعى نسـاء العرب فى أمـر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه فى تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها؛ فلا تنام فيه من نسائهم إلا مَن تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك . ولا يمتنع أن يُراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل[٢]؛ فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجـه؛ أى من جهة إرادة المعنى[٣] مع إرادة لازمه ؛ فإن المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح فى نحـو قولك « فى الحمام أسد » أن تريد معنى الأسد من غير تأوُّل ؛ لأن المجاز ملزوم قرينة مـعاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معـاند الشىء معاندٌ لذلك الشىء[٤]، وفرَّق السكاكى وغيره بينهمـا بوجه آخـر أيضًا [٥] وهو أن مبْنى الكناية على الانتـقال من اللازم إلى

---

(١) لازم المعنى : وهو المقصـود يقال له معنى كنائى ، وملزومه : يقـال له معنى حقيقى ، وجـواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية بالنظر إلى ذاتها ، وقـد تمتنع إرادته فيها لعارض يمنع من إرادته؛ كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كمثله شَىْءٌ ﴾ آية ١١ سورة الشورى على القول بأن الكاف أصلية وأنه يفيد نفى المثلية بطريق الكناية ، فلا يصح إرادة المعنى الحقيقى فيه ؛ لأنه يفيد ثبوت المثل له تعالى .

(٢) يريد بالتأويل صرف اللفظ عن حقيقته .

(٣) أى جواز إرادته لأنه يجوز عدم إرادته .

(٤) جرى الخطيـب فى هذا على المشهـور من أن الكناية قسم آخـر غير الحـقيـقة والمجاز ، وقـيل : إن الكناية لفظ مستـعمل فى معناه الحـقيقى لينتـقل منـــه إلى المعنى المجازىّ ، وعلى هذا تكون الكناية قـسماً من الحـقيقة ، وقـيل : إن الكناية تارةً يراد بها المعنى المجازى لدلالة المعنى الحقـيقى عليه فتكون مجازًا ، وتارةً يراد بهـا المعنى الحقيقى ليدل به على المعنى المجازى فتكون حقيقة ، والخلاف فى مثل هذا لا طائل تحته .

(٥) ٢١٣ - المفتاح .

الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم. وفيه نظر ؛ لأن اللازم ما لم يكن ملزومًا يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم[1] فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم . ولو قيل : اللزوم من الطرفين من خواصِّ الكناية دون المجاز ، أو شرط لها دونه ، اندفع هذا الاعتراض ، لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط [2] .

أقسام الكناية : ثم الكناية ثلاثة أقسام : لأن المطلوب بها إمَّا غير صفة ولا نسبة ، أو صفة ، أو نسبة . والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت .

١ - المطلوب بها غير صفة ولا نسبة :

الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة[3] : فمنها ما هو معنى واحد ، كقولنا « المضياف » كنايةً عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب :

الضاربين بكلِّ أبيضَ مِخْذَم والطاعنين مجامعَ الأضغان[4]

---

(١) لأن اللازم قد يكون أعمَّ من الملزوم؛ كلزوم الحيوان للإنسان ، ولا دلالة للعامِّ على الخاصِّ .

(٢) أى منع اختصاص الكناية بكون اللزوم فيها من الطرفين ، واشتراط ذلك فيها دون المجاز ؛ لأنه لا يشترط ذلك فيها كما لا يشترط فيه؛ لأن لازم المعنى الحقيقى فيهما قد يكون أعمَّ منهَ ، وقد قيل : إنه لا خلاف بين الخطيب والسكاكى إلا فى التسمية؛ لأنهما متفقان على أن ذهن السامع لقولنا « كثير الرماد » ينتقل من كثرة الرماد إلى الكرم ولكن السكاكى يسمى كثرة الرماد لازمًا ، والخطيب يسميه ملزومًا ، وإنى أرى أن مثل هذا الخلاف لا يصح الاشتغال به فى علم البيان .

هذا ومن أغراض الكناية أنها تقدم لك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وأنها تبرز المعقول فى صورة المحسوس ، وأنه يُحترز بها عمّا لا يليق التعبير به ، إلى غير هذا من أغراضها .

(٣) أى ولا نسبة صفة لموصوف بأن يكون المطلوب بها موصوفًا ، ولو « قال الأولى المطلوب بها الموصوف » لكان أحسن .

(٤) هو لعمرو بن معديكرب، ورواية الموازنة « والضاربين »، والمخذم: القاطع =

ونحوه قول البحترى في قصيدته التي يذكر فيها قتله الذئب :

فأتبعتُها أخرى فأضللْتُ نَصْلَهَـــا بحيث يكون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحقْدُ[١]

فقوله « بحيث يكون اللب والرعب والحقد » ثلاث كنايات لا كناية واحدة ؛ لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود[٢].

ومنها ما هو مجموعُ معانٍ ، كقولنا كناية عن الإنسان: « حَيٌّ مستوى القامة عريض الأظفار »[٣] .

وشرطُ كل واحدة منهما[٤] أن تكون مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ، ليحصل الانتقال منها إليه، وجعل السكاكى الأولى قريبة والثانية بعيدة[٥] . وفيه نظر[٦] .

= من السيوف ، والأضغان : جمع ضِغْن وهو الحقد ، ومجامع الأضغان : القلوب . وبهذا تكون كناية عن موصوف ، وقد قيل : إن المجامع جمع مجمع وهو اسم مكان مشتق من الجمع ، فيكون إطلاقه على القلب حقيقةً لا كناية . وأجيب بأن هذا اللفظ لم يُرَدْ منه الذات الموصوفة بالصفة كسائر المشتقات ، وإنما أريد منه الذات فقط على سبيل الكناية ؛ لأن الطعن لا يكون إلا فيها وحدها .

(١) قوله « أضللت » بمعنى غيبت . والنصل : حديدة الرمح والسهم .

(٢) لأن تقدير الكلام بحيث يكون اللب ، وبحيث يكون الرعب ، وبحيث يكون الحقد ، والمكنى عنه واحد فيها كلها وهو القلب ، وهو قريب من قول عمرو: «والطاعنين مجامع الأضغان» ولكن قول عمرو فى غاية الجودة ، لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب .

(٣) لا داعى إلى تقسيم هذا القسم إلى قسمين إلا الرغبة فى تكثير الأقسام .

(٤) أى من هاتين الكنايتين ، ولا وجه لاشتراط ذلك فيهما بخصوصهما لوجوب ذلك فى كل كناية ؛ لأنه لا دلالة للأعم على الأخص ، على أن هذا الشرط مستغنًى عنه بما سبق فى تعريف الكناية من أن الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم لأن الملزوم لا بد أن يكون مختصًا باللازم المكنى عنه .

(٥) ٢١٤ - المفتاح .

(٦) لأن دلالة الوصف الواحد على الشىء ليست أقرب من دلالة مجموع أوصاف عليه ، بل ربما يكون الأمر بالعكس ؛ لأن التفصيل أوضح من الإجمال . =

٢ - **المطلوب بها صفة** : الثانية المطلوب بها صفة[١] ؛وهي ضربان : قريبة وبعيدة . **القريبة** ما ينْتقلُ منها إلى المطلوب بها لا بواسطة ، وهي إمَّا **واضحة** ، كقولهم كناية عن طويل القامة: « طويلٌ نجادهُ ، وطويلُ النجاد » والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجةٌ ، والثانى كناية مشتملة على تصريح ما لتضمُّن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأوَّل[٢] .ومنها قول الحماسى :

أبتِ الرَّوادفُ والثَّدىُّ لِقُمْصها   مسَّ البطون وأن تمسَّ ظُهُورا [٣]

وإمَّا خفيَّة؛ كقولهم كنايةً عن الأبله : « عريض القفا » فإن عُرضْ القفا وعظم الرأس إذا أفرط - فيما يقال - دليل الغباوة[٤]؛ ألا ترى إلى قول طرفة ابن العبد :

= ومن الكناية عن الموصوف قوله تعالى ﴿ وحَملناهُ على ذات ألواح ودسرٍ ﴾ آية ١٣ سورة القمر- وقول الشاعر :

تقول التى مِن بينها خفَّ مَحْملى   عزيزٌ علينا أن نراك تسيرُ

(١) بأن تكون نسبة الصفة إلى موصوفها معلومة ، فتكون الصفة نفسها هى المطلوبة من صفة أخرى يكنى بها عنها للاعتناء بها والمبالغة فيها .

(٢) لأن « نجاده » فاعل فيه ، أما فاعل « طويل » فى الثانى فهو ضمير الموصوف ، ولهذا تقول « الزيدان طويلا النجاد ، والزيدون طوال النجاد ،وهند طويلة النجاد » بالتثنية والجمع والتأنيث لأجل تحمله ذلك الضمير ، ولا شك أن هذا فيه نوع تصريح بثبوت الطول له ، وإنما لم يجعل تصريحًا خالصًا للقطع بأن الصفة فى المعنى صفة للمضاف إليه وهو النجاد ، واعتبار الضمير إنما هو لأجل أمر لفظى ، وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها ، وإنى أرى أنه لا فرق من جهة الكناية بين المثالين ؛ لأنه لا يصح أن يكون لهذا الاعتبار اللفظى تأثير فى معنى الكناية .

(٣) الروادف : جمع رادفة وهى الكفلُ والعجُزُ . والثدى : جمع ثدْى ، وإباء الروادف لقمصها مس الظهور: كناية عن كبرها وضمور خصرها، وكذا إباء الثدى لها مس البطون .

(٤) خفاء الكناية فى ذلك بالنظر إلى أول سماعها ، ولا يؤثر فى ذلك ظهورها بعده ، ومن ذلك قول بعضهم فى الكناية عن العذرة :

أراد أبوك أمَّك يوم زُفَّتْ   فلم يوجدْ لأمك بنتُ سعْد

أنا الرجل الضرْبُ الذى تعرفونهُ   خشاشٌ كرأس الحيَّة المتوقِّد[1]

والبعيدة: ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كنايةً عن الأبله : « عريض الوسادة » فإنه ينتقل من عرْض الوسادة إلى عُرض القفا ، ومنه إلى المقصود ، وقد جعله السكاكى من القريبة على أنه كناية عن عرض القفا ، وفيه نظر[2] . وكقولهم « كثير الرماد » كناية عن المضياف ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ،ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الأكَلَة ، ومنها إلى كثرة الضيفان ، ومنها إلى المقصود . وكقوله :

وما يَكُ فىَّ من عيب فإنى   جبانُ الكلب مهْزولُ الفصيل[3]

فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير فى وجه من يدنو من دار من هو بمرْصدٍ لأن يعسَّ دونها مع كون الهرير فى وجه من لا يعرفه طبيعيًا له إلى استمرار تأديبه ؛ لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن ذلك إلى استمرار موجب نُباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهًا إثر وجوه ، ومن ذلك إلى كونه مقْصد أدانٍ وأقاصٍ ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قِرىَ الأضياف . وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأمِّ ، ومنه إلى قوة الداعى إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المُتليات ، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ ، ومنها إلى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نُصيْبٍ :

لِعبْد العزيز على قوْمه   وغيرهِم مننٌ ظاهرهْ[4]

---

(١) الضرب : الخفيف اللحم ، والخشاش : الصغير الرأس وهو كناية عن ذكائه، والشاهد فى جعله ذلك دليل الذكاء ، فيكون مقابله وهو عُرض القفا وعظم الرأس دليل الغباوة .

(٢) لأنه لا يقصد من ذلك الكناية عن عرض القفا ، وإنما يقصد منه الكناية عن البلهِ .

(٣) الفصيل : ولد الناقة . وهزاله بحرمانه من لبنها بنحرها أو بإيثار الضيفان به، يعنى أنه لا عيب فيه إلا ذلك ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٤) الأبيات لنصيب بن رباح فى مدح عبد العزيز بن مروان ، والمنن : جمع منة وهى النعمة .

فبابُك أسْـــــهَلُ أبوابهـــم ودارُكَ مأهـــولةٌ عامره[1]
وكلبُـــــكَ آنَسُ بالزائرين من الأمِّ بالابنــــة الزَّائره

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر، إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً ، ومنه إلى لزومهم سُدَّتَهُ ، ومنه إلى تسنِّي مباغيهمْ لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاصِّ والعامِّ ، وهو المقصود .

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

يكادُ إذا ما أبْصر الضَّيْفَ مقْبِلاً يكلِّمه مِن حبه وهو أعجم[2]

ومنه قوله :

لا أُمْتِعُ العوذَ بالفصــــال ولا أبتاع إلاَّ قريبة الأجـــــل[3]

فإنه ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها ، أو لا يُبقى العوذ إبقاءً على فصالها[4] ، وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ، ومن نحرها إلى أنه مضياف .

ومن لطيف هذا القِسْم[5] قوله تعالى: ﴿ ولَمَّا سُقِط فى أيديهمْ ﴾[6] أى

---

(١) المأهولة : الدار التى فيها أهلها، وكذلك العامرة؛ فهى صفة مؤكدة لما قبلها، وإنما خصَّ الابنة الزائرة لأن عطف الأم عليه أكثر .

(٢) هو لابراهيم بن هرمة . ورواية البيان والتبيين : « تراه إذا ما أبصر الضيف كلبُه » . والضمير فى « يكاد » للكلب ، والأعجم : الذى لا يتكلم ، والشاهد فى كنايته بحب الكلب للضيف عن جود صاحبه ، وزيادة اللطف فيه ناشئة من المبالغة فى محاولة الكلب أن يكلمه .

(٣) هو لإبراهيم بن هرمة أيضًا ، والعوذ : جمع عائذ وهى الناقة الحديثة النتاج ، والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة .

(٤) الفرق بين التقديرين أن النحر فى الأول للفصال وفى الثانى للنوق .

(٥) يعنى قسم الكناية المطلوب بها صفة .

ووجه اللطف فيما سيذكره ما فيه من الدقة والغرابة ، سواء أكان بعيدًا أم قريبًا .

(٦) الأعراف - ١٤٩ .

ولما اشتد نـدمهم وحسرتهم على عـبادة العجل ؛ لأن من شأن مَن اشـتد ندمه وحسرته أن يعضَّ يده غمًا ، فتصير يده مسقوطًا فيها لأن فاهُ قد وقع فيها .

وكذا قول أبى الطيب كناية عن الكذب :

تشتكى ما اشتكيتُ من ألم الشَّوْ ق إليها والشوقُ حيثُ النُّحولُ (١)

وكذا قوله :

إلى كمْ تَرُدُّ الرُّسْل عمَّا أتوْا لـه كأنهمُ فيمـــا وهبْتَ مَلامُ (٢)

فإنَّ أوَّله كنايةٌ عن الشجاعة ، وآخِرُه كنايةٌ عن السماحة .

وكذا قول أبى تمام :

فإنْ أنا لم يحمدك عنِّىَ صـــاغِرًا عدوُّك فاعلمْ أننى غيرُ حامد (٣)

يريد بحمده عنه حِفظَه مـدحه فيه وإنشاده ، أى إن لم أكن أجـيد القول فى مدحك حـتى يدعو حسنُه عدوَّك أن يحـفظه ويلهج به صاغرًا؛ فـلا تعدّنى حـامدًا لك بما أقـول فـيك ، ووصفـه بالصَّغـار لأن من يحـفظ مـديح عـدوه وينشـده فقد أذل نفسه ، فكنَى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن إجادته القول فى مـدحـه(٤) .

---

(١) الضمير فى - تـشتكى - لمحبوبته ، والنحولة : دقـة الجســـــم من مرض ونحوه . يقول : إنهـا تشتكى من ألم الشوق مثل شكواه ، ولكنهـا كاذبة فى شكواها لأنه لا نحول فيها . فقوله « والشوق حيث النحول » كناية عن كذبها .

(٢) هو لأبى الطيب أيضًا فـى مدح سـيف الدولة ، والمـراد بالرسل رسل ملك الروم فى طلب الصلح ، يقول : إنه يردهم كمـا يرد الملام عنه بما يهب من ماله ، وقد انتقل من ردّهم إلى عدم اعتداده بهم ، ومن عدم اعتـداده بهم إلى شجاعته ، وقد مدحه بالشجاعة على وجه اسـتتبع مدحه بالسماحة ،وهذا من الاسـتتباع الآتى فى علم البديع ، وقوله « فيما وهبت » متعلق بملام .

(٣) الصاغر : اسم فاعل من الصغار وهو الذلة .

(٤) قد كنى قبل هذا بحمده له عن حفظه لمدحه له ؛ فالكناية فيه بواسطة .

وكذا قول من يصف راعى إبل أو غنم :

ضعيفُ العصا بادِى العروق ترى لَهُ   عليها إذا ما أجدب النَّاسُ إصْبعا[١]

وقول الآخر :

صُلْبُ العصا بالضَّرب قد دمَّاها[٢]

أى جعلها كـالدُّمَى فى الحسن . والغرض[٣] من قول الأول « ضـعيف العصـا » وقول الثـانى « صلب العصـا » وهما وإن كـانا فى الظاهر متـضادَّين فإنهما كنايتان عن شىء واحد ، وهو حـسن الرِّعْية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فـأراد الأول أنه رفيق مشفق عليـها لا يقصد من حـمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخيَّر ما لانَ من العصا ، وأراد الثانى أنه جيد الضبط لها عارف بسيـاستها فى الرَّعْى ، يزجرها عن المراعى التى لا تُحمد ويتوخى بها ما تسـمن عليه ، ويتضمن أيضًا أنه يمنعها عن الـتـشرد والتبدد ، وأنها لِـما عرفت من شـدة شكيمته وقوة عزيمته تنساق فى الجهة التى يريدها ،

---

(١) هو لعبيد بن حصين المعروف بالراعى من قصيدة له مطلعها :

بَنِى وابش إنَّا هوينا جوارَكم   وما جمعتنا نيةٌ قبلها معًا

وبادى العروق : ظـاهرها لقلة اللحم فى جسـمه ، والمراد بالإصبـع الأثر الحسن على سبيل المجاز المرسل .

(٢) هو من قول أبى العلاء بن سليمان فى الإبل :

صُلْب العصا بالضَّربْ قد دمَّاها   تَوَدُّ أنَّ اللهَ قد أفناها

إذا أرادتْ رَشَـداً أغْواهـا   مَحالُه من رقّه إيَّاها

والضرب يطلق على الضـرب بالعصا وعلى السيـر فى الأرض ، وقوله « أفناها » بمعنى أهلكها من شـدته عليها ، والرشد : نبت تأكله الإبل ، وقـوله « أغواها » بمعنى أطعمها الغـوىَّ وهو نبات آخر تأكله ، ومحاله : فاعل أغوى واحـده محالة وهى الحذق والقدرة فى التصرف .

(٣) مبـتدأ بمعنى المقصـود ، وخبره (ضـعيف العصـا) ، يعنى أن ذلك محل الشاهد .

وقوله « بالضرب قد دمّاها » تورية حسنة[١] ويؤكد أمرها قوله « صلب العصا » .

٣ - **المطلوب بها نسبة**: الثالثة المطلوب بها نسبة[٢] كقول زياد الأعجم :

إنَّ السَّماحة والمروءةَ والنَّدى ... في قُبةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحشرج[٣]

فإنه حين أراد ألاَّ يُصَرِّح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها فى قبة تنبيهًا بذلك على أن محلَّها ذو قبة ، وجعلها مضروبةً عليه لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية[٤] . ونظيره قولهم: « المجد بين ثوبيه، والكرَمُ بين بُردَيْه».

قال السكاكى[٥] : «وقد يظن هذا من قسم « زيد طويل نجاده »[٦] وليس بذاك ؛ فطويل نجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تصريح بإثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كما نعْرف قائم مقام طول القامة ، فإذا صُرِّح مِنْ بعدُ بإثبات النجاد لزيد بالإضافة كان ذلك تصريحاً بإثبات الطول لزيد[٧] ، فتأمل .

(١) لأنه يحتمل معنى قريبًا وهو أن يضربها فيسيل دمها ، ومعنًى بعيداً وهو جعلها كالدمى ، والمراد هو المعنى البعيد كما سبق . والتورية من المحسنات البديعية الآتية فى علم البديع ، وإنما أكد أمرها قوله « صلب العصا » لأنه يناسب المعنى القريب كما سيأتى فى الكلام عليها .

(٢)بأن يصرِّح بالصفة ويقصد بإثباتها لشيء الكناية عن إثباتها للموصوف بها.

(٣) هو لزياد بن سليمان مولى عبد القيس ، وكان ألكن فلقب بالأعجم . والسماحة : الجود ، والمروءة : النخوة وكمال الرجولة ، والندى : الجود والفضل والخير، والقبة : ما كان فوق الخيمة في العظم والاتساع وهى خاصة بالرؤساء ، وابن الحشرج : هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابُور.

(٤) لأن هذه الصفات لا تقوم بنفسها ولا بتلك القبة من حيث ذاتها ؛ فتعين أن تقوم به .

(٥) ٢١٦ ـــ المفتاح .

(٦) فيكون من الكناية المطلوب بها صفة مثله .

(٧) فتكون الصفة هى المكنى عنها فيه لا النسبة ، أما قولهم « المجد بين ثوبيه » فهو عكسه فى ذلك ، فلا يكون مثله .

وكقول الآخر :

والمجْـدُ يدعو أن يدوم لجيده عِقدٌ مَساعى ابْنِ العميد نظامُهُ [(١)]

فإنه شبه المجد بإنسان بديع الجمال فى ميل النفوس إليه ، وأثبت له جيدًا على سبيل الاستعارة التخييلية ، ثم أثبت لجيده عقدًا ترشيحًا للاستعارة، ثم خَصَّ مساعى ابن العميد بأنها نظامه ، فنبَّه بذلك على اعتنائه خاصَّة بتزيينه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبَّه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به[(٢)] .

وكقول أبى نواس :

فما جازَهُ جودٌ ولا حـلَّ دونه ولكنْ يصير الجودُ حيث يصير[(٣)]

فإنه كنى عن جميع الجود بأن نكَّره[(٤)]، ونفى أن يجوز ممدوحَه ويحل دونه فيكون متوزعًا يقوم منه شىء بهذا وشىء بهذا، وعن إثباته له بتخصيصه بجهته بعد تعريفه باللام التى تفيد العموم[(٥)] ،ونظيره قولهم «مجلس فلان مَظِنةُ الجود والكرم » . هذا قول السكاكى[(٦)].

---

(١) الجيد : العنق ، والمساعى : جمع مسعاة وهى المكرمة ، ونظام العقد : ما به يكون منتظمًا وهو سلكه. وابن العميد هو محمد بن الحسين .

(٢) فيكون فى البيت كنايتان ، والمكنى عنه بهما واحد وهو اختصاص المجد بابن العميد .

(٣) قوله « جازه » بمعنى تعدَّاه ، وقوله « ولا حل دونه » بمعنى أنه لم يستقر فى غير مكانه .

(٤) لأن النكرة فى سياق النفى تدل على العموم.

(٥) فيكون صدر البيت كنايةً عن عدم توزعه وتقسيمه ، وهذه كناية عن صفة ، ويكون عجزه كناية عن إثباته له ، وهذه كناية عن نسبة ، والكناية الثانية كأنها مترتبة على الأولى .

(٦) ٢٢٧- المفتاح .

وقيل : كنى بالشطر الأول عن اتصافه بالجود ، وبالثانى عن لزوم الجود له ، ويحتمل وجهًا آخر وهو أن يكون كلٌّ منهما كناية عن اختصاصه به، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرهما على الترتيب المذكور لأن الأولى بواسطة [1] بخلاف الثانية .

وكقولهم « مثلك لا يبخل »، قال الزمخشرى : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية ؛ لأنهم إذا نفوه عمَّن يسدُّ مسدَّهُ وعمَّن هو على أخص أوصافه؛ فقد نفوه عنه، ونظيره قولك للعربى : « العرب لا تخفر الذمم » فإنه أبلغ من قولك «أنت لا تخفر » ومنه قولهم « أيفعتْ لداتهُ ، وبلغت أترابه » يريدون إيفاعه وبلوغه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شىء ﴾[2] على أحد الوجهين وهو ألا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفى التشبيه ، إذ لو كان له مثل لكان كمثله شىء وهو ذاته تعالى ، فلما قال: ﴿ ليس كمثله ﴾ دل على أنه ليس له مثل[3] وأُورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، ورُدَّ بمنع أنه تعالى مثل مثله ؛ لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله ؛ تعالى عن ذلك .

وكقول الشنفرى الأزدى فى وصف امرأة بالعفة :

---

(١) لأن الذهن ينتقل فيها من عدم توزع الجود إلى تجمعه ، ومن ذلك إلى اختصاصه به ، وعلى هذا الوجه والذى قبله يكون كلٌّ من الكنايتين كناية عن نسبة .

(٢) آية ١١ سورة الشورى .

(٣) هذه طريقة المتكلمين فى تقرير الكناية فى الآية ، وتوضيحها أن الله تعالى موجود ، فإذا نفى مثل مثله ، لزم نفى مثله؛ لأنه لو كان له مثل لكان هو - أعنى الله تعالى - مثل مثله ، فلم يصح نفى مثل مثله لئلا يلزم نفيه تعالى مع ثبوت وجوده ، وهذا كما تقول « ليس لأخى زيد أخ » أى ليس لزيد أخ نفياً للملزوم بنفى لازمه . وطريقة البلغاء أن لفظ (مثل) فى الآية كلفظ (مثل) فى قولك « مثلك لا يبخل » فالمراد منها نفى المثل عن ذاته بطريق نفى المثل عمَّن يكون مثله فى صفاته ؛ لأنه إذا نفى المثل عمن يكون مثله فى صفاته لزم نفيه عنه لعدم الفرق بينهما ، وتقرير الكناية على هذا الوجه واضح لا تعقيد فيه كما فى طريقة المتكلمين .

يبيتُ بمَنْجــاةٍ مِن اللومْ بيتُها   إذا ما بيوتٌ بالملامة حُلَّت (١)

فإنه نبــه بنفى اللوم عن بيتــها على انتـفاء أنواع الفجــور عنه ، وبه على براءتها منها ، وقال « يَبيت » دون (يظل) لمـزيد اختصاص الليل بالفواحش ، هذا على مـا رواه الشيخ عـبد القـاهر والسكاكى(٢) ، وفى الأغـانى الكبيـر : «يحل بمنجاة » .

وقـد يُظن أن هنا قـسـمًا رابعًا وهو أن يكون المطلوب بالـكناية الوصف والنسبة مـعاً ، كما يقـال: « يكثر الرماد فى ساحة عـمرو » فى الكناية عن أن عمرًا مـضياف ، وليس بذاك ؛ إذ ليس ما ذُكر بكنايـة واحدة بل هو كنايتان : إحداهما عن المضـيافية ، والثانيـة عن إثباتها لعمرو ، وقـد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الـكناية يجوز أن يكون مكنيًا عنه أيضًا كما فى هذا المثال ، ونحوه بيت الشنفرى المتقدم ؛ فـإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة (٣) .

الكناية العُرْضيَّة (التعـريض بالكناية) : واعلم أن الموصـوف فى القـسم الثانى والثالث(٤) قد يكون مذكوراً كما مرَّ ، وقد يكون غير مذكور ، كما تقول فى عُرض(٥) من يؤذى المسلمين : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »

---

(١) هو لعمـرو بن مالك المعـروف بالشنفرى ، والمنـجاة : الباعث علـى النجاة وهى الخلاص ، واللوم : العتاب والذم .

(٢) ٢٠٣ - دلائل الإعجاز ، ٢١٧ - المفتاح .

(٣) هذا وأهم أقسام الكنـاية الثلاثة القسم الثانى والثالث ؛ لأن الـكناية تتفاوت مراتبُها فيـهما قربًا وبعداً وظهوراً وخفاءً ، وقـد بيَّن الخطيبُ ذلك فى القسم الثانى لأنه أظهرُ منه فى الثـالث ، والحقُّ أن الثالثَ تتفـاوتُ مراتب الكناية فيه أيضًا ، وقـد أشار الخطيب إلى أن الكناية قد تكون بعيدةً فيه ، وذلك فى قول الشاعر :

والمجدُ يدعو أن يدوم لجيده   عقدٌ مساعى ابن العميد نظامه

(٤) بخلاف القسم الأول لأن التعريض لا يأتى إلا فى هذين القسمين .

(٥) العرض : الناحية والجانب ، والمراد التعريض به .

أى ليس المؤذى مسلمًا [١] وعليه قوله تعالى فى عُرْضْ المنافقين: ﴿ هدًى للمتقينَ ، الذين يؤمنونَ بالغيْب ﴾[٢] إذا فُسِّرَ الغيب بالغـيْبة ، أى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبى ﷺ أو أصحابه رضى الله عنهم؛ أى هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق ·

أنواع الكناية: التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة :

وقال السكاكى[٣] : «الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة؛ فإن كانت عُرْضيَّة فالمناسب أن تسمى تعريضًا [٤] ،وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما فى « كثير الرماد » وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحاً ؛ لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بُعْدٍ ، وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزًا ؛ لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، قال :

رمزَتْ إلىَّ مخافةً مِن بَعْلِها من غير أن تُبْدى هناك كلامَها [٥]

---

(١) فهو كناية عن نفى الإسلام عنه ؛ لأن حصر الإسلام فى غير المؤذى يلزمه نفيه عن المؤذى وهو منه ، وبهذا تكون الكناية فيه من القسم الثالث ·

(٢) آية ٢، ٣ سورة البقرة ·   (٣) ٢١٧ - المفتاح ·

(٤) الحق أن الكناية العرضية غير التعريض وإن سميت به ؛ فالكناية العرضية هى التى يكون الموصوف فيها غير مذكور ، والتعريض إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود ، تقول « عرَّضت لفلان وبه » إذا قلتَ قولاً لغيره وأنت تعنيه ، ولهذا لا يختص التعريض بالكناية بل يأتى أيضًا فى الحقيقة والمجاز ، ودلالتُه غير لفظية بخلاف دلالة الثلاثة ، فإذا أتى فى الكناية كقولك « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فالمعنى الكنائى فيه نفى الإسلام عن المؤذى مطلقًا ، والمعنى التعريضى نفى الإسلام عن المؤذى المعيَّن ، وإذا أتى فى الحقيقة كقولك تُعَرِّض بشخص ممقوت « لست أتكلم بسوء فيمقتنى الناس » فالمعنى الحقيقى فيه غير التعريضى أيضًا ، وكذلك إذا أتى فى المجاز كما سيذكره الخطيب ·

(٥) قوله « رمزت » بمعنى أشارت بخفية وهو محل الشاهد ، والبعل : الزوج ·

والا فالمناسب أن تسمى إيماءً وإشارة ؛ كقول أبى تمام يصف إبلاً :

أَبَيْنَ فما يزُرْن سوى كريم   وحَسْبُكَ أن يزرن أبا سعيد (١)

فإنه فى إفادة أن أبا سعيد كريم غير خافٍ .

وكقول البحترى :

أوَما رأيت المجدَ ألقَى رحْلَه   فى آل طلْحة ثم لم يتحوَّل (٢)

فإنه فى إفادة أن آل طلحة أماجدُ ظاهرٌ .

وكقول الآخر :

إذا اللهُ لم يُسْق إلا الكرام   فسقَّى وجوهَ بنى حنْبل

وسقَّى ديارَهُمُ باكرًا   من الغيْث فى الزمن المُمْحِلِ (٣)

وكقول الآخر :

متى تخلو تميمٌ من كريمٍ   ومسْلمةُ بن عمْرو من تميم (٤)

ثم قال (٥) : «والتعريض كما يكون كنايةً قد يكون مجازا؛

---

(١) قوله « أبين » بمعنى امتنعن ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الشغرى الطائى ، ولقب بالشغرى لعمله بالشغور ، والشاهد فى الشطر الثانى بضميمة الشطر الأول .

(٢) الرحل : ما يُجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس ، شبه المجد برجل له رحل على سبيل الاستعارة المكنية ، ثم جعل إلقاءه رحله فى آل طلحة كناية عن ثبوته لهم .

(٣) هما لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، والباكر : البكرة وهى أول النهار ، تقول - أتيته بكرة - أى باكراً ، والممحل : المجدب . والشاهد فى قوله « فسقى وجوه بنى حنبل » بضميمة ما قبله ، فهو كناية عن ثبوت الكرم لهم .

(٤) الاستفهام فى قوله « متى تخلو » للإنكار ، فيكون معناه النفى ، أى لا تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو منهم ، وهذا كناية عن ثبوت الكرم له .

(٥) ٢١٨ - المفتاح .

كـقـولك « آذيتنى فســتعرف » وأنت لا تريد المخاطَب بل تريد إنســاناً معه [١]، وإن أردتهما جميعاً كان كناية [٢] .

* * *

(١) هذا مجاز مرسل علاقته اللزوم ؛ لأنه يلزم من تهديد المخاطب لإيذائه تهديد كل مـؤذ ، وهو يشمل مَن مع المخـاطب ، ولا بدّ له من قـرينة مانعـة من إرادة المعنى الحقيقى .

(٢) لا بد لها من قـرينة تدل على إرادتهمـا جميعًا ؛ لأن الكـناية لا بد لها من قرينة أيضًا ، والحق أنهمـا إذا أريدا جميعًا لا يكون ذلك كناية بل يكون من استـعمال اللفظ فى حقيقته ومـجازه ، وذلك ممنوع ، وأنه إذا أريد غير المخاطب يكون تعريضًا لا مجـازاً ، وإنما يجتمع التـعريض والمجاز فى نحـو قولك تعرِّض بمن كـشف عورته فى حـمـام : « رأيت أُسوداً فى حمام غير كاشفين عوراتهم » ، فلم يعب ذلك عليهم .

تمرينـــــات على الكنـــاية

تمرين ١

وازن بين قول المتنبى فى الكناية عن العفة :

إنى على شغفى بما فى خُمْرِها لأعِفُّ عمَّا فى سراويلاتهـــا

وقول الشريف الرَّضِيِّ فى الكناية عنها :

أحنُّ إلى ما يضمن الخُمْر والحلى وأصْدفُ عمَّـا فى ضمانِ المآزر

تمرين ٢

(١) بين ما يُطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أَفاضلُ الناس أغراضٌ لِذا الزَّمن يخلو من الهمِّ أخلاهُمْ مِنَ الفِطَن

(٢) وقفت امرأةٌ على قيس بن سعد فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر» . فقال : مـا أحسن ما ورَّت ! املؤوا بيتـها خبزًا وسمنًا ولحـمًا » فهل قول هذه المرأة كناية ، أو تعريض ، أو كناية وتعريض معاً ؟

تمرين ٣

(١) من أى الكنايتين القريبة والبعيدة قول الشاعر :

أريد بسطةَ كفٍ أستعين بها على قضاء حقوقٍ لِلْعُلَى قِبَلى

(٢) بـــين الكـناية ونـوعـها فى قــوله تـعالى : ﴿ فإذا تطهَّرنْ فـأتوهن منْ حيث أمركم الله ﴾ آية ٢٢٢ سورة البقرة .

تمرين ٤

(١) من أى أقســام الكناية قوله تعــالى: ﴿ وراودتْه التى هو فى بيتها عنْ نفســه ﴾ آية ٢٣ سورة يوسف، ولماذا أوثرت على التـصريح باسمـها أو بامـرأة العزيز ؟

(٢) وازن بين الكناية السابقة والكناية فى قول الشاعر :

تقول التى مِن بينِها خَفَّ مركبى　　عزيزٌ علينا أن نراك تسير

تمرين ٥

(١) ما المكنى عنه؟ وما نوع كنايتـه فى قوله تعالى : ﴿ أوَ منْ يُنَشَّأ فى الحليةِ وهُو فى الخصامِ غيرُ مبين ﴾ آية ١٨ سورة الزخرف .

(٢) بين الكناية ونوعها فى قول الشاعر :

أخو لخمٍ أعارك منه ثوباً　　هنيئًا بالقميص المُسْتجدِّ

وقد روى « أخو لحم » بالحاء المهملة .

(٣) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أَبِينى أفى يُمْنَى يَدَيْكِ جعلْتِنى　　فأفرح أمْ صيَّرْتِنى فى شمالكِ

تمرين ٦

(١) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى　　مشغوفةً بمواطن الكتمان

(٢) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

ولازال بيْتُ المُلكِ فوقك عاليًا　　تُشَيَّدُ أطنابٌ له وعمودُ

تمرين ٧

(١) ما هى فائدة تقسيم الكناية إلى ما يطلب بها موصوف وما يطلب بها صفة وما يطلب بها نسبة ؟

(٢) ما الفرق بين دلالة الحقيقة والمجاز والكناية ودلالة التعريض ؟ وأيهما ألطف : دلالةُ التعريض أم دلالة الكناية ؟

(٣) هل الكناية العُرضيةُ عين التعريض أو غيره ؟ وإذا كانت غيره فما الفرق بينهما مع توضيحه فى مثال يجمعهما ؟

* * *

تنبـــيـه

الموازنة بين المجاز والحقيقة والكناية والتصريح :

أطبقَ البلغاءُ على أن المجاز أبلغُ من الحقيقة[1] وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر[2] .

قال الشيخ عبد القاهر[3] : «وليس ذلك[4] لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة فى المعنى نفسه لا يفيدها خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيدًا لإثبات المعنى

(١) أبلغ : أفعل تفضيل يجوز أن يكون مأخوذًا من البلاغة بمعناها اللغوى أى أفضل وأحسن ، ويجوز أن يكون مأخوذًا من المبالغة على مذهب الأخفش فى جواز بناء أفعل التفضيل من الرباعى ، وهو الظاهر من كلام عبد القاهر . وقد قيل : إن المجاز المرسل لا مبالغة فيه ؛ فلا يكون أبلغ من الحقيقة . والحق أن المجاز المرسل فيه مبالغة أيضًا إلا ما كان منه خاليًا عن الفائدة .

(٢) بقيت موازنات أخرى : منها الموازنة بين المجاز والكناية . وقد قيل : إن الكناية أبلغ من المجاز المرسل ، ويحتمل أن تكون أبلغ من الاستعارة أيضًا . وقيل : إن الاستعارة أبلغ من الكناية لأنها كالجامعة بين الاستعارة والكناية . وقيل : إن الاستعارة المكنية أبلغ من الكناية وإن الكناية أبلغ من التصريحية . ومنها الموازنة بين الاستعارة المكنية والتصريحية . وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية ؛ لأن الأولى كالجامعة بين الاستعارة والكناية ، والتصريحية محمولة على التشبيه فهى قريبة . وردّ عليه بأنهم إنما يستحسنون الاستعارة القريبة ؛ لأنه إذا استعير للشيء ما يقرب منه كان أولى مما ليس منه فى شيء ، ولو كان البعيدُ أحسن لما استهجنوا قول أبى نواس :

بحَّ صوتُ المال مما منك يشكو ويصيحْ

ومنها الموازنة بين الاستعارة التمثيلية والمفردة ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية .

(٣) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ دلائل الإعجاز .

(٤) أى كون الواحد من هذه الأمور أبلغ من الآخر .

لا يفيده خلافه ، فليست فضيلةُ قولنا « رأيت أسدًا » على قولنا « رأيتُ رجًلا هو والأسد سواء فى الشجاعة » أن الأول أفاد زيادةً فى مساواته للأسد فى الشجاعة لم يُفدها الثانى ، بل هى أنّ الأول أفاد تأكيدًا لإثبات تلك المساواة لم يفده الثانى ، وليست فضيلة قولنا « كثير الرماد » على قولنا « كثير القرى » أن الأول أفاد زيادةً لقراه لم يُفِدْها الثانى ، بل هى أن الأول أفاد تأكيدًا لإثبات كثرة القِرَى له لم يفده الثانى .

والسبب فى ذلك أن الانتقال فى الجميع[1] من الملزوم إلى اللازم ، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشىء ببينة ، ولا شك أن دعوى الشىء ببينة أبلغُ فى إثباته من دعواه بلا بينة .

ولقائل أن يقول : قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه ، وأن الأصل فى وجه الشبه أن يكون فى المشبه به أتمَّ منه فى المشبه وأظهر؛ فقولنا « رأيت أسدًا » يفيد للمرئى شجاعة أتمَّ مما يفيده قولنا « رأيت رجًلا كالأسد » لأن الأول يفيد شجاعة الأسد والثانى شجاعةً دون شجاعة الأسد . ويمكن أن يجاب عنه بحمل كلام الشيخ على أن السبب فى كل صورة ليس هو ذلك ، لا أن ذلك ليس بسبب فى شىء من الصور أصلاً[2] .

{ هذا آخر الكلام فى الفن الثانى }.

---

(١) أى فى المجاز بأقسامه والكناية .

(٢) يعنى بهذا أن قول عبد القاهر « ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور الخ » محمول على رفع الإيجاب الكلى ؛ فلا ينافى ثبوت الإيجاب الجزئى ، وحينئذ لا يدخل فى دعواه من الاستعارة والتشبيه إلا ما كان نحو « رأيت أسدًا ورأيت رجًلا هو والأسد سواء » ولا يدخل فيها منهما ما كان نحو « رأيت أسدًا » و« رأيت رجلاً كالأسد » ولكن كلام عبد القاهر فى دلائل الإعجاز ظاهر فى أنه يعنى السلب الكلى ، فيدخل فيه كل صور الاستعارة والتشبيه ، فالأحسن أن يجاب عن ذلك أن الاستعارة لم تخرج فى المعنى عن كونها تشبيهًا ، فوجهُ الشبه فيها لا بد أن يكون فى المشبه به أتم منه فى المشبه أيضًا ، وحينئذ لا يكون هناك فرقٌ بينهما إلا فيما ذكره عبد القاهر من تأكيد الإثبات وعدمه ، ولكنى أرى مع هذا أن الرجال ليسوا سواء فى مشابهة الأسد فى الشجاعة ، وأن الاستعارة تستعمل فيمن تكون مشابهته أقوى ، والتشبيه فيمن تكون مشابهته أضعف ، وبهذا يكون الفرق بينهما فى الدلالة على زيادة المعنى وضعفه أيضًا .

البلاغة والفصاحة عند السكاكى :

وذكر السكاكى[1] بعد الفراغ منه[2] تفسيرَ البلاغة بما نقلناه عنه فى صدر الكتاب[3] ، ثم قسَّم الفصاحة إلى معنوية ولفظية ، وفسَّر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد ، وعَنَى بالتعقيدِ اللفظىَّ على ما سبق تفسيره [4] ، وفسَّر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية ، وقال :. « وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدْوَرَ واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثه المُولَّدون ، ولا مما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجْرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر » . فجعل الفصاحةَ غير لازمة للبلاغة [5] ، وحصر مرجعَ البلاغة فى الفنين [6] ، ولم يجعل الفصاحة مرجعًا لشىء منهما [7] .

---

(١) ٢٢٠ - المفتاح ، وكان الأحسن تقديم هذا فى الكلام على الفصاحة والبلاغة فى المقدمة من الجزء الأول .

(٢) أى من الفن الثانى ، وقد أحسن الخطيب بتقديم الكلام على الفصاحة والبلاغة فى المقدمة من الجزء الأول .

(٣) يعنى كتاب - الإيضاح - وقد نقله عنه فى تعريفه علم المعانى .

(٤) أى فى المقدمة من الجزء الأول ، أما التعقيد المعنوى فالخلوص عنه لا يدخل عنده فى تعريف الفصاحة ، بل يدخل فى قوله فى تعريف البلاغة - وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها .

(٥) لأنه لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام كما قيده الخطيب ، والخلاف فى ذلك لا طائل تحته ؛ لأن كلاً منهما مطلوب فى الكلام ولو لم يكن أحدهما لازم الآخر .

(٦) يعنى فن المعانى وفن البيان .

(٧) إنما لم يرجع فن البيان عنده إلى الفصاحة ؛لأن الخلوص من التعقيد المعنوى لا يدخل عنده فى تعريفها ، وفن البيان إنما يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى .

ثم قال : « وإذ قد وقفتَ على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آيةً أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك » ، وذكرما أورده الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وقيل يا أرْضُ ابْلعى ماءك ويا سماءُ أقْلعى وغيض الماءُ وقُضىَ الأمرُ واستْوتْ على الجُودىِّ وقيلَ بُعدًا للقوم الظالمين ﴾[1] وزاد عليه نُكتًا لا بأس بها ، فرأيت أنْ أوردَ تلخيص ما ذكره جاريًا على اصطلاحه فى معنى البلاغة والفصاحة :

قال :« أما النظر فيها من جهة علم البيان فهو أنه تعالى لَمَّا أراد أن يبين معنى - أردنا أن نرُدَّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدَّ ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن يغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وإن يُقْضى أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقُضى ، وأن نُسوِّىَ السفينة على الجُودى فاستوت ، وأبقينا الظَّلمةَ غرْقى - بنى الكلام على تشبيه المراد منه[2] بالمأمور الذى لا يأتى منه لكمال هيبته العصيانُ ، وتشبيه تكوين المراد [3] بالأمر الجزْم النافذ فى تكوُّن المقصود ، تصويراً لاقتداره تعالى وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنهم عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علمًا بوجوب الانقياد لأمره ، وتحتُّم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نَظْمَ الكلام فقال تعالى : ﴿ قيل ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل [4] ، وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد و هو يا أرض ويا سماء ، ثم قال: ﴿ يا أرض ويا سماء ﴾ مخاطبًا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور[5] ثم استعار لِغَوْر الماء فى الأرض البلعَ الذى هو إعمال الجاذبة فى المطعوم بجامع الذهاب إلى مقر

(١) آية ٤٤ سورة هود .

(٢) هو الأرض والسماء؛ لأنه أريد منهما بلعُ الماء والإقلاعُ عن المطر .

(٣) هو بلع الماء وما بعده .

(٤) فهو مجاز مرسل من إطلاق المسبب وإرادة السبب .

(٥) هى استعارة مكنية ، والشبه المذكور هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

خفى[1] واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغـذاء على طريق الاستعارة بالكناية ؛ لتقوِّى الأرض بالماء فى الإنبات للزرع والأشـجار ، وجـعل قـرينة الاسـتـعـارة لفـظ (ابلعى)[2] لكونه مـوضوعًا للاسـتعمـال فى الغذاء دون الماء ، ثم أمـر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره[3]، ثم قال ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهًا لاتصـال الماء بالأرض باتصال المِلْك بالمالك ، واستعار لحبس المطر الإقـلاعَ الذى هو تركُ الفاعل الفـعل للشـبه بينهـما فى عـدم ما كـان ، وخاطب فى الأمرين [4] ترشيحًا للاستعـارة ، ثم قال ﴿ وغـيض الماء وقضى الأمر واستـوت على الجودى وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين ﴾ فلم يـصرِّح بالغائض والقـاضى والمسوِّى والقـائل كـما لم يصـرح بقـائل ﴿ يا أرض ويا سمـاء ﴾ سلوكًا فى كل واحد مـن ذلك سبيل الكناية أن تلـك الأمور العظام[5] لا تتأتى إلا من ذى قدرة لا تُكْتَنهُ ، قـهَّار لا يُغالَبُ ؛ فلا مـجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعـــل لشىء من ذلـــك غيره ، ثم خـتم الكلامَ بالتعـريض لسالكى مســلكهم فى تكـذيب الرسل [6] ظلمًا لأنفـسهم خَتْمَ إظهارٍ لمكـان السخط ولجهة استحقاقهم إياه [7] .

وأما النظر فيـها من حيث علم المعانى - وهو النظر فى فـائدة كل كلـمة فيها ، وجـهةِ كل تقديم وتأخير بين جُملها - فـذلك أنه اخْتير « يا » دون سائر

(١) هى استعارة تصريحية تبعية اشتق فيها من البلع - ابلعى - بمعنى غوِّرى .

(٢) ففيه استعارة تخييلية من جهة إثبـات البلع للماء وهو من لوازم الغذاء ، أو من جهـة استـعارة البلع لغور الماء فـى الأرض على ما سبق من الخـلاف فى الاستـعارة التخييلية .

(٣) يريد أمر (ابلعى) والشبه هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

(٤) أى ﴿ ابلعى - أقلعى ﴾ ؛ فالخطاب فـيهما ترشـيح لاستعارة البلع للتـغوير والإقلاع للحبس .

(٥) أن وما بعدها فى تأويل مصدر مجـرور بحرف محذوف أى سبيل الكناية عن أن تلك الأمور الخ ، والظاهر أن الكناية هنا لغوية لا اصطلاحية .

(٦) يعنى بسالكى مسلكهم : كفار قريش ومن إليهم .

(٧) هى جهة ظلمهم أنفسهم بتكذيب الرسل .

أخواتها لكونها أكثـر استعمالا ، ولدلالتها على بُعد المنادى الذى يستـدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهـاون به ، ولم يقل - يا أرضِ - بالكسر تجنبًا لإضافة التشريف تأكيدًا للتهاون ، ولم يقل « يا أيتـها الأرض » للاختصار مع الاحتراز عـما فى « أيتها » من تكلُّف التنبـيه غير المناسب للمقـام؛ لكون المخاطَب غير صالح للتنبيه على الحقيقة[1] . واختـير لفظ الأرض دون سائر أسمـائها لكونه أخفَّ وأدْوَرَ ، واختير لفـظ السـمـاء لمثل ذلك مع قصد المطابقـة[2] . واختير ﴿ ابلعى ﴾ على - ابتلعى - لكونه أخصر ، ولمجىء حظ التجانس بينه وبـين ﴿ أقلعى ﴾ أوفر[3] ، وقيل ﴿ ماءك ﴾ بالإفـراد دون الجمع لدلالة الجمع على الاسـتكثـار الذى يأباه مقـام إظهـار الكبـرياء ، وهو الوجـه فى إفـراد الأرض والسماء ، ولم يحذف مـفـعـول ﴿ ابلعى ﴾ لئـلا يُفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحـار وغيرها ، نظراً إلى مقام ورود الأمر الذى هو مقام عظمة وكبـرياء ، ثم إذ بيَّن المرادَ اختصر الكلام على ﴿أقلعى ﴾ فلـم يقل « أقلعى عن إرسال الماء » احـترازًا عن الحشو المستـغنَى عنه من حيث الظاهر[4] وهو الوجـه فى أنه لم يقل « يـا أرض ابلعى مـاءك فـبلعت ويا سـمـاء أقلعى فـأقلعت ». واخـتـيـر ﴿ غيـض الماء ﴾ على « غُيِّض » المشددة لـكونه أخصـر وأخفَّ وأوفق لقيل[5] ، وقيل ﴿ الماء ﴾ دون أن يقـال « مـاء طوفان السماء» وكـذا ﴿ الأمر ﴾ دون أن يقـال « أمر نوح » للاختـصار ،ولم يقل « سـوِّيتْ على الجوديِّ » بمعنـى أُقرَّتْ على نحو « قـيل وغيض وقضى » فـى بناء الفعل للمفعـول اعتباراً لبـناء الفعل للفـاعل مع السـفينة فى قـوله ﴿ وهى تجْرى بهم﴾ مع قصد الاختصار[6] . ثم قيل ﴿ بعـداً للقوم ﴾ دون أن يقـال « ليبـعد

(١) لأن المخاطب هو الأرض وهى لا تعقل حتى تصلح للتنبيه .
(٢) هى من المحسنات الآتية فى علم البديع .
(٣) لتشابههما فى الوزن العروضى وعدد الحروف .
(٤) أى من حيث ظاهر الكلام لاشتماله على ما يدل عليه .
(٥) لتشابههما فى الوزن .
(٦) لأن همزة « استوت » تسقط فى الدَّرج فتكون أخصر من سويت .

القَوْمُ » طلبًا للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول (بعداً) منزلة (ليبعدواْ بُعداً) مع إفادة أخرى وهى استعمال اللام[1] مع بُعد الدالّ على معنى أن البعد حقٌّ لهم ، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هذا من حيث النظر إلى الكَلِم [2] وأما **من حيث النظر إلى ترتيب الجمل :** فذلك أنه قدَّم النداء على الأمر فقيل ﴿ يا أرض ابلعى ويا سماء أقلعى﴾ دون أن يقال « ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء » جريًا على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقةً من تقديم التنبيه ؛ ليتمكن الأمر الوارد عقيبه فى نفس المنادَى قصداً بذلك لمعنى الترشيح [3] ، ثم قدّم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك فى القصة مَنزلة الأصل ، ثم أتبعها قوله ﴿ وغيض الماء ﴾ لاتصاله بقصة الماء ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله ﴿ وقضى الأمر ﴾ أى أنجز الوعد من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه فى السفينة ، ثم أتبعه حديث السفينه ، ثم ختمت القصة بما خُتمتْ .

هذا كله نظرٌ فى الآية من جانب البلاغة ، وأما النظر فيها **من جانب الفصاحة المعنوية** فهى كما ترى نَظْمٌ للمعانى لطيف ، وتأديةٌ لها ملخَّصة مبينة ، لا تعقيد يعثِر الفكر فى طلب المراد ، ولا التواء يُشيك الطريق إلى المرْتاد ، بل ألفاظها تُسابِقُ معانيها ، ومعانيَها تسابق ألفاظها .

وأما النظر فيها من **جانب الفصاحة اللفظية :** فألفاظها على ما ترى عربيَّة مستعملة جارية على قوانين اللغة ، سليمةٌ عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذَبات[4] ، سَلِسَة على الأسَلات[5] ، كلٌّ منها كالماء فى السلاسة، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة - والله أعلم .

* * *

---

(١) يعنى لام الجر فى قوله ﴿ بُعدًا للقوم ﴾ لأنها تسقط إذا قيل : ليبعد القوم .

(٢) يعنى الكلمات المفردة فى الآية .

(٣) يريد بالترشيح التهيئة للأمر ، أو ترشيح الاستعارة على ما سبق .

(٤) جمع عذبة وهى الطرف من كل شيء ، والمراد بها هنا رأس اللسان .

(٥) جمع أسلة وهى رأس اللسان أيضًا ، أو الطرف المستدق من جانبيه .

مباحث الجزء الثالث

الموضوع

الصفحة

الصفحة